و الان أتكلم

مذكرات خالد محي الدين

تصميم الغلاف : المستودع الإسلامي للمعرفة



.. والآن أتكلم

خالد محيى الدين

الطبعـة الأولـى
١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء القاهرة
تليفون ٥٧٤٧٠٨٣ ـ تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

تصميم الغلاف
عبد الغنى أبو العينين

إلى زوجتى ..

فقد تقاسمت معى وبرضاء وصبر كل مصاعـــــب الحيـــــاة تلك التى فرضها الآخرون علينا وتلك التى نفرضـها على أنفسـنا وفـاء لحـــق الوطـــن والشـــعب .

المحتويات

الصفحة

الصفحة

شكر وتقدير

كتابة المذكرات هى أساسا عمل صاحبها ، ولكنه بمفرده يكون غير قادر أن يحيط بكل ما يريد - صحيح أننى ملأت شرائط التسجيل بكل ما أعرف من معلومات وأحداث وآراء - ولكن أن يكون بجانبك صديق يمتلك كفاءة المعرفة التاريخية والسياسية ، أن يكون بجانبك رجل مثل الدكتور رفعت السعيد - يوجه لك الأسئلة لترد على كل ما غاب فى ثنايا العقل ، وتاه مع طيات الزمن . يذكرك بالأحداث وترابطها وتشابكها والأسماء والأمكنة لتتمكن من استنفار الذاكرة ثم يعيد معك القراءة ، مرة واثنتين ليضيف معك - كل ما نسيته .

له أقدم أساسا شكرى الأول والأخير لجهوده الفكرية والسياسية والعملية لإتمام هذا العمل ، لأنه بدون جهده ما خرجت هذه المذكرات بهذه الصورة ، كما أشكر بعض الأخوة من الضباط الأحرار الذين أفادونى مما سجلوه وكتبوه بناء على طلبى كرافد هام لهذه المذكرات ، وأخص بالذكر الأخ توفيق عبده اسماعيل ضابط الفرسان وعضو مجلس الشعب ، والأخ أحمد المصرى ضابط الفرسان الذى قدم لى معلومات وافية ومكتوبة عن حركة الفرسان فى ١٩٥٤ .

كذلك فقد استعنت بكل ما كتبه زملائى فى حركة الضباط الأحرار ، من ذكريات ومذكرات ودراسات ، فبرغم اختلاف بعض الرؤى ، وتفسير بعض الوقائع ، إلا أن ما كتبوه كان هاما ومفيدا لى سواء بما قدم من معلومات أو بما حفز الذاكرة كى تنشط فتقدم كل ما لديها ..

وإليهم جميعا أخلص الشكر ، و عميق الامتنان .

خالد محيى الدين

نعم . ليست مقدمة .

فالمذكرات أو الذكريات أو اليوميات هى بذاتها تقديم للحدث وللمتحدث . أو هى بالدقة محاولة لتقديم رؤية الكاتب لحدث ما . ومن هنا فإن تقديم التقديم هو لزوم ما لا يلزم .

لكننى وقبل أن أصطحب القارىء عبر رحلة بأكملها امتلك بعضا من الملاحظات أعتقد أنه من الضرورى أن أفضى إليه بها .. حتى يمكننا أن نمتلك عبر هذه الرحلة تفاهما أعمق ، وفهما أفضل .

□ □ □

إلى متى ستظل صامتا ؟

كان هذا السؤال يلاحقنى ، مباشرا فى أحيان عديدة ، ومغلفا فى أحيان أخرى . بل لعله طاردنى فى حالات كثيرة بلهجة استنكارية توشك أن تتهمنى بالتقصير ليس فى حق شخصى ، وإنما فى حق ذلك الحدث المهيب الذى لم يزل ممتلكا لمهابة لا يتجاسر عليها إلا المنكر للحقيقة والمتنكر لها ، هذا الحدث الذى هز مصر ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لينطلق بها عبر مسيرة متعرجة استحقت من الكثيرين إعجابا وإشادة ، ومن البعض تأييدا مغلفا بالتحفظ ، ومن الأقلية استنكارا أو رفضا . لكن أحدا من هؤلاء جميعا لم ينكر أن الحدث مهيب وهام ، وأثر فى مصر وكل البلدان العربية ، وهز أعماق أفريقيا ، وأثار اهتمام آسيا ، بل وجذب أنظار العالم أجمع .

فمتى امتلكت مصر حدثا مثل يوليو ؟

متى كان لها ذلك التغيير الممتد إلى مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. تغيير جذرى وشامل ومؤثر سواء اتفقنا أو اختلفنا معه ؟

متى كان لها حدث انتقل بها لتصبح طرفا عربيا وأفريقيا وآسيويا .. بل وعالميا فاعلا ؟

متى كان لها حدث جعلها تمتلك القدرة على الزهو بمصريتها .. وعروبتها وأفريقيتها وإسلاميتها .. زهوا لا ينبع من كبرياء ، وإنما من فعل وأداء وتأثير ؟

متى كان لها حدث كهذا حتى يمتلك من تلاصقوا معه ، وشاركوا فى صياغته وصناعته ترف الصمت عما يمتلكون من معرفة به وبمكوناته ؟

وظل هذا السؤال يلاحقنى حتى من أقرب المقربين إلىّ ، وظللت ، أعدهم وأعد نفسى بيوم أوفى فيه بعضا من دينى ليوليو ولرجالها ، ولمصر وشعبها .

كنت أعرف أنه يتحتم علىّ أن أوفى بعض هذا الدين بأن أكتب ما أعرف .. تقديما للحقيقة واستكمالا لها .

وما كان لمثلى أن يتنكر ليوليو أو ينكره أو يتناساه ، فلم يكن يوليو حدثا عارضا ، ولا حلما باردا قفز إلينا نحن رجاله فى لحظة مواتية ، بل كان أملا عاش فى قلوبنا الشابة نسجناه معا فى حرص واتقان ، وما أجمل أن تمتلك حلما جميلا .

وما أصعب أن يكون الحلم ملكا لوطنك وشعبك ، ساعتها سيكون الحرص مضاعفا بل سيصبح عبئا .. فالخطأ لن يطالك أنت وأصدقاؤك وأسرتك فحسب ، بل سيطال كل مصر وكل مصرى .

وما كان لى أن أتخلى عن حلم كهذا دون أن أدون كل ما أعرفه عنه ، ليس

من أجل الماضى ، ولا من أجل تصحيح ما قيل وهو كثير ، ولا حتى من أجل استكماله ، وليس من أجل إعطاء كل من رجال يوليو ما يستحق من تقدير جزاء ما قدم لمصر ، وإنما وأساسا من أجل الغد .

فمصر فى مستقبل حركتها لابد لها أن تمتلك زادا من الخبرة بالإيجابيات وكيف تصنع ، والعثرات وكيف تقع بنا وعلينا . وهكذا ظل الوفاء بهذا الدين القديم يلاحقنى ، وما أهملته أبدا . فقط كنت أتخيل أن بالإمكان أن أتيح لنفسى فسحة كافية من الوقت أخلو فيها من هموم الحياة والسياسة والعمل فى الحزب وفى حركة السلام وفى مجلس الشعب ، لأجلس وأكتب .

ويمضى الوقت لتلتف هذه الواجبات أو الهموم بعضها ببعض ، وتتخلق دوامة لا يمكن الفكاك منها .

وأخيرا ..

أدركت أنه ما من فسحة كافية ، أو واسعة من الوقت ، فقط هناك مساحات متناثرة لابد من محاولة اصطيادها الواحدة تلو الأخرى .

وهكذا حاولت ..

□ □ □

ولكن ماذا أكتب ؟ وعن ماذا ؟

وماذا يتوقع القارىء منى ؟

وكيف يمكن لإنسان أن يروى كل وقائع سنوات عديدة حافلة فى كتاب مهما تكاثرت صفحاته ؟

وهل يوردها جميعا أم يتخير البعض ؟ فإن اختار فهل يختار ما يتعلق به ، أو ما كان هو على علاقة وثيقة بمعطياته ؟ أم تكون أهمية الحدث هى الفيصل ؟

وإذ جلست لأكتب تزاحمت أمامى أشياء كثيرة مختلطة ، ذكريات وأحداث وملاحظات ووقائع حلوة وأخرى مريرة ، وأحداث موحية وأخرى باهتة ، البعض شخصى بحت ، والآخر شخصى متشابك مع الغير ، وكثير متعلق بالحدث وبموضوع الحديث ، وتوقفت وتوقف معى القلم فى حيرة ماذا أختار من بين هذا الزحام وأنا أحاول أن أكتب تاريخ حدث هام كيوليو ؟

أخيرا ..

وإذ اقتربت من علم التاريخ بحثا عن الأسلوب الأمثل عثرت على التعريف الأول لهذا العلم المبهر ، التعريف الأول بمعنى أنه المحاولة الإنسانية الأولى لتحديد المغزى العلمى للكتابة التاريخية والمضمون الفكرى لها .

.. هكذا عرَّف الاغريق القدماء علم التاريخ : « إنه علم البحث عن الأحداث الجديرة بالمعرفة التى وقعت فى الماضى » . الجديرة بالمعرفة ، هذا هو أول الخيط . ولكنه ياله من خيط معقد !

فالحدث قد يختلف اثنان حول مدى كونه جديرا بالمعرفة ، والأمر لا يتعلق بالمذاق الشخصى أو المعيار الفردى فحسب بل لعله يمتلك أبعادا سياسية واجتماعية ، فما هو جدير بالمعرفة لجماعة قد لا يكون مثيرا لاهتمام جماعة أخرى .

لكن التعريف الاغريقى العتيد منحنى قدرة كبيرة على الاختيار . وأصبح القلم قادرا على الانتقاء بحثا عما هو « جدير بالمعرفة » . و « الجدير بالمعرفة » فيما كتبت يتلمس ما هو خاص وما هو عام ، وما هو ثمرة لتفاعلهما معا بحثا عن الحقيقة الأكثر دقة ، فى كل ما يتعلق بعلاقتى بيوليو .

وبطبيعة الحال كان من الجدير بالمعرفة - فى اعتقادى - أن يتعرف القارىء على الكاتب من هو ؟ ولماذا وكيف اقترب من عملية المشاركة فى صناعة يوليو ، وأثر التكوين الخاص والأول فى تخليق عملية الاقتراب هده ؟

□ □ □

.. وليست هى المرة الأولى التى يُكتب فيها عن يوليو .

عشرات الأشخاص سبقونى ، وآخرون كثيرون سيحاولون بعدى .

فيوليو حدث ليس عاديا ، ولابد له من أن يفحص من كل جوانبه ، وأن يعاد فحصه من كل هذه الجوانب . ويوليو يستحق أكثر ..

أليس هو الدرس الأكثر تأثيرا فى تاريخ هذه الأمة ؟

فلنفحصه ولنعاود فحصه بحثا عن الحقيقة الحقيقية .

الحقيقة الحقيقية .. !

أية عبارة هذه التى خطها القلم ؟

وهل ثمة حقيقة غير حقيقية ؟

توقفت طويلا خلال كتابتى للصفحات التالية أمام هذا السؤال المحير .. « فالحقيقة » هى بالضرورة كلمة معقدة .

وعندما أقرر أننى أذكر « حقيقة حدث ما » فإننى فى الواقع أقرر أننى أذكر رؤيتى أنا لهذا الحدث ، وكم من آخرين يمتلك كل منهم رؤية أخرى .

فهل هناك أكثر من حقيقة ؟

لابد أن هذا السؤال يثور فى ذهن القارىء ـ العادى والمتخصص ـ إذ يقف أمام عشرات من الكتب عن يوليو ، كل منها يروى ذات الواقعة وذات الحدث بصيغة مخالفة للآخر .

ولا يعنى ذلك أن الجميع مخطئون وواحد فقط هو الصواب ، لكنه يعنى أن الحدث الواحد يمتلك أكثر من بُعد وأكثر من زاوية ، وتختلف رؤية كل كاتب باختلاف الموقع والزمان والمكان .. إزاء الحدث .

وهنا يكون مدى وكم الحقيقة فى الرواية منسوبا فى واقع الأمر إلى موقع الكاتب من الحدث ومدى اقترابه منه زمانا ومكانا ، ومنسوبا بالطبع إلى مدى تحريه الدقة ، أو رغبته فى تحرى الدقة .

وفى « علم التاريخ » ـ مادمنا نحاول أن نكتب عن حدث تاريخى ـ تكون الحقيقة الكاملة أو الحقيقة الحقيقية هى تلك التى تحاول الاقتراب من مختلف زوايا الحدث ، وتجاوز ما هو شخصى إزاءه ، وإعطاؤه بُعدَه الجماعى والاجتماعى إن كان ذلك ضروريا .

وهذا ما حاولت أن أفعل .

ولست بهذا أنقص من جهد أحد ، ولا أدعى أن ما كتبت هو الحقيقة المصفاة ، أو حتى هو الأقرب إليها . وإنما فقط أقرر أننى بذلت كل ما امتلكت من جهد لأنفى عن الكتابة أية نوازع شخصية ، محاولا أن أنصف الحدث والحقيقة دون التفات لإنصاف نفسى ، فالأمر قد تجاوز أشخاصنا جميعا ليصبح منسوبا لمصر وشعبها ، ومن ثم فإننا جميعا ومهما فعلنا أو ادعينا تتضاءل أدوارنا عندما تنسب أو تقاس .. إلى مصر وإلى المصريين .

□ □ □

والحقيقة أن الكتابة لم تكن سهلة .

لكنها لم تكن مستحيلة .

فأنا لم أبدأ من فراغ ، فليس من المعقول أن أجلس بعد كل هذه السنوات لأحاصر الوقائع صغيرها وكبيرها حتى أقتنصها ، وليس من المعقول أن تحتفظ الذاكرة بكل هذه الوقائع والأحداث .

لكن ثمة سرا صغيرا سأفضى به للقارىء قبل أن نبدأ رحلتنا معا .

.. عندما كانت أحداث مارس ١٩٥٤ ، وما كان خلالها وبعدها ، وعندما أثمر ذلك بالنسبة لى قرارا بالنفى إلى خارج الوطن ..

هناك فى المنفى البعيد أحسست بأن أول واجب لى هو أن أسجل الوقائع ، وأن أحفظها وأحتفظ بها . والغريب أننى وبالفطرة - ودون بحث أكاديمى عن معنى ومغزى الكتابة التاريخية - قد تصرفت وفق التعريف الاغريقى دون أن أسمع عنه ، وفى كراسة ذات غلاف أزرق سجلت كل ما اعتقدت أنه جدير بالمعرفة من أحداث متعلقة بتنظيم « الضباط الأحرار » ، وليلة ٢٣ يوليو ، وجلسات مجلس قيادة الثورة ، اختلافاتنا واجتهاداتنا واتفاقاتنا ، ومواقف كل منا . باختصار دونت فى الكراسة الزرقاء كل ما أعتقدت أنه ضرورى لتنشيط الذاكرة عندما يحين وقت تدوين المذكرات .

وظلت « الكراسة الزرقاء » عبئا ثقيلا بقدر ما كانت مدعاة للراحة النفسية .

فقد أراحنى كثيرا أننى ضمنت هذا الغلاف كل ما هو هام وكل ما هو ضرورى من معلومات وملاحظات ، أراحنى لأننى أحسست أن ذاكرتى ليست مكلفة باستعادة ذلك كله ومحاولة التحفظ عليه ، لكنه منحنى الكثير من القلق خوفا على هذه الكراسة .

ومضت أيام بل وسنوات كان الاحتفاظ فيها بهذه الكراسة عبئا ثقيلا على من يحوزها ، وكان من الضرورى أن تغيب طويلا عن ناظرى ، بل وعن أرض الوطن بحثا عن مأمن آمن .

وبرغم ذلك كان قلق ثقيل الوطأة يهبط علىّ من آونة لأخرى .. ماذا لو ضاعت ؟ ماذا لو وقعت فى يد من لا أريد أن تقع فى يده ؟ ماذا لو .. ؟

وأشعر بقلبى وهو معلق بهذه الكراسة .

وإذ أصبح ممكنا عادت كراستى إلىّ .. وهدأت مخاوفى بعض الشىء ، وأصبح من الممكن أن أستعد للكتابة .

لكن هذه الكراسة لم تكن سوى رؤوس موضوعات ، وتطلب الأمر جهدا كبيرا لاستكمال بنيان الحدث والذكريات ، وتطلب مطالعة لما كتبه زملاء أعزاء زاملتهم فى أحلى أيام شبابنا ، وفى أجمل ما نمتلك من ذكريات ، كما تطلب الاستعانة بذاكرة العديد من هؤلاء الزملاء ، ولم يبخلوا علىّ بشىء .

□ □ □

ومن الطبيعى أن يقع بعض الاختلاف أو الخلاف بين ما كتبت وبين ما كتب الآخرون .

ومن البداية أقرر أننى لا أنسب إلى ما كتبت أنه الصحيح أو حتى أنه الأقرب إلى الصحة ، وأن الآخرين يبتعدون عن الحقيقة بقدر ما يبتعدون عما كتبت .

فقط أقرر أننى حاولت جهدى أن أقترب من الحقيقة ، فإن وقع خلاف بين محاولتى وبين ما ذكره الآخرون ، فالأمر متروك للتاريخ كى يبحث ويدقق ، ويصل اليوم أو غدا إلى ما هو صحيح .

فأنا أحاول فقط أن أضيف إلى حصيلة يوليو جهدا متواضعا لعله يسهم فى إتاحة الفرصة أمام القارئ والباحث لاستكمال تعرّفه على يوليو حدثا وأشخاصا وتداعيات .

□ □ □

وقبل أن أبدأ ، لابد لى أن أسجل عرفانى للعديدين الذين أتاحوا لى أن أقترب من رحلتى معك عزيزى القارئ .

الذين احتضنوا كراستى فى مودة وحرص فى زمن صعب ، وحافظوا عليها فى حنان حفاظ الصوفى على مسبحته .

والذين منحونى وقتهم وذكرياتهم من رفاق السلاح القدامى ، شركاء الزمن القديم الجميل فى خلايا الضباط الأحرار وفى سلاح الفرسان وفى ليلة ٢٣ يوليو وما بعدها .

فإلى هؤلاء جميعا أقدم امتنانى .. مؤملا أن يجدوا فيما كتبت ثمرة تستحق ما قدموا من جهد .

□ □ □

أخيرا ..

أعود لأقرر ، وأكرر ، أننى أكتب وعينى على مصر وعلى شعبها ، وعلى المستقبل .

ولا أمتلك أى قدر أو قدرة على التحاكم مع بعض من اختلفت معهم فى الماضى ، فما اختلفنا لهوى شخصى ، فقط اختلفت الرؤى ، واختلف تصورنا لما فيه الخير لمصر .

لست أكتب من أجل الماضى لنتحاكم حوله أو عنه أو لنحاكمه ، فقط أدون ما أعتقد أنه تاريخ صحيح لحدث هو أهم أحداث تاريخنا الحديث ، أدون بحثا عن دروس لما هو آت من أيام .

فمصر تستحق منا أكثر مما قدمنا .

ويستحق شعبنا أن نقدم له الحقيقة ـ أو ما نعتقد بإخلاص أنه الحقيقة ـ كى يستفيد من دروس الماضى ، تطلعا للمستقبل .

.. نعم هذه هى بالدقة العبارة التى أحاطت بى فى كل سطر وكل كلمة فى هذه المذكرات .. « أن نستفيد من دروس الماضى تطلعاً للمستقبل » ..

والله الموفق .. وهو الهادى إلى سواء السبيل .

القاهرة فى ١٧ أغسطس ١٩٩٢ **خالد محيى الدين**

١ البدايات

* مع الدراويش فى التكية.
* بين التكية والتختبوش .
* من التكية إلى أحمد سعيد .
* من أجل عيون « ابراهيم خيرى » .
* مشاغب فى الكلية الحربية .

ككل إنسان .. عندما أخلو إلى نفسى ، أجدها فى أحيان كثيرة ، تعود بى إلى أعماق الذاكرة ، لتفترش مساحة حلوة من أجمل ذكريات الطفولة .

بيت شرقى ساحر ، فسقية فى منتصف الحديقة الواسعة المليئة بالأشجار والورود والتمر حنة ، لم يكن بيتا عاديا ، إنه تكية السادة النقشبندية ، هنا قبر الجد الأكبر لأمى الشيخ الخليفة « محمد عاشق » ، هنا أيضا مسجده ، ودراويش الطريقة النقشبندية يشغلون الدور الأول من التكية ، وأنا ووالدتى وجدى الشيخ عثمان خالد ، شيخ الطريقة وناظر الوقف ، نشغل الدور الثانى .

باسم جدى لأمى سميت ، وفى رحاب التكية عشت طفولتى ، ألهو فى حديقتها البديعة ، وأستمتع بعبق حياة دينية سمحة وهادئة ، المسجد يعلو فيه الأذان - كل يوم - خمس مرات ، ودراويش التكية ونحن معهم نصلى ، أنا أذهب إلى المدرسة ، وجدى يشرف على شئون الدائرة فى الغرفة المسماة بالديوان ، والدراويش يحيون حياة تعبد تثير الاهتمام ، بل لعلها هى التى ألهمتنى وحتى الآن هذا الإحساس الرفيع بالتدين السمح المتفانى فى حب البشر .

ذهنى أفندى ، أيوب أفندى ، عثمان أفندى .. أسماء لا يمكنها أن تبتعد عن ذاكرتى ، كذلك صورتهم فى « جلاليب » بيضاء وطاقية ، وحياة تستمتع بثلاثة أشياء جميلة : تعبد ، وقراءة ، وخدمة الناس .

يقرأون كثيرا ، ويتعبدون فى أناة وبلا تشدد ، وبقية النهار يعبدون الله بخدمة الناس ، فكان عثمان أفندى الهادىء الأبيض الشعر يقضى وقته يعلم سكان الحى القراءة والكتابة ، وآخرون يقدمون خدماتهم المجانية بلا انقطاع للناس ، واحد يصلح لهم ساعاتهم مجانا ، وآخر يصلح مختلف الآلات ، وثالث يخيط الثياب ، والكل لا يتقاضى أجرا ، سوى الإحساس بالرضاء الدينى بالتقرب إلى الله عبر خدمة عباده .

باب التكية مفتوح لا يغلق إلا فى المساء ، وهل يليق بدراويش الطريقة النقشبندية أن يغلقوا بابهم فى وجه إنسان ؟

وفى رحاب هذا العبق الدينى الرائع قضيت أجمل أيام طفولتى .

أبى كان مقيما فى كفر شكر يشرف على زراعة الأرض لثلاثة أيام فى الأسبوع تقريبا ، ثم يأتى ليقيم معنا ، وعندما تنتهى أشهر الدراسة أنطلق إلى كفر شكر لأقيم بجوار التختبوش(*) فى بيت العائلة ، هنا تبدو الحياة مختلفة ، فالجد محيى الدين تاجر ومزارع شاطر ، تاجر فى القطن على زمان الحرب الأهلية الأمريكية وكسب كثيرا ، وفى كفر شكر اشترى مئات الأفدنة ، ولما عادت أسعار القطن إلى الانخفاض تحول إلى زراعة الفاكهة ، ويرتبط اسم محيى الدين بكفر شكر ، فهو الذى أدخل فيها زراعة العنب والمانجو والبرتقال .

وبرغم تميز الأسرة ببعض الثراء فإن « التختبوش » الذى كان فى قلب كفر شكر قد أتاح لى خلال أشهر الصيف اندماجا شبه كامل مع أبناء الفلاحين ، كنا نلعب الكرة الشراب معا بحماس قادر على إزاحة أية فوارق طبقية .

.. وينتهى الصيف لأعود سريعا إلى دراويش التكية ، لأنعم معهم بحالة من السلام النفسى يصعب تكرارها ، كانوا متدينين فى هدوء ، وبلا تعصب ، والإسلام عندهم محبة للناس وتفان فى خدمتهم بلا مقابل ، وتناول للحياة فى تعفف بلا شره ، وبلا ترفع .

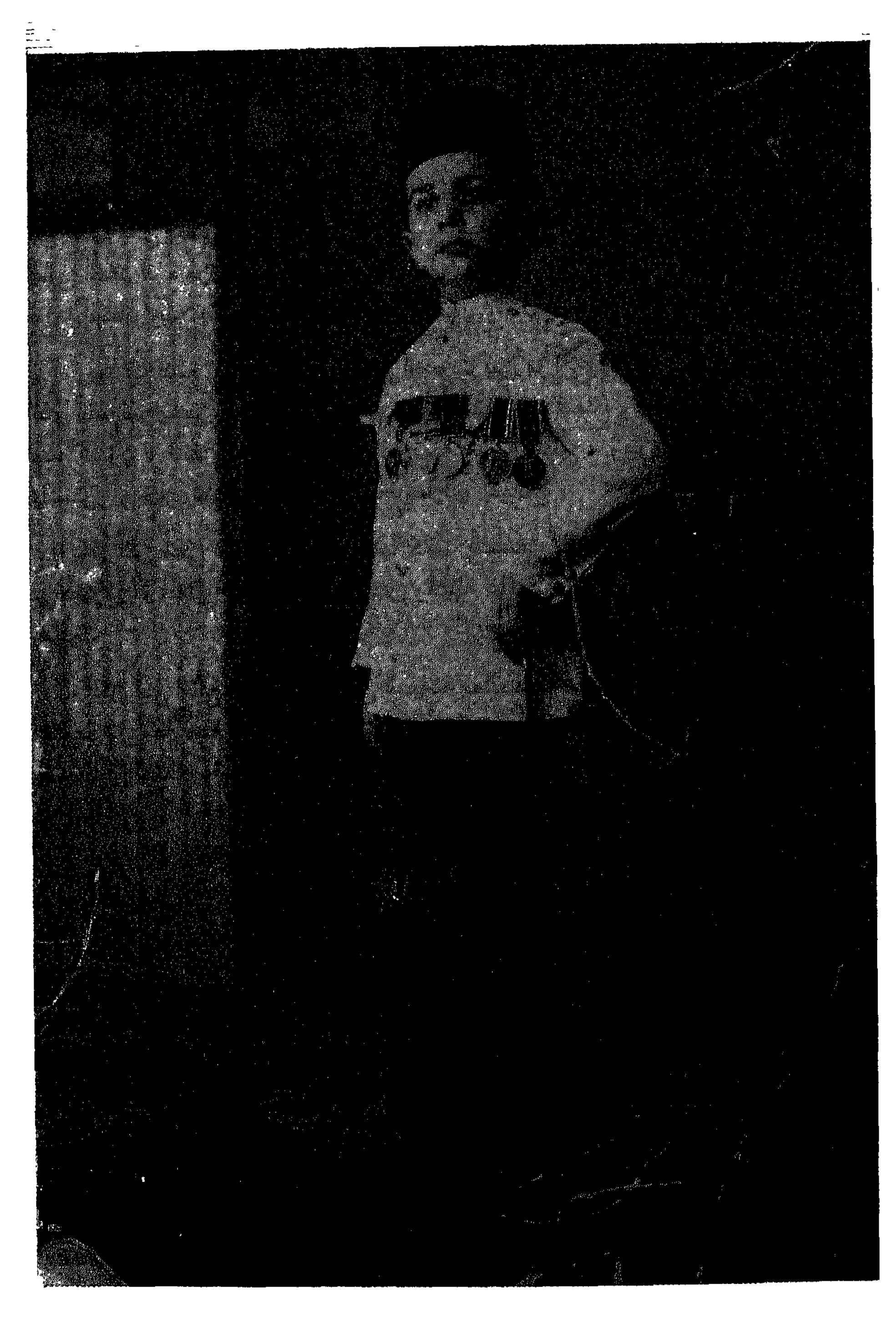
كل سكان التكية كانوا يُصلّون معا فى الجامع ، فإن تغيب أحد استحى الدراويش من دعوته للصلاة ، فقط كانوا يسألون عن صحته .. « ولعل المانع خير » فيسرع الغائب إلى المسجد مع أول أذان .

حتى الأذان كان هادئا .. وديعا ، وكأنه دعوة حانية إلى لقاء حميم .

هذه العلاقة الحانية مع الدين ظلت تتملكنى حتى الآن ، ولم يزل طيف عثمان أفندى يمنحنى الكثير من السكينة عندما أتذكره وهو يعطى للناس كل وقته كى يعلمهم القراءة والكتابة ، ويبدو طوال وقته معهم سعيدا وممتنا لأنهم يقدمون له صنيعا إذ يتيحون له الفرصة كى يتقرب أكثر إلى صحيح الدين .

وكثيرا ما يحلق فى خيالى : ماذا لو كنت قد واصلت رحلتى مع الطريقة النقشبندية ؟ فعندما توفى جدى عثمان خالد ، وكنت أيامها ضابطا بالجيش ، عرضوا علىّ مشيخة الطريقة من بعده ، لكن عبق الدراويش كان قد اجتذبنى نحو التعبد فى طريق أكثر رحابة ، خدمة الوطن والشعب ككل . واعتذرت عن تولى المشيخة وتولاها ابن خالتى .

(*) التختبوش : كلمة تعنى المضيفة .



□ خالد محيى الدين فى سن السادسة .

.. وفى التكية حيث الهدوء والسكينة النفسية لم يكن ثمة مجال للاقتراب من السياسة ، حتى تفجرت مظاهرات ١٩٣١ ، كنت فى التاسعة عندما شاهدت صخب المتظاهرين وتصادمهم مع البوليس ، والتقطت أذناى المندهشة هتافاتهم الصاخبة ، لكن هذا الصخب لم يهز هدوء التكية ولو بأقل قدر . حتى كان يوم تصاعد فيه الصخب داخل التكية ذاتها ، أبى الذى يأتى لعدة أيام كل أسبوع ، كان ساخطا على مظاهرات المعادين لصدقى ، أما خالى العائد لتوه من فرنسا حيث حصل على ماجستير فى الاقتصاد فكان معاديا لصدقى منددا بدكتاتوريته متشددا فى المطالبة بالدستور .

وبدأت أتابع نقاشا صاخبا مرتفع الصوت بين مزارع ثرى يشعر بالامتنان لصدقى الذى أنقذ المزارعين من ديون تراكمت بحيث استحال سدادها ، وقرر تسوية عادلة ومريحة لهذه الديون ، فأنقذ بذلك أراضيهم المرتهنة من الضياع ، وبين شاب متحمس يتمسك بالدستور ويعتبر انتهاكه معصية لا يغفرها أى إصلاح .

لم أكن أعى أكثر النقاش ، لكنها كانت اللمسات السياسية الأولى التى ظلت متبقية فى ذاكرتى ، ولعلها أثارت لدىّ هواجس وأسئلة غامضة ، لم تجد إجابة لها إلا بعد سنوات عديدة .

لكن أبى امتنع عن الحديث فى السياسة بعد ذهاب صدقى ، وظل خالى يتحدث دون مقاطعة أو معارضة عن الدستور والديمقراطية ، وأنا أستمع فى انبهار ، ولعل كلماته وحججه وإلحاحه على ضرورة الديمقراطية قد تركت فى تكوينى آثارا بقيت حتى الآن .

ومن المدرسة الابتدائية إلى الابراهيمية الثانوية لعامين ، وبعدها أصر والدى على أن نترك التكية ، إلى بيت جديد فى شارع الملكة نازلى (رمسيس حاليا) قرب شارع أحمد سعيد ، وكان طبيعيا أن أنتقل إلى مدرسة جديدة ، وهى مدرسة فؤاد الأول .. وكانت واحدة من أكثر المدارس إسهاما فى التحركات الطلابية والمظاهرات ، واندمجت بالطبع - وربما رغم أنفى - فى المناخ السياسى المتفجر عام ١٩٣٥ .

.. والغريب أننى فيما بعد علمت أن أنور السادات كان معى فى ذات المدرسة ، لكننى لم أتعرف عليه ، فقد كان يسبقنى بعدة سنوات ، كذلك كان زكريا محيى الدين معى فى المدرسة ، لكنه كان فى السنة الخامسة أى التوجيهية .

وفى مدرسة فؤاد الأول بدأت فى الانغماس فى المناخ السياسى العام ، وشاركت فى العديد من المظاهرات ، ويأتى عام ١٩٣٦ مصحوبا بالصخب والجدل حول معاهدة ١٩٣٦ ،

وأندمج أنا أكثر فأكثر فى المناخ السياسى والمناقشات السياسية مع الطلبة ، وتسيطر المشاعر الوطنية على الفتى القادم من تكية النقشبندية لتمتزج فى تآخ وانسجام تام مع المشاعر الدينية المتدفقة فى اعتدال ، والممتزجة بمحبة الناس كجزء لا ينفصم عن محبة الله .

ومن مدرسة فؤاد الأول إلى فاروق الأول بالعباسية ، وكانت المشاعر الوطنية تتراكم بصورة واضحة . كنا جميعا كذلك ، مصر كلها كانت فى حالة عصبية ، فالمعاهدة وقعت ، والانجليز مازالوا موجودين ، وهتلر وموسولينى يطرحان أفكارهما التى تجد رواجا لدى البعض ، وفى أحيان كثيرة يختلط العداء للانجليز والاحتلال بالإعجاب بهتلر الذى يملأ قلب الانجليز رعبا .

ويبدأ إعجابى بأحمد حسين ومصر الفتاة ، كلماتهم الساخنة فى مجلة « الصرخة » كانت تحرك مشاعرى بالعداء للاحتلال وبمحبة الوطن .

ثم خطوت أول خطوة باتجاه السياسة فى حياتى . كان معى فى المدرسة طالب اسمه « النشار » وكان قريبا لأحمد حسين ، ولا يكف مطلقا عن مهاجمته ، كتبت رسالة لأحمد حسين لأبلغه فيها بهذا الهجوم ، وأرسل لى ردا يشكرنى فيه ، لكنه توجه إلى أسرة زميلى ، وتسببت رسالتى فى مشكلة عائلية .

.. وفى عام ١٩٣٨ أحصل على شهادة الثقافة (الصف الرابع الثانوى) ، وفى هذا العام تحديدا ـ وكانت النية تتجه من فترة إلى توسيع الجيش المصرى وزيادة عدده ، ورفع مستواه التسليحى والتدريبى استعدادا لاحتمالات نشوب الحرب العالمية الثانية ـ أعلن عن قبول دفعة فى الكلية الحربية من الحاصلين على الثقافة العامة بحجة أنهم سوف يستكملون دراسة التوجيهية فى الكلية الحربية .. ويحصلون على توجيهية عسكرية تماثل شهادة إتمام الدراسة الثانوية ، وفعلا درسنا فى الكلية الحربية كيمياء وطبيعة وكل علوم التوجيهية وامتحنا فيها ، وحصلت على التوجيهية العسكرية ، ثم أكملت فى الكلية الحربية .

والحقيقة أن قصة قبول دفعة بالثقافة العامة ـ وهو الأمر الذى تكرر مرة واحدة بعد ذلك فى عهد حكومة الوفد عام ١٩٤٢ ـ كانت من أجل عيون « ابراهيم خيرى » ، وهو واحد من أصهار الملك ، وكان لديه ابن متعثر فى التوجيهية ويريد أن يلحقه بالكلية الحربية فكان له ما أراد ، واغتنمت أنا الفرصة ودخلت الكلية الحربية .

وحتى الآن ، كثيرا ما أستعيد هذه الأيام ، وأسأل نفسى لماذا أقحمت نفسى فى هذا الطريق ، فلم أكن طالبا متعثرا ، وكان أبى يغرينى ويلح علىّ بأن أحصل على التوجيهية

ليرسلنى إلى أمريكا لأدرس الزراعة الحديثة وأستمر حتى أحصل على الدكتوراه . لكننى كنت أندفع باتجاه آخر ، كانت الروح الوطنية تلهب مشاعرنا نحن الشباب فى هذه الفترة ، وكنا نشعر أن مصر بحاجة إلى جيش حقيقى قادر على حمايتها ، جيش وطنى يعمل من أجل الوطن وليس من أجل قوى أخرى ، وهكذا تعلقت بفكرة الانضمام إلى الكلية الحربية ، وبعد معارضة شديدة من أبى وإصرار حاسم منى .. دخلت الكلية الحربية .

□ □ □

نوفمبر ١٩٣٨ .. وبضعة أشهر فوق السادسة عشرة من عمرى .. وقفت فى أول طابور بالكلية الحربية ، الضبط والربط ينبعان هنا ليس من اضطرار الطالب لاتباع الأوامر والتعليمات ، فثمة شىء ينمو فى أعماق الفتى القادم من تكية السادة النقشبندية ، فالمشاعر الدينية المتدفقة تستضيف إلى جوارها إحساسا مصريا عميقا بحب الوطن ، وبضرورة أن يكون له جيش وطنى بحق ، قادر على الدفاع عن سيادته بحق .

وأتقبل برضاء تام كل صعوبات الأيام الأولى فى الكلية ، تلك الصعوبات التى تستهدف وعن عمد تطويع القادمين من الحياة المدنية ، « الملكية » كما كنا نسميها لتحويلهم إلى عسكريين مشبعين بروح الانضباط .

أستعيد الآن أسماء عديدة تلاقيت معها بالكلية الحربية ، مجدى حسنين ولطفى واكد وصلاح هدايت وكانوا دفعتى ، ثروت عكاشة ، حسن ابراهيم وكان « امباشى » ، وكذلك صلاح سالم أيضا كان « امباشى » ، وكمال الدين حسين كان « شاويش » ، عبد اللطيف بغدادى كان فى نهائى ، وكان هو وحسن ابراهيم فى الطيران يحضران معنا الدراسة فى الكلية ثم يذهبان ليتدربا على الطيران .

وأستكمل الأسماء .. زكريا محيى الدين كان مدرسا لى فى نهائى ، يوسف صديق وكان مدرسا أيضا ، وكان أحمد عبد العزيز يدرس لنا « تاريخ عسكرى » ، وكان وطنيا دافق الوطنية وأثر فينا تأثيرا كبيرا .

ولابد أن نتوقف لبعض الوقت لنتساءل : **كيف أتى هؤلاء جميعا فى هذه الفترة بالذات ؟ ولماذا أسهموا جميعا فى حركة الضباط الأحرار فيما بعد ؟ والإجابة سهلة .. ففى ١٩٣٦ وبعد توقيع المعاهدة اتجهت النية لزيادة عدد الجيش ومن ثم زيادة عدد الضباط ، ولعل الانجليز أدركوا احتمال الاحتياج إلى قوات**

مصرية فى صدامهم المرتقب مع هتلر ، فقرروا زيادة الجيش وزيادة تسليحه وتحويله إلى جيش حقيقى .

وقبل ١٩٣٦ كانت الكلية الحربية لا تقبل إلا عددا محدودا من الضباط ، كلهم من أبناء الفئات العليا المصرية ، وكانت الدراسة بها شكلية تُخرِّج ضباطا ليس مطلوبا منهم أية واجبات قتالية ، أو عسكرية حقيقية .

وفى الفترة من ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ تدفق إلى الكلية الحربية كثيرون من أبناء الطبقة الوسطى ، وربما الفئات الدنيا منها (صغار موظفين ـ متوسطى وصغار ملاك ـ تجار متوسطين .. وهكذا) وأصبحت البرامج أكثر جدية ، وسرعان ما ذخرت الكلية أساتذة وطلابا بموجة وطنية عالية .

.. كانت الحرب العالمية الثانية تطل على الجميع لتروعهم ، وبدأنا فى مناقشاتنا الليلية نتحدث عن مشكلة السوديت وهولندا ، وهتلر والانجليز ، ثم اشتعلت الحرب وبدأت خريطة العالم تعلن فى ساحة الكلية وعليها أسهم بتحرك القوات ، ولابد لذلك كله أن يخلق مجالا لتراكم النقاش والمشاعر والأفكار .

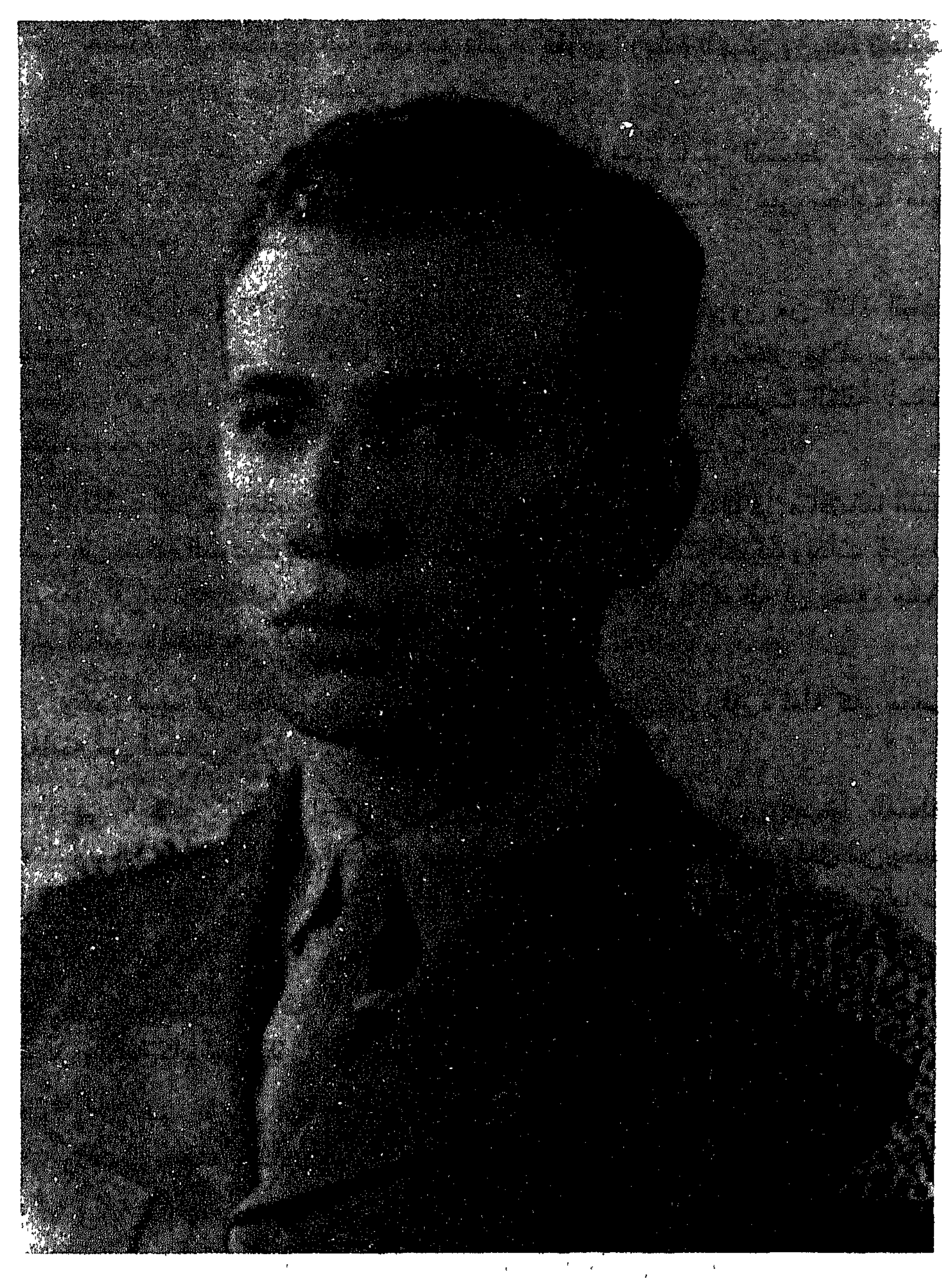
وكنت أسهم فى النقاش ، وكانت المشاعر الوطنية تتدفق فى رفق ، لعله كان بعض ما تعلمته من أساتذتى الأول : دراويش النقشبندية . "

وفى المكتبة كنت أقرأ كثيرا حول المشكلات الاستراتيجية ، وقضايا المنطقة وانعكاساتها العسكرية ، وحرب الدبابات ، واستهوتنى المعارف العسكرية ، ولعل من يطالع بطاقة الاستعارة من المكتبة الخاصة بالطالب خالد محيى الدين يتخيل أنه منغمس كليا فى الشئون والمعارف العسكرية .

لكن المناقشات الخافتة الصوت كانت تجرى بيننا ، والمستشارون العسكريون الانجليز بالكلية كانوا يحركون مشاعرنا المرهفة ، وبوجودهم كنا نستشعر حالة هى أقرب إلى الهوان .

وذات يوم همس طالب من دفعتى هو مجدى حسنين فى أذنى : « **شايف اليافطة دى ؟** »

كانت لافتة من الورق مثبتة على باب المستشار البريطانى مكتوب عليها بالانجليزية « المستشار العسكرى البريطانى » ، تهامسنا طويلا ، وبدأت مشاعرنا تتقد ضد لافتة من الورق مكتوب عليها بالانجليزية ، وفى سرية



□ الملازم ثان خالد محيى الدين عقب التخرج
من الكلية الحربية فى سبتمبر ١٩٤٠ .

تامة أعددنا لافتة أخرى مكتوبة باللغة العربية ، وفى المساء تسللنا معا لننزع اللافتة الانجليزية ونثبت مكانها اللافتة العربية .

عدت إلى سريرى ولم أستطع النوم إلا قليلا ، شىء ما يغلى فى داخلى ضد الوجود الانجليزى فى الكلية ، بعض الخوف يتسلل إلىّ : ماذا لو اكتشفونا ؟ وظللت طوال الليل أخمن .. ماذا سيحدث فى طابور الصباح ؟

وفى الصباح لم يحدث شىء .

كأن شيئا لم يحدث ، فقد شاءت إدارة الكلية ألا تضخم هذا العمل ، وألا تجعل من هذه المشاغبة حديثا مسموحا به بين طلاب الكلية .

ومر الحادث بسلام .

□ □ □

عامان إلا قليلا فى الكلية الحربية ..

من نوفمبر ١٩٣٨ حتى سبتمبر ١٩٤٠ ..

فى السنة الأولى حصلت على التوجيهية العسكرية التى مكنتنى فيما بعد من الالتحاق بكلية التجارة ، وفى الثانية أكملت دراستى العسكرية .

وتخرجت برتبة الملازم ثان وأنا فى الثامنة عشرة من عمرى لأعمل فى الآلاى الأول دبابات « سلاح الفرسان » ، **ولم تمض سوى عدة أسابيع حتى صدمت صدمة شديدة حركت فىّ كل ما تراكم فى نفسى من مشاعر وطنية .**

٢ ملازم ثان

* وأخذ الانجليز دباباتنا .
* فى ٤ فبراير بكى الضباط غيظا .
* « أستاذى فى الوطنية » ـ العبارة التى أغضبت جمال عبد الناصر .
* .. عثمان فوزى وبداية جديدة .

كنت كما قلت فى الثامنة عشرة من عمرى ، وأخذت أزهو بلباسى العسكرى المميز لسلاح الفرسان ، وكانت عبارة « الآلاى الأول دبابات » تثير الزهو فى نفسى ، وتثير بنفس القدر الإعجاب لدى الآخرين ، كان مرتبى اثنى عشر جنيها ، وهو مرتب ضخم بالمقارنة بأسعار ذلك الزمان ، خاصة وأن زملائى فى الدراسة كانوا لا يزالون طلابا فى الجامعة ..

واثنا عشر جنيها لملازم ثان لم تكن قليلة حتى بالنسبة للضباط المتزوجين ، ومن ثم فإن المشاكل الاجتماعية لم تكن تشغلنا ، ولم تتداخل كثيرا فى مشاعرنا أو تكويننا الفكرى .

عدة أسابيع فقط مضت علىّ وأنا أمتلك هذا القدر الكافى من الزهو بعبارة « ملازم ثان فى الآلاى الأول دبابات » .. فذات صباح ذهبت إلى الآلاى لأجد عددا من الضباط الانجليز يفحصون الدبابات ، سألت عما يجرى ، فكانت الإجابة حادة كسكين قاتل .. « **الانجليز سيأخذون دباباتنا** » ، كان الجيش الانجليزى قد تلقى هزائم ساحقة فى « دنكرك » على يد الألمان وفقد الكثير من سلاحه ، ووجدونا فريسة سهلة فأخذوا دباباتنا . كان بالآلاى أربع كتائب دبابات فأخذوا دبابات ثلاث كتائب وتركوا كتيبة واحدة .

إحساسنا بالمرارة لا يمكن أن يوصف ، وقدر المهانة لا يمكن تحديد حجمه ، فكيف نكون جيشا بلا أسلحة ؟ وكيف يأخذ المحتلون سلاحنا ؟ وتحولت عبارة « الآلاى الأول دبابات » إلى كلمات ذات طعم مرير فى فمى .

ولأول مرة أشعر من موقعى كضابط فى جيش مصر ، أننى أكره الاحتلال وأننى ضد الاحتلال . صحيح أن الوطنية كانت لم تزل إحساسا عاطفيا ، لكنه بدأ فى التدفق متواكبا مع أحداث عديدة صاحبت الحرب العالمية الثانية التى بدأت أحداثها وتداعيات معاركها تجتذب انتباهنا كمصريين وكعسكريين ، وأخذت جلساتنا فى « ميسات » الضباط تصطخب بمناقشات ممتدة حول الأوضاع العالمية والمحلية ، وبدأنا نتطرق لموضوعات جديدة تماما علينا ، فمن الحديث عن هتلر وموسولينى إلى الفاشية ، ومن الحديث عن صمود

الجيوش السوفيتية إلى الشيوعية .. ومن معاداة الفاشية إلى الديمقراطية .. وهكذا .

وزاد من عمق هذه المشاعر أننى قد اصطدمت بوجود ضباط انجليز فى الجيش المصرى كانوا مترفعين ويحصلون على مرتبات عالية جدا بالنسبة لنا ، بما أشعرنا أننا فى وطننا وفى جيشنا ضباط من الدرجة الثانية .

حتى نظرة المواطنين العاديين إلينا كانت تمتلك قدرا من الإحساس بذلك ، فإذا كان الانجليز يدّعون أنهم هم الذين يدافعون عن مصر ، وكانوا هم الذين يخوضون المعارك الفعلية ، وإذا كانوا قد أخذوا منا سلاحنا وحتى الدبابات المعطلة أصلحوها وأخذوها ، وإذا كنا نحن نخدم فقط وراء خطوط القتال ، فإننا وبرغم معاناة طويلة وحقيقية فى حراسة المنشآت وفى خدمات عسكرية عديدة ، كنا فى نظر العديدين نقوم بواجبات من الدرجة الثانية بينما الانجليز يقومون بالدور الأساسى .

وبدأ ذلك كله يؤثر فينا ، ويثير مشاعرنا ضد الانجليز ، وبدأت قضية الموقف من الاحتلال الانجليزى تشكل عنصرا هاما فى تفكيرى فى ذلك الحين .

ثم كان ٤ فبراير ١٩٤٢ ..

وابتداء أقرر أننى لم أكن أحب الملك ، لكننى كذلك لا أدعى أننى كنت فى ذلك الحين أكرهه ، كنت أعتبره رمز الوطن وقائد الجيش ، لكن لم أكن مثل عديد من الضباط الذين كانوا يتعلقون بجلالة الملك المفدى ، ويعتبرونه المثال والقدوة والرمز للوطن والوطنية .

وكان حادث ٤ فبراير إهانة مريرة لمصر وللملك وللجيش فاختلطت هذه المسائل معا ولم يكن من السهل الفصل بينها .

الانجليز حاصروا قصر عابدين بالدبابات ، ربما كانت ذات الدبابات التى أخذوها منا ، وعندما تصدى لهم ضابط الحرس الملكى أحمد صالح حسنى قبضوا عليه ودخلوا بالقوة ، وهناك أملى اللورد كيلرن إرادة بريطانيا على الملك وأمر بدعوة النحاس باشا لتشكيل وزارة وفدية ، وبطبيعة الحال يمتلك الوفديون وغيرهم تفسيرات قد تبدو الآن مقنعة لدى البعض ، فبعض المقربين من القصر الملكى من السياسيين كانوا على علاقة بالمحور ، والوضع العسكرى فى جبهة الصحراء الغربية كان سيئا ، وقد شاهد الناس فى فترة لاحقة دخانا كثيفا يتصاعد من مقر المندوب السامى البريطانى .. كان الانجليز يحرقون أوراقهم

استعدادا للهرب عند اقتراب الألمان ، ووضعت خطط عديدة لإعاقة تقدمهم بإغراق أجزاء من الدلتا .

كل هذا صحيح .

وصحيح أيضا أن التواطؤ مع الفاشية كان خطأ فادحا ، وإضرارا شديدا بمصالح الوطن . لكن ذلك كله كان يمكن التحدث به فى أروقة السياسيين أو بعد هدوء العواصف والعواطف والدخول فى تحليلات لأحداث وقعت فى الماضى ، أما ساعتها فقد كان الأمر جد مختلف . كانت مشاعرى غاضبة بصورة لم أعتد عليها ، وأحسست بمهانة شديدة كمصرى وكعسكرى .

ولم يكن هذا إحساسى وحدى .. ربما كنا جميعا كذلك .

محمد نجيب أكد أكثر من مرة أن حادث ٤ فبراير كان نقطة تحول فى حياته .

عبد الناصر أكدها كثيرا ، وقبل الثورة تحدث طويلا فى رسائله من السودان إلى أحد أصدقائه عن حادث ٤ فبراير وتأثيره المباشر على تفكيره وتكوينه ، وقد نشرت هذه الرسائل فى المصور بعد الثورة بعدة سنوات ..

وأنا كذلك .. أقرر ، كان حادث ٤ فبراير نقطة تحول فى حياتى .

كان الإحساس - قبل ٤ فبراير - ينمو فى أعماقى ، كنت أستشعر أكثر فأكثر اهتماما بهموم الوطن وانشغالا بها ، أما بعد ٤ فبراير فقد تحول الإحساس الوطنى إلى غضب دافق ، وإلى إحساس بضرورة أن أفعل شيئا ما ، ولكن .. أى شىء ؟

هذا هو السؤال الذى ظل يقلقنى ، ويدفعنى إلى القراءة ، لكنها كانت قراءة غير منتظمة ، ولم تستطع أن تقدم لى إجابة تريح ما يعصف بداخلى من مشاعر .

وفى أعقاب الحادث مباشرة أبلغنى أحد زملائي بأن هناك اجتماعا فى نادى الضباط ، ورأيت هناك عثمان فوزى وعديدا ممن أعرفهم .. وآخرين من ضباط كبار وصغار لم أرهم من قبل .

كان اللقاء عاصفا وغاضبا وحزينا ، ضباط يبكون مرارة وغيظا وقهرا ، وآخرون يصرخون بأعلى صوت من فرط الإحساس بالمهانة ، حوالى ٣٠٠ أو ٤٠٠ ضابط يتداولون بحدة فيما يجب أن نفعل ، يحركهم حس وطنى دافق ، ويقيدهم الانضباط العسكرى . طرحت فكرة تنظيم مسيرة إلى قصر عابدين لنعلن للملك رفضنا لما حدث ، لكن البعض

نكر أو تذكر أن الانضباط يمنع خروج الضباط فى مظاهرة أو مسيرة .. **أذكر أن أحمد عبد العزيز ـ وكان ضابطا محترما فقد تعلمنا على يديه فى الكلية الحربية دروسا فى الوطنية ـ وقف ليعلن أن ضابط الحرس الملكى أحمد صالح حسنى قد أضاع فرصة تاريخية لأنه كان يتحتم عليه أن يضرب الضابط الانجليزى بالرصاص ، فإن قتلوه كان شهيدا قادرا على أن يقدم لمصر رمزا لرفض الاحتلال ومقاومته .. وقال ضابط آخر إن ضابط الحرس الملكى طلب إذنا من الملك بضرب النار لكن الملك رفض وأصدر تعليمات مشددة بعدم استخدام القوة .**

وربما كان هذا الاجتماع العاصف ـ والذى كان الأول من نوعه ـ تعبيرا عن روح وطنية دافقة معادية للاحتلال اجتاحت الجيش المصرى ، ومهدت بالطبع لانخراط العديد من الضباط فى خضم العمل السياسى بحثا عن مخرج لمصر وللمصريين فى مواجهتهم مع الاحتلال ، وربما كان هذا الاجتماع أيضا تفسيرا كافيا لافتقاد الوفد لأى نفوذ حقيقى فى صفوف الجيش .

.. وحادث آخر ترك أثرا خطيرا فى نفسى ، أعتقل الضابطان أنور السادات وحسن عزت ، وكان السادات قد رُحِّل إلى ميس المدفعية ، وبقى حسن عزت فى ميس الفرسان بألماظة تحت التحفظ .

جلست طويلا فى إعجاب وشغف إلى هذا الضابط المعتقل والمتقد حماسا ووطنية ، كان يتحدث عن مصر بمحبة دافقة تثير الحمية فى أى إنسان ، كان يحكى عن مصر كوطن عظيم وبإمكانه أن يكون قوة عظمى ، ويتحدث عن إنجازات محمد على فى الصناعة والزراعة والتعليم ، ويؤكد أن مصر يمكنها أن تنهض لتضارع كل الدول المتقدمة ، وكان يلح على واجبنا كشباب وكضباط فى فعل شىء من أجل مصر ، وأن التاريخ سوف يحاسبنا يوما .. ماذا فعلتم من أجل وطنكم ؟

كانت كلماته ملتهبة ومؤثرة وصادقة .

وكنت أجلس إليه لألتهم هذه الكلمات التى هزتنى بصورة حادة ، ومعه اقتنعت بضرورة أن أعمل من موقعى كضابط فى عمل سياسى من أجل مصر ، ومن أجل تحريرها من سيطرة الاستعمار .

ولقد كان تأثرى بكلمات حسن عزت الدافقة الوطنية كبيرا إلى درجة أننى رتبت معه وسيلة لتهريبه من الميس فى حالة استدعائه للمحاكمة ، ولما كان باب الغرفة المتحفظ عليه

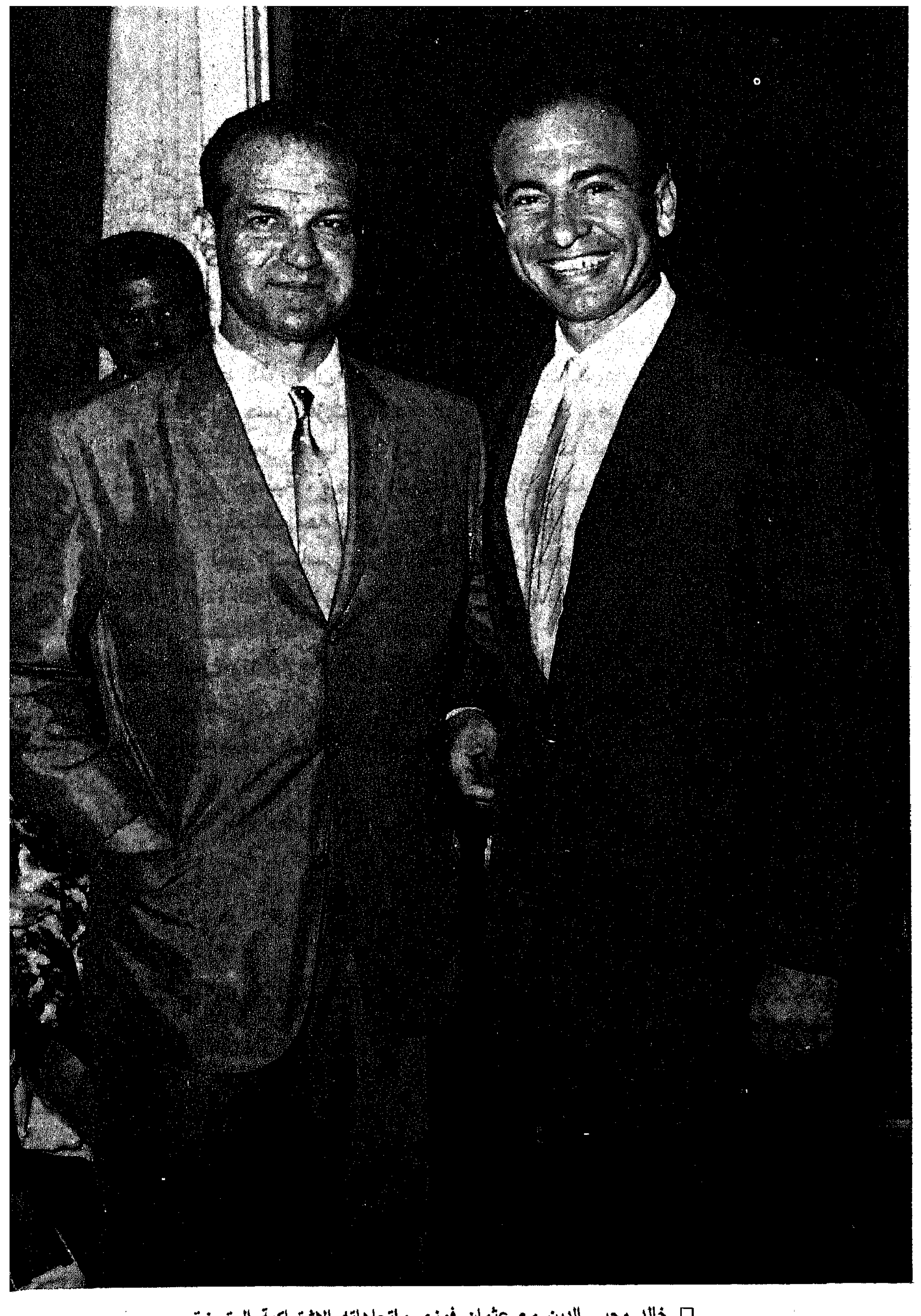
فيها فى ميس الفرسان يغلق عليه من الخارج ، فقد قمنا بفك أكرة الباب بحيث يمكنه فتح الباب من الداخل . كذلك كنت أتعاطف معه أنا وعدد من الضباط إلى درجة أننا كنا نصطحبه إلى خارج القشلاق لنسهر سويا ونعود مساء ، وأشهد أنه لم يخدعنا ولم يحاول الهرب منا .

ومرة أخرى أكرر أن تأثرى بحسن عزت كان حقيقيا ، فإليه أرجع الفضل فى إقناعى بضرورة الاشتغال بالسياسة دفاعا عن مصالح الوطن ، ولهذا فعندما طلب منى بعد الثورة أن أكتب مقدمة لكتابه قبلت بترحاب ، وقلت فى كلمتى صراحة « إن حسن عزت أستاذى فى الوطنية » ، وقد أغضبت هذه العبارة جمال عبد الناصر غضبا شديدا .. وقال لى : كيف تقول عن حسن عزت أنه أستاذك فى الوطنية ، وهو مشكوك فى مواقفه منا ، فقلت له : هذه مسألة أخرى ، قد تختلف معه الآن ، وقد يختلف معنا ، لكنه فعلا أول من أقنعنى بضرورة العمل السياسى ، وعاد عبد الناصر ليقول غاضبا : لا يليق بعضو مجلس قيادة الثورة أن يعطى هذا التعظيم لواحد مختلف معنا ، وعدت لأقول : أنا أقرر حقيقة وأنا لا أنسى فضله علىّ رغم اختلافنا معا الآن . وإذ أذكر حسن عزت ولقاءاتى به فى ميس الفرسان ، تتهادى ذكريات أخرى ، فذات مرة طلب منى أن أنقل رسالة إلى ضابط آخر هو عبد اللطيف بغدادى ، والتقينا معا أكثر من مرة فى مناقشات تلمست المسألة الوطنية ودورنا فيها ، وعن طريق بغدادى تعرفت بوجيه أباظه وانتظمت لقاءاتنا فيما يشبه محاولة للتجمع .. لكنها ما لبثت أن توقفت بعد إبعاد حسن عزت من القوات المسلحة .

ولابد لى قبل أن أنتقل إلى فصل آخر أن أتحدث عن زميل عزيز كان له تأثير كبير علىّ فى مطلع الأربعينات ، وهو ضابط الفرسان **عثمان فوزى** .

وهو ضابط مثقف وواسع الإطلاع ، وكان بحكم إتقانه لعدة لغات منها الانجليزية والفرنسية والتركية قادرا على ملاحقة الأحداث المتسارعة فى عالم الحرب العالمية الثانية ، وكان شغفه بالقراءة قادرا على نقل عدوى القراءة إلىّ ، وبعد فترة من تعارفنا تزوج من سيدة أجنبية مثقفة هى الأخرى وشغوفة بالقراءة .. السيدة ديدار عدس ، وكان لهذا الزواج أثره فى التقاء عثمان فوزى بالتيار الماركسى الذى كان يسرع بالانتشار فى مصر فى هذه الفترة .

وفى أيام تعارفنا الأولى لم يكن عثمان فوزى قد أصبح ماركسيا بعد ، لكنه كان يطالع



□ خالد محيى الدين مع عثمان فوزى واتجاهاته الاشتراكية المتميزة .

بنهم بحثا عن الإجابات للأسئلة التي تشغل بالنا جميعا ، كان يقرأ عن الرأسمالية والفاشية والاشتراكية ، وكل الألغاز الأخرى التى كانت قد تسللت بالفعل إلى عقولنا وأخذت تلح عليها بمزيد من القراءة والتعرف على مكنون هذه الكلمات ، التى كانت تتردد كثيرا فى هذه الفترة دون أن نتمكن من التعرف عليها تعرفا صحيحا وعلميا .

وإلى عثمان فوزى يرجع الفضل فى الاتجاه بقراءاتى المتشعبة وغير المنظمة إلى قراءة منظمة تتطلع إلى البحث عن إجابات محددة . كما أنه قد شجعنى على قراءة بعض الكتب الانجليزية حيث كانت المكتبة العربية فقيرة فى ذلك الحين فى هذه الموضوعات بالذات .

وحول عثمان فوزى تلاقت مجموعة من ضباط الفرسان يمكن القول بأنها مجموعة تبحث عن طريق جديد لمصر عبر القراءة والتعرف على مختلف النظريات السياسية ، كان عثمان فوزى هو محور هذه المجموعة ومعه عدد من ضباط الفرسان منهم أحمد مراد ، وعبد المجيد كريم ، وعدنان الصلح وهو ابن عمة عثمان فوزى ، وأنا وضابط آخر لا أذكر اسمه الآن ، كنا مجموعة من الضباط .. مجرد مجموعة أو شلة وليست تنظيما ولا حتى نواة تنظيم ، مجموعة مشحونة بالعاطفة الوطنية وبحب مصر وبضرورة عمل شىء كى تستقل مصر وتصبح بلدا عظيما .

كل ذلك دون أى تعمق يقودنا نحو توجه سياسى معين ، وبعدها بقليل أصبح عثمان فوزى ماركسيا .

وهكذا .. وفى البدايات الأولى تشابكت فى داخلى ثلاثة مؤثرات نبعت من ثلاثة أشخاص لم أزل أشعر نحو كل منهم بإحساس عميق بالاحترام والامتنان الذى لا ينسى ولا يتلاشى بمضى الزمن :

عثمان أفندى درويش الطريقة النقشبندية الذى كان يتفانى فى محبة الله عن طريق محبة الناس وخدمتهم .

وحسن عزت الذى كان يتفجر محبة لمصر وإحساسا بعظمتها وحقها فى الاستقلال ، وفى أن تصبح دولة عظمى .

وعثمان فوزى الذى عودنى على القراءة المنظمة ذات الأهداف المحددة ، ويمكن القول بأنه أكسب قراءاتى الطابع العلمى والمنهجى .

.. وبهؤلاء الثلاثة وفى صحبتهم دوما كنت أسير باحثا عن طريق لى يقودنى إلى ساحة أخدم فيها الوطن والشعب .. وهناك شخص رابع تزاملنا معا وعرفت فيه الطهارة والنقاء والرغبة فى العلم والاطلاع على كل جديد ، هو **ثروت عكاشة** ، فقد جمعتنا صداقة حميمة وشغفا للبحث على طريق لإنقاذ مصر ، وكان لحبه للعلم والثقافة بمختلف جوانبها أثره الكبير على تكوينى ومعرفتى .

ولاشك أن هذا البحث المضنى كان باديا علىّ وعلى عدد كبير من الضباط ، وحلّق فوقنا جميعا سؤال كبير : **ماذا نفعل ؟**

كنا نشعر بمأساة الوطن ، وكانت جراحه تدمى قلوبنا ، وكنا جاهزين كى نفعل شيئا ولكن أى شيء ؟ وفى أى اتجاه ؟

هذا السؤال كان يؤرقنى ، ولابد أنه كان يؤرق عددا كبيرا من الضباط ، وانطلق كل منا يبحث عن طريق ، وفى غمارهذا البحث وفى عام ١٩٤٤ جاءنى الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف وقال : تعال سأعرفك بضابط يجب أن تتعرف عليه .. والتقيت لأول مرة بجمال عبد الناصر .

٣ أنا وعبدالناصر والإخـــوان

* لقاء جزيرة الشاى .
* مع الإخوان .. ولكن .
* أقسمنا على المصحف والمسدس ..
* ثم انسحبنا بهدوء ..

كنا فى نهاية عام ١٩٤٤ ، وكانت الحيرة تغلفنا جميعا بحثا عن طريق لنا ولمصر . وذات يوم مر علىّ عبد المنعم عبد الرؤوف وعرض علىّ أن نلتقى بضابط آخر يحمل ذات الهموم ويبحث عن إجابات لذات الأسئلة ، وأخذنى لأقابل **جمال عبد الناصر** .

وكان لقائى الأول معه ..

لكن عبد المنعم عبد الرؤوف مالبث أن طلب منى أن يعرفنى بضابط آخر .. وأخذنى إلى جزيرة الشاى فى حديقة الحيوان حيث قابلت الصاغ **محمود لبيب** الذى عرفت فيما بعد أنه مسئول الجناح العسكرى فى الإخوان المسلمين .

ذهبت فى لقائى الأول ومعى عثمان فوزى ، وبدأ محمود لبيب يتكلم فى تؤدة ويتطرق إلى موضوع الدين دون تعجل ، كان يعرف أن محركنا الأساسى هو القضية الوطنية فظل يتحدث عن هذا الموضوع ولكن بنكهة إسلامية ، وكنت ألح فى استخراج إجابات محددة عن أسئلة شغلت بالى طويلا ، الوطن وكيف سنحرره وبأية وسيلة ؟ وما هو الموقف من المفاوضات ؟ وكان يجيب هو فى حذر وذكاء ، لم يكن يريد أن يخسرنى بإلقاء الإجابات التقليدية للإخوان ، كان يقول : مصر سيحررها رجالها ، وشباب القوات المسلحة هم قوتها الضاربة .. وكلام من هذا القبيل .

اشتم عثمان فوزى رائحة الإخوان من الحديث ، وقال لى ونحن عائدان من مقابلتنا : **هذه جماعة خطرة وضارة ، لكننى كنت سعيدا بالمقابلة ، وقلت إن الوطن بحاجة إلى تضحية ، والاتجاه الإسلامى يمكنه أن يبث فى الشباب روح التضحية .**

صمم عثمان فوزى على موقفه ، وانسحب ولم يحضر مرة أخرى ، وواصلت أنا مقابلاتى مع محمود لبيب ، وفى مرة تالية حضر اللقاء جمال عبد الناصر ، فعبد المنعم عبد الرؤوف قابلنى بجمال ، ثم قابل كل منا على انفراد بمحمود لبيب .

وبدأت علاقة من نوع غريب مع جماعة الإخوان ، وتكونت مجموعة عسكرية تضم العديد من الضباط ، ولم نعد نلتقى فى أماكن عامة وإنما بدأنا نعقد اجتماعات منتظمة فى البيوت ، فكنا نجتمع فى بيت مجدى حسنين وأحيانا فى بيت الضابط أحمد مظهر (وهو نفس أحمد مظهر الفنان) ، وفى هذه

اللقاءات الإخوانية كان يحضر معنا جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسين حموده وحسين الشافعى وسعد توفيق وصلاح خليفة وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم . كانت علاقة الإخوان بهذه المجموعة من الضباط تتسم بالحساسية ، ففجأة وجد الإخوان أنفسهم أمام كنز من الضباط المستعدين لعمل أى شىء من أجل الوطن .

لكن هؤلاء الضباط لم يكونوا على ذات الدرجة من الولاء للجماعة ، فمثلا صلاح خليفة وحسين حموده كانا من الإخوان قلبا وقالبا ، أما الآخرون فكانوا مجرد عناصر تبحث عن طريق ، لسنا ضد الإخوان ، بل نحن معهم ، لكننا لسنا معهم بالكامل ، **فعبد الناصر مثلا كان يعتقد أن الإخوان يريدون استغلالنا كضباط لتكون أداة فى أيديهم ونعطيهم مكانة سياسية بوجود نفوذ لهم فى الجيش لكنهم لن يقدموا شيئا للقضية الوطنية ، وكان جمال يلح فى الاجتماعات : إذا كان لديكم نصف مليون عضو وأربعة آلاف شعبة فلماذا لا نبدأ بعمليات ضرب ضد الاحتلال ، ومظاهرات وتحركات جماهيرية ؟**

وكنت أنا دوما عنصرا مثيرا للقلق فى الاجتماعات ، كان عثمان فوزى يلاحقنى بالكتب ويدعونى إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية ، وفيما يبدو أنه كان قد أصبح على علاقة فعلية بالحركة الشيوعية ، لأنه فى ذلك الحين أحضر لى كتابا ذا غلاف أخضر مطبوعا بالعربية لروجيه جارودى هو « **الاقتصاد محرك التاريخ** » . وبنهم قرأت الكتاب لاكتشف أن إجابات عديدة بدأت تتلاحق ولأربط بين مصر وبين المصريين ، بين تحرير الوطن وبين تحرير المواطن ، وبدأت مشكلات الوطن الاجتماعية تشغل جزءا هاما من تفكيرى ، وبدأت ألح على محمود لبيب فى اجتماعاتنا : **ما هو برنامج الجماعة ؟ فيجيب : الشريعة ، كنت أقول : كلنا مسلمون ، وكلنا نؤمن بالشريعة لكن تحديدا ماذا سنفعل لتحرير الوطن ، هل سنخوض كفاحا مسلحا أم نقبل بالتفاوض ؟ وماذا سنقدم للشعب فى مختلف المجالات ، فى التعليم والإسكان والزراعة وغيرها من القضايا الاجتماعية ؟ وكان محمود لبيب يزوغ من الإجابة وأنا أطارده ، وانتهى الأمر بأن أحضر لنا الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان .**

وللحقيقة كان حسن البنا يمتلك مقدرة فذة على الإقناع وعلى التسلل إلى نفوس مستمعيه ، وكان قوى الحجة واسع الاطلاع ، وفى اللقاء الأول معه بدأنا نحن بالحديث وطرحنا ـ أنا وعبد الناصر ـ آراءنا ، وعندما تكلم البنا أفهمنا بهدوء وذكاء أن الجماعة تعاملنا معاملة خاصة ، ولا تتطلب منا نفس الولاء الكامل الذى تتطلبه من العضو العادى ، وقال : **نحن الإخوان كبهو واسع الأرجاء يمكن لأى مسلم أن يدخله من أى مدخل لينهل**

منه ما يشاء ، فالذى يريد التصوف يجد لدينا تصوفا ، ومن يريد أن يتفقه فى دينه فنحن جاهزون ، ومن يريد رياضة وكشافة يجدها لدينا ، ومن يريد نضالا وكفاحا مسلحا يجدهما ، وأنتم أتيتم إلينا بهدف القضية الوطنية ، فأهلا وسهلا .

تناقشنا معه ، وكان رحب الصدر ، ألححت فى ضرورة إعلان برنامج ، قلت : لن نستطيع أن نكسب الشعب بدون برنامج واضح يقدم حلولا عملية لمشاكل الناس ، وأجاب : لو وضعت برنامجا لأرضيت البعض وأغضبت البعض ، سأكسب ناسا وأخسر آخرين ، وأنا لا أريد ذلك .

وتتالت مقابلاتنا مع حسن البنا ، وقد كان يمتلك حججا كثيرة لكنها لم تكن كافية ولا مقنعة بالنسبة لأكثرنا ، وظل عبد الناصر مستريبا فى أن الجماعة تريد أن تستخدمنا كمجموعة ضباط لتحقيق أهدافها الخاصة ، وظللت أنا أوالى قراءة ما يزودنى به عثمان فوزى من كتب ، وأزداد إلحاحا فى مناقشاتى على ضرورة وضع برنامج للجماعة يحدد أهدافها الوطنية وموقفها من مطالب الفئات المختلفة ، وبدأت فى هذه المناقشات أنحو منحى يساريا ، وأصبحت نشازا فى مجموعة من المفترض أنها تابعة للإخوان المسلمين .

وأخيرا حاول حسن البنا أن يشدنا إلى الجماعة برباط وثيق ، وتقرر ضمى أنا وجمال عبد الناصر إلى الجهاز السرى للجماعة .. ربما لأننا الأكثر فعالية وتأثيرا فى المجموعة ، ومن ثم فإن كسبنا بشكل نهائى يعنى كسب المجموعة بأكملها ، وربما لأننا كنا نتحدث كثيرا عن الوطن والقضية الوطنية ، ومن ثم فقد تصور حسن البنا أن ضمنا للجهاز السرى حيث التدريب على السلاح والعمل المسلح يمكنه أن يرضى اندفاعنا الوطنى ، ويكفل ارتباطا وثيقا بالجماعة .

المهم اتصل بنا صلاح خليفة ، وأخذنا - أنا وجمال عبد الناصر - إلى بيت قديم فى حى الدرب الأحمر باتجاه السيدة زينب ، وهناك قابلنا عبد الرحمن السندى المسئول الأول للجهاز السرى للإخوان فى ذلك الحين ، وأدخلونا إلى غرفة مظلمة تماما واستمعنا إلى صوت أعتقد أنه صوت صالح عشماوى ، ووضعنا يدنا على مصحف ومسدس ، ورددنا خلف هذا الصوت يمين الطاعة للمرشد العام فى المنشط والمكره (الخير والشر) وأعلنا بيعتنا التامة الكاملة والشاملة له على كتاب الله وسنة رسوله .

وبرغم هذه الطقوس المفترض فيها أن تهز المشاعر ، فإنها لم تترك إلا أثرا محدودا سواء فى نفس عبد الناصر أو نفسى .

وعلى أية حال ، بدأنا بعدها عملنا فى الجهاز السرى ، أخذونا للتدريب فى منطقة قريبة من حلوان ، وطبعا كنا نحن ضباطا نفهم فى السلاح أكثر ممن يدربوننا ، وكان عبد الناصر يبدو ممتعضا من ذلك ، وبدأنا نستشعر حالة من الاغتراب عن الجماعة .

وأتى عام ١٩٤٦ ليجد مصر فى مد وطنى عارم ، وتحركت جماهير شعبية واسعة تحت شعارات اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، وإذ التهبت المظاهرات وتساقط الشهداء وتزايد الصدام مع الحكم ، قررت الحكومة الاستعانة بالجيش فى مواجهة المظاهرات .

وتقرر إرسالى ضمن قوة من الفرسان إلى المنصورة لمواجهة المظاهرات بها ، وكان معى من الضباط ثروت عكاشة ، وعسكرت قوتنا فى منزل عائلة نور بشارع البحر قرب سينما رويال ، وبقينا هناك حوالى شهر ونصف الشهر . هناك جرى نقاش طويل بينى وبين ثروت عكاشة : **كيف نضرب المواطنين الذين يتظاهرون طلبا للاستقلال ؟ وكيف نعتبر أنفسنا وطنيين إذا سمحنا للحكومة أن تستغلنا فى سحق الحركة الوطنية المعادية للاحتلال ؟ وتعاهدنا ألا نسمح باستخدام الجيش ضد الشعب .**

لكن المظاهرات ازدادت اشتعالا فى المنصورة بصورة كبيرة ، وعندما سقط أحد الطلاب شهيدا برصاصة مباشرة من ضابط بوليس التهبت البلدة وعجز البوليس عن السيطرة على المظاهرات ، وطلب الحكمدار منا أن ننزل لنفرق المظاهرات .

كان قائد القوة الضابط عبد الخالق كامل ، وكان برتبة بكباشى ، وهو ابن لضابط مصرى وأم سودانية ، وذهبت إليه أنا وثروت عكاشة وقلنا له : **لا يجوز أن تنزل قواتنا إلا إذا قدم لنا حكمدار البوليس طلبا كتابيا يعلن فيه أنه عاجز عن حفظ الأمن بالبلدة ويسحب قواته ويتركنا نتصرف ، وطبعا الحكمدار رفض أن يكتب طلبا كهذا لأن معناه إقرار منه بعجزه وفشله . وقلنا للبكباشى عبد الخالق كامل : إذا كنت تريدنا أن ننزل إلى البلدة فلا بد أن ينسحب البوليس نهائيا ، ونحن على استعداد للتفاهم مع الأهالى . ورفض حكمدار البوليس ذلك أيضا .**

وهكذا تخلصنا من مأزق حقيقى وضع واجباتنا العسكرية كضباط فى مواجهة واجباتنا الوطنية ، ولم تشارك قوتنا فى أى عملية قمع للمظاهرات ، وظللنا هناك لمدة شهر ونصف الشهر دون أى عمل ، ثم عدنا إلى القاهرة .

وأعود مرة أخرى إلى علاقتنا بجماعة الإخوان ، كانت الأحداث السياسية تتسارع ، وكشفت جماعة الإخوان عن وجهها السياسى ، وتصرفت كجماعة سياسية وتخلت عن دعاوى النقاء الدينى ، ولما كانت بحاجة إلى صحيفة يومية وورق صحف فى ظل أزمة شديدة فى الورق ، تقاربت من اسماعيل صدقى ، وحصلت فى مقابل تقاربها هذا على ما أرادت من دعم .

كذلك وقفت الجماعة ضد اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، وحاولت أن تشكل جماعة أخرى بالتعاون مع اسماعيل صدقى . وبدأنا نحس أنهم مثل أى سياسيين آخرين يفضلون مصلحتهم ومصلحة جماعتهم على ما ينادون به من مبادىء ، وعلى مصلحة الوطن .. وتحادثت طويلا مع جمال عبد الناصر حول علاقتنا بالجماعة ، وأفضى جمال لى بمخاوفه من أن الجماعة تستخدمنا كضباط لمصالحها الذاتية وليس لمصلحة الوطن ، وأفضيت له بمشاعرى واتفقنا أننا قد تورطنا أكثر مما يجب مع هذه الجماعة ، وأنه يجب أن ننسحب منها .

لكنه لا يمكن أن نقول إننا فى يوم كذا انسحبنا من الجماعة ، فقط أصبحت الشكوك تملؤنا وأصبحنا على غير وفاق ، وغير متحمسين ، وبدأنا نتباعد أنا وجمال ، وربما بدأت الجماعة هى أيضا تستشعر أننا لا نمتلك الولاء الكافى فبدأت تتباعد عنا .

وتدريجيا يأتى عام ١٩٤٧ ليجد علاقتنا ـ جمال وأنا ـ وقد أصبحت باهتة تماما مع جماعة الإخوان ، ولكننى كنت لم أزل على علاقتى الحميمة بعثمان فوزى ، وكان لم يزل يزودنى من حين لآخر بكتب لأقرأها ، وباليقين كان عثمان فوزى قد أصبح عضوا فى جماعة ايسكرا .

وفى يناير أو فبراير ١٩٤٧ قابلنى صديق هو أحمد فؤاد وكان وكيل نيابة ، وكنا أعضاء معا فى نادى القاهرة النهرى حيث كنت أمارس رياضة التجديف . قابلنى أحمد فؤاد وقال : أريد أن نجلس معا لنتحادث .. فجلسنا وتحادثنا ، ومنذ اللحظة الأولى أحسست أن لعثمان فوزى علاقة بهذا اللقاء .

٤ .. من «الإخوان»
إلى «ايسكرا»

* .. المرور فى ايسكرا دون إقامة .
* الثالوث الغريب : عبد الناصر ـ عبد الرؤوف ـ يوسف رشاد .
* .. كلية التجارة .. ضمان للمستقبل .
* وقال الطالب ياسر عرفات : أنت تتكلم كالتقدميين .
* مقابلة عبد الناصر وعبد الهادى وبداية العمل الجاد .

في أوائل ١٩٤٧ - يناير أو فبراير لا أذكر تحديدا - التقيت بأحمد فؤاد ، ولست أعتقد أن الأمر تم بالمصادفة ، فقد كان أحمد فؤاد يبحث عنى ، والحقيقة أننا كنا صديقين قدامى ، فقد تزاملنا فى مدرسة الناصرية الابتدائية ، وتلاقينا كثيرا فى نادى القاهرة النهرى ، وكثيرا ما تشاركنا التجديف معا ، وعندما رآنى قال دون مقدمات : هل تمانع فى أن نجلس سويا - كنت أعرف أنه وكيل نيابة ، وأنه شيوعى - ولم أمانع فى مقابلته ، وفى المقابلة حضر على الشلقانى المحامى وتحدثا مباشرة ودون لف أو دوران وعرضا علىّ الدخول فى منظمة ايسكرا الشيوعية . هذا الطلب المباشر أوحى إلىّ أن عثمان فوزى قد أعطاهما معلومات عنى ، وأن هذه المعلومات قد منحتهما القدرة على هذه المفاتحة المباشرة .

ولم أمانع ..

كنت لم أزل أبحث عن طريق لى يقودنى كى أضع نفسى فى خدمة مصر ، كى أهبها ما أستطيع من أجل حريتها واستقلالها وتقدمها .

وتحدد لى موعد ..

وبطبيعة الحال لست أذكر التفاصيل ، لكننى حضرت اجتماعا لخلية شيوعية فى منزل فى حى السكاكينى أظن أنه فى شارع الشيخ قمر .

.. مجموعة من الشباب ليس فيهم أى عسكريين ، وفيما أذكر كان أحدهم موظفا فى شركة سكك حديد الدلتا ، وكان المسئول واسمه « الصحن » شابا لم يستطع أن يكتسب لا ثقتى ولا رغبتى فى مواصلة الالتقاء معه ، كانت الماركسية مشوشة فى رأسه بصورة غير عادية ولا شك أنه كان حديث العهد بها ، وأنها اختلطت فى ذهنه بأشياء عديدة منها الإلحاد مثلا ، وأشياء من هذا القبيل .

ولعل « ايسكرا » لم تكن موفقة إذ نظمتنى وأنا ضابط فرسان فى خلية مسئولها باشكاتب فى سلاح الفرسان فى الشئون الادارية ، وهكذا تكاتفت أشياء عدة لتمنع مسيرتى مع « ايسكرا » من التواصل . والشيء الغريب أننى وبعد أن انقطعت عن « ايسكرا » ، عاود أحمد فؤاد الاتصال بى ، فلما حكيت له عن تجربتى غير الموفقة مع « الصحن » قال :

لقد تركنا سريعا ولم يبق معنا طويلا ، وتلقيت واحدا من أهم دروس حياتى فى التعامل مع اليساريين ، **وهو أن التطرف الشديد والحماس المبالغ فيه والتشنج ليست دليلا على قدرة المناضل اليسارى على الاستمرار فى المعركة بل لعلها إيحاء بالعكس . وكان « الصحن » نموذجا لهذا كله .**

لكن هذا التلامس المتعجل مع « ايسكرا » لم يمض بلا أثر ، ففى الاجتماعات القليلة التى حضرتها مع « الخلية » تعلمت - ولأول مرة فى حياتى - ما يمكن تسميته **القراءة المنهجية** والمدققة ، كنت أتسلم منهم أحد الكتب الماركسية ويُطلب منى قراءة متأنية ثم تلخيصه ثم عرضه ومناقشته فى الخلية ، وهكذا تحول الفهم المتعجل للاشتراكية إلى فهم أكثر تدقيقا ، أو ما يمكن تسميته بالإدراك الواعى للإشتراكية ، وقد أثر فىّ هذا الأسلوب في الدراسة تأثيرا كبيرا ، ومن خلاله انطلقت إلى فهم رحب للاشتراكية ، ولم أزل - وحتى الآن - أذكر سعادتى وأنا أستشعر استيعابى الواعى لأول كتاب تسلمته خلال عضويتى فى الخلية وهو « الاشتراكية - أين ولماذا وكيف ؟ » .. وكيف قمت بحوارات ممتعة حول هذا الكتاب وغيره فى اجتماعات الخلية ..

قلت .. تكاتفت أشياء عدة لتمنع مسيرتى مع « ايسكرا » من الاستمرار ، فبعد ثلاثة أو أربعة أشهر من العلاقة غير الموفقة ، وبينما استشعر التردد إزاء استمرارها ، فوجئت بقرار نقلى إلى سلاح الحدود ، وأبلغت « أحمد فؤاد » وسألنى متى يمكنك أن تعود ، قلت : بعد حوالى خمس سنوات ، وهنا أخذ أحمد فؤاد فى الإلحاح بضرورة أن أجد طريقة لعودتى عاجلا من الحدود .

كان أحمد فؤاد متفائلا ، أو لعله كان منبهرا بالتقدم المتسارع الذى كانت تحققه الحركة الشيوعية فى ذلك الحين ، والذى وصفه لى خلال إلحاحه علىّ بضرورة السعى لإلغاء النقل قائلا : نحن ننمو ونتوسع بمتواليات هندسية ، ولن تمض عدة سنوات حتى نكون قريبين من الاستيلاء على السلطة ، ومن ثم فهناك ضرورة ملحة لأن تكون هنا .

وطبعا كانت عملية نقلى لسلاح الحدود أحد العوامل التى أدت إلى تباعدى بهدوء عن اجتماعات الخلية ، ومن ثم تباعدى عن منظمة « ايسكرا » نفس التباعد الهادىء والممتد إلى أمد ، أى غير المباغت الذى لحق بى أو لحقت به بعد انضمامى إلى الجهاز السرى لجماعة الإخوان .

ولم تكن هذه هى كل أسباب التباعد ، **كان هناك أيضا قرار تقسيم فلسطين ، وموافقة الشيوعيين عليه ، وكنت ضد قرار التقسيم وكنت أعتقد أن فيه اعتداء على**

حقوق الشعب الفلسطينى ، ولست أذكر أننى كنت أرفض قبول الشيوعيين للقرار ، لكننى كنت أستشعر الظلم الواقع على الفلسطينيين ، وضرورة تقديم العون والمساعدة لهم ، ومن ثم فقد كنت ضمن التيار العام الذى ساد الوطن والجيش معا بضرورة التدخل المسلح لمساندة الفلسطينيين ، ولعلى فى ذلك الحين لم أناقش أو أتعمق فى فهم ما إذا كان الجيش المصرى مستعدا لمثل هذه الحرب أم لا ، بل اكتفيت كغيرى بالتعبير عن مشاعر التضامن مع الفلسطينيين وضرورة التدخل لمساندتهم .

وهكذا أضيف سببا جديدا لينسج مساحة التباعد بينى وبين « ايسكرا » .

ولعل هذه العوامل التى أسرعت ودون تأن لتلاحق علاقتى بالشيوعيين هى التى دفعتنى إلى عدم مفاتحة زميل البحث الدائب عن طريق لنا ولمصر .. جمال عبد الناصر ، فى مشاركتى فى الانضمام لايسكرا ، ربما لهذا السبب ، وربما لأننى كنت أعتقد أنه لن يقبل الانضمام لمثل هذه الحركة ، المهم أننى لم أفاتحه والحقيقة أننى كنت قد عدت للاتصال بعبد الناصر بعد فترة انقطاع ليست طويلة ، وكانت المناسبة أننا دُعينا كضباط لحضور مباراة فى الملاكمة بين الجيش المصرى والجيش البريطانى فى قشلاق قصر النيل ، وهناك التقيت بعبد الناصر ، وطلب إلىّ أن أزوره دون انتظار لاتصال من عبد المنعم عبد الرؤوف أو غيره ، وبالفعل بدأت أزوره من حين لآخر لنتداول فى ذات الموضوع الذى يلاحقنا جميعا : **ماذا يجب أن نفعل .. وكيف .. ومتى .. ومع من ؟**

.. وأصبحت العلاقة مع جمال متصلة ، ولما علم بنقلى إلى سلاح الحدود فوجئت به يزورنى هو وعبد المنعم عبد الرؤوف ، وفاجأنى مفاجأة لم تزل تحيرنى حتى الآن ..

قال جمال وعبد المنعم عبد الرؤوف إنهما يستطيعان تدبير عملية إلغاء نقلى لسلاح الحدود وإعادتى إلى الفرسان وبأسرع ما يمكن .

وعندما أبديت دهشتى ، قالا إن النقل سيُلغى بواسطة القصر الملكى ، وتحديدا بواسطة يوسف رشاد . وقد كان يوسف رشاد هو يد الملك التى يحركها وسط ضباط الجيش .

وأبديت المزيد من الدهشة وشرح لى جمال الأمر بهدوئه المعتاد ، وقال : لقد تلقيت رسالة من يوسف رشاد يقول فيها إنه على استعداد للتعامل معنا . وفهمت أن الرسالة جاءت عن طريق عبد المنعم عبدالرؤوف . وبهذه المناسبة أقرر أن عبد الناصر لم يلتق أبدا بيوسف



□ يوسف رشاد
طبيب البحرية
فى الجيش المصرى .

رشاد ، وإن كان قد تعامل معه عن طريق آخرين منهم عبد المنعم والسادات ومصطفى كمال صدقى . وواصل جمال حديثه قائلا : لم أبد اعتراضا وقلت إننا على استعداد للتعامل أيضا ، فقال يوسف رشاد : بإمكانكم أن ترشحوا لنا ضباطا يمكن الاعتماد عليهم لنقلهم إلى أماكن مهمة ، فقد نحتاج إليهم فى المستقبل ، وقال جمال : وبما أنك منقول إلى الحدود فقد قدمنا اسمك بأمل أن يعيدوك إلى الفرسان لتكون معنا هنا ، ونحن بهذا لن نخسر شيئا ، فأنت كنت مبعدا فعلا ، فإن رجعت كان خيرا ، وإن لم ترجع فأنت فعلا مبعد إلى الحدود ..

وقد ناقشت الأمر طويلا مع جمال وعبد الرؤوف ولم أصدق أن بالإمكان نقلى من الحدود ، وتصورت أن الأمر مجرد خدعة للتعرف على اسم ضابط أو أكثر من الضباط الوطنيين .

ولم تزل هذه الواقعة تحيرنى حتى الآن .. وتحيرنى معها ظاهرة عبد المنعم عبد الرؤوف ، فقد كان وثيق الصلة بالإخوان ، ووثيق الصلة بعبد الناصر حتى بعد أن تركنا معا جماعة الإخوان ، ووثيق الصلة بعزيز المصرى ، ثم هو همزة الوصل مع القصر الملكى وتحديدا مع يوسف رشاد .

ولكن وحتى لا أكون متجنيا ، فإننى ومع اعتقادى بأن عبد الرؤوف هو الذى نقل الرسائل بين عبد الناصر ويوسف رشاد ، فإن هناك احتمالا أن يكون صاحب العلاقة المباشرة مع يوسف رشاد هو الضابط مصطفى كمال صدقى الذى كان يؤسس فى ذلك الحين مجموعة « **الحرس الحديدى** » والتى كانت على علاقة وثيقة بيوسف رشاد .

.. المهم هو أن المعجزة قد تحققت ، وعلى غير المألوف وغير المتوقع لم أبق فى سلاح الحدود سوى شهرين أو ثلاثة ، وتقرر نقلى من جديد إلى الفرسان . وكان الضابط الذى حضر للتسلم منى فى الحدود قبل العودة للفرسان **لطفى واكد** ، وبقينا سويا لمدة أسبوع للتسلم ، وطرحت عليه ما يمر برأسى من أفكار ، ففوجئت به يقول إنه مسلم اشتراكى فأعجبنى الكلام ، وبعد أن بدأنا تأسيس « الضباط الأحرار » علمت من عبد الناصر أنه عضو معنا . وقد لعب لطفى واكد دورا هاما فى الثورة ، وتشاء الصدف أننا أسسنا سويا حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى عام ١٩٧٦ .

وعدت من الحدود مندهشا لألتقى بعبد الناصر الذى طلب منى أن أكف عن أى نشاط سياسى ، أو أية اتصالات غير عادية بالضباط لفترة طويلة ، وقال : لقد عرفوا اسمك ولابد أنهم سيراقبونك ويتتبعون حركاتك لأننا نحن الذين رشحناك ، وإن كنا قلنا لهم ونحن نقدم لهم اسمك إنك مجرد ضابط « جدع » ويمكن الاعتماد عليك ..

وأذكر أننى ـ وبعد فترة ـ كنت عائدا من مهمة فى الصعيد بالقطار مع أحد الضباط ذوى العلاقة بالقصر الملكى ، وهو الملازم سيد جاد ، وخلال الرحلة أفرط هذا الضابط فى شرب الخمر حتى سكر بعض الشىء وقال لى إن **يوسف رشاد يعتقد أنك ضابط يسارى ، لكنه لا يملك شيئا ضدك .**

المهم عدت من الحدود ، وإلى الاسكندرية توجهت إلى بيت خالتى لأخطب « سميرة » ابنتها ، وبعد قليل تزوجنا ، وكان هذا الزواج واحدا من أهم العوامل التى دفعتنى لمواصلة طريقى نحو الهدف الذى أنشد ، أن أقدم شيئا لوطنى . فقد كانت زوجتى مصرية ومخلصة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، لم تكن تقف فى طريقى على الإطلاق ، وكانت تعتبر أن محبتها لى ، وإخلاصها كزوجة يحتمان عليها ألا تعرقل مسيرتى نحو هدفى الذى رسمته لنفسى لأكون دوما فى خدمة الوطن ، وكم مرت علىّ وعليها لحظات صعبة ، وفترات مليئة بالخطر ، ومع ذلك لم تشعرنى فى أى لحظة بأنها غير راضية عما أفعل ، أو حتى خائفة مما أفعل .

إنه توفيق من الله ليهيىء لى مسيرتى نحو هدفى .

وبعد عودتى من الحدود كانت الأمور قد بدأت فى التبلور .. فى ذهنى على الأقل .

كنا فى نهايات عام ١٩٤٧ وبدايات عام ١٩٤٨ ، وكانت مصر تعيش فترة غليان شديدة ، اضرابات عديدة منها الأخطر والأكثر إثارة وهو إضراب ضباط البوليس ، وإضراب الممرضين والمعلمين .. الخ ، والقضية الوطنية لم تحل ، صحيح أن الانجليز قد رحلوا من المدن تحت ضغط الحركة الوطنية والمظاهرات الصاخبة التى قادتها اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، إلا أنهم لم يزالوا فى مدن القناة ، بل لم يزالوا بنفوذهم وسيطرتهم فى القاهرة وفى مجلس الوزراء وفى القصر الملكى ، وحتى عرض قضية مصر فى مجلس الأمن لم يحقق سوى المزيد من الصلف الانجليزى والتشدد إزاء المطالب الوطنية ، مما زاد من التهاب مشاعرنا الوطنية ، والقضية الفلسطينية تتفجر هى الأخرى لتثير معها مشاعرى ومشاعر المصريين جميعا .

وأحسست أننى مقبل لا محالة على مواجهة صعبة ، وقلت لنفسى إذا فصلونى من الجيش لأى سبب فكيف أعيش أنا وزوجتى ، ولأول مرة فى حياتى بدأت أشعر بمسئولية رب الأسرة الذى يتعين عليه أن يضع مستقبلها فى حساباته ، وبدأت أفكر فى الالتحاق بكلية التجارة لأحصل على البكالوريوس كضمان لمستقبل ضابط مؤهل فى أية لحظة للتصادم الذى قد يقود إلى مخاطر ، لعل أقلها هو الفصل من الخدمة العسكرية .

وكان الضابط صلاح هدايت دفعتى فى الكلية الحربية تساوره نفس الرغبة ، فقد كان يطمح للالتحاق بكلية العلوم لتطوير معارفه العسكرية كضابط مدفعية . وكان والده أحمد بك هدايت سكرتيرا عاما لجامعة فؤاد الأول « سابقا » (جامعة القاهرة حاليا) فأكد لنا أن التوجيهية العسكرية يمكن معادلتها بالتوجيهية العادية ، وبالفعل تقدمنا إلى مجلس الجامعة بطلبنا مرفقا به شهادات من الكلية الحربية بالعلوم التى درسناها فى التوجيهية العسكرية ، وتمت الموافقة على طلبنا .

لكن المشكلة الأصعب هى كيف ننتظم فى الدراسة ؟ صلاح هدايت وجد واسطة ما ونجح فى الانتقال إلى إدارة التدريب الجامعى ، حيث يعمل عدد من ضباط الجيش فى تدريب الطلاب الجامعيين على الخدمة العسكرية كضباط احتياط أثناء الدراسة كبديل للتجنيد بعد التخرج .

ونجحت أنا أيضا فى الانتقال من الفرسان إلى التدريب الجامعى ، وكانت المسألة صعبة للغاية ، لكننى كنت على صداقة في نادى التجديف بشخص اسمه عمر شيرين وكان زوج عمته حيدر باشا ، وزير الحربية آنذاك ، وعمر شيرين هذا كان زميلى فى فريق التجديف ، وكان زميلى فى القارب فى بطولة التجديف ونجح فعلا فى ترتيب نقلى .

وهكذا كنت موجودا وبشكل دائم فى مبنى الجامعة ، كان طابور التدريب لمدة ساعتين فقط من ٧ إلى ٩ صباحا وطوال اليوم أتفرغ للدراسة ، أخلع السترة العسكرية وأدخل كطالب عادى إلى المدرج . وقد ساعدتنى فترة الدراسة هذه - من أكتوبر ١٩٤٧ وحتى ١٩٥١ - على الاندماج مع الطلاب ومتابعة مناقشاتهم الصاخبة ، دون أن أشارك فيها بالطبع ، فأنا فى نهاية الأمر ضابط فى القوات المسلحة .. كذلك أفادتنى دراستى فى كلية التجارة فى توسيع معارفى ، فقد درست الاقتصاد والمحاسبة وإدارة الأعمال دراسة منهجية ، وفى عام ١٩٥١ حصلت على البكالوريوس شعبة محاسبة وهكذا ..

ومع تصاعد الأحداث الفلسطينية بدأنا أيضا فى تدريب عدد من المتطوعين العرب بناء على طلب من جامعة الدول العربية ، وكان عدد هؤلاء المتطوعين حوالى ٣٠٠٠ متطوع من مختلف البلدان العربية .

وفى هذه المرحلة التقيت بياسر عرفات ، كان يحضر طوابير التدريب ، وكان عرفات - الطالب آنذاك بكلية الهندسة - نموذجا للجندى الجاد الملتزم الراغب فى التعرف وبأسرع ما يمكن على مختلف الفنون العسكرية ، فتقاربنا من بعضنا البعض ، وأذكر أننى أركبته معى فى السيارة لأوصله إلى مكان

ما وتحدثنا معا فى مختلف الشئون ، وفجأة قال لى : تعرف ياحضرة الضابط أنت تتكلم مثل التقدميين ، وسألته فى دهشة : إزاى ؟ فقال : نحن نتناقش مع الطلاب ونعرف اتجاهاتهم من أسلوبهم فى الكلام ، ولهذا يمكننى أن أعرف من طريقة مناقشتك أنك تقدمى .

واستوعبت الدرس .. وعرفت كيف يمكن أن أدير حوارا دون أن اكشف عن اتجاهى .

وذات يوم جاءنى ثروت عكاشة ليبلغنى رسالة خطيرة من جمال عبد الناصر . كنا تحديدا فى يونيو ١٩٤٩ ، وكنت منهمكا فى امتحانات السنة الثانية بكلية التجارة ، وكانت الرسالة خطيرة فعلا ، فقد ضُبط لدى الجهاز السرى للإخوان كتاب من كتب الجيش الممنوع تداولها للأفراد المدنيين ، والتى يقتصر توزيعها على ضباط الجيش ، وهو كتاب عن **كيفية استخدام القنابل اليدوية** .. وفى أعلى الصفحة الأولى للكتاب وُجد اسم « اليوزباشى جمال عبد الناصر » .

وأثارت هذه الواقعة مخاوف الحكم من أن يكون للإخوان امتداد داخل القوات المسلحة ، وبالفعل ولفرط اهتمام الحكم بهذا الموضوع تولى التحقيق فيه ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء بنفسه ، وهكذا استُدعى جمال عبد الناصر ومعه الفريق عثمان المهدى رئيس اركان حرب الجيش لمقابلة رئيس الوزراء ، **وسأله عبد الهادى : هل هذا الكتاب لك ؟ فقال : نعم ، وسأله : هل لك علاقة بالإخوان ؟ فقال : كنت أعرف ضابطا منهم اسمه أنور الصيحى ، وقال عبد الهادى : ولمن سلمت هذا الكتاب ؟ فقال عبد الناصر : استعاره منى أنور الصيحى ، وسأله عبد الهادى : وأين هو ؟ فقال جمال : استشهد فى حرب فلسطين ، وهنا ثار عبد الهادى ودق المكتب بيده غاضبا وصاح : أنت يا أفندى بتضحك عليّا ، انتو عايزين تخربوا البلد ، انتو فاهمين ايه ، البلد دى لا تحتمل إن واحد جريجى ببنطلون مزيّت تحصل له أى حاجة وإلا كان الأجانب يبهدلونا ، انتم لا تعرفون مدى الخطورة فى أن ضابط جيش يشتغل مع الإخوان .. ووسط هذه الثورة تذكر جمال أن فى جيب بنطلونه ورقة خطيرة ، أعتقد أنها كانت الأصل الخطى لبيان سياسي . وفى أثناء هذه الثورة أيضا دق التليفون وأنشغل عبد الهادى بالمكالمة ، واستأذن جمال فى الذهاب إلى دورة المياه ليتخلص من الورطة التى فى جيبه ، ويعود ليجد عبد الهادى وقد هدأ قليلا ، وإن كان قد واصل تهديده وقال فى النهاية : إن سيادة الفريق عثمان المهدى قال عنك كلام كويس ، ولولا هذا أنا كنت وديتك فى داهية ، ومن الآن فصاعدا أنت ضابط جيش وبس ولا علاقة لك بأحد .**

واعتبر عبد الناصر أن هذه المقابلة بمثابة إنذار ، وقرر أن نبدأ عملا جادا حتى لا نؤخذ على غرة دون أن نكون مستعدين أو حتى دون أن نفعل شيئا جادا من أجل الوطن .

ومن هنا طلب ثروت عكاشة منى أن أسرع بزيارة عبد الناصر ، لكننى اعتذرت لأننى مشغول بالامتحانات ، وقلت سوف أزوره فور الانتهاء من الامتحان .

وبالفعل توجهت إليه لنبدأ عملا جادا ..

ولتُشكل الخلية الأولى للضباط الأحرار ، لكننا لم نكن وحدنا ..

٥ .. لم نكن وحدنا

* الضباط الأحرار .. الخلية الأولى .
* جمال منصور وزملاؤه .
* الحرس الحديدى .. والملك .
* عزيز المصرى .. نقطة إشعاع .
* حاولت أن أكون إرهابيا .. وفشلت .
* عندما التقى عبد الناصر بالرفيق بدر .

.. انتهيت من الامتحانات وسريعا اتصلت بجمال عبد الناصر ، وفى بيته عقد الاجتماع الأول للخلية الأولى لتنظيم « الضباط الأحرار » : جمال .. وعبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وأنا ، وبدأ جمال بالحديث وقال : أنا معايا عبد الحكيم عامر وأنتم طبعا عارفينه لكنه لم يستطع الحضور اليوم ، وتحدث طويلا عن مغزى مقابلته مع إبراهيم عبد الهادى ، وكيف أنه أصبح من المحتم علينا أن نفعل شيئا وأن ننظم أنفسنا ، وقال : كل واحد منا يشتغل ويحاول يكوّن مجموعة فى سلاحه ، وهكذا يمكن أن نصبح قوة منظمة وقادرة على فعل شىء .

.. إنها الخلية الأولى ، واجتماعها الأول فى النصف الثانى من عام ١٩٤٩ ، أقرر هذا وأكرره لأن الكثيرين حاولوا تقديم روايات مختلفة ، فالمرحوم أنور السادات قال برواية أخرى .. وآخرين أيضا .

ولست أريد أن أنفى عن هؤلاء أنهم كانوا يعملون فى الجيش معنا أو حتى قبلنا ، فلقد تمكن بعضهم من إقامة مجموعات منظمة فى الجيش قبل « الضباط الأحرار » ، ولكنها كانت شيئا آخر غير « الضباط الأحرار » .

ومن هذه المجموعات .. كانت **مجموعة جمال منصور** ، وكانت تضم عددا من الضباط منهم مصطفى نصير ، سعد عبد الحفيظ ، عبد الفتاح أبو الفضل ، عبد الحميد كفافى وآخرين ، وقد أصدرت هذه المجموعة عدة منشورات وانتهى الأمر بالقبض على عدد منهم ، وبدأت فى الجيش حملة واسعة لجمع تبرعات لأسر الضباط المعتقلين ، وكانت حملة التضامن هذه أحد العوامل المشجعة ، والمعبرة عن وجود حالة ثورية ووطنية فى صفوف الضباط ، ولعل واقعة جمع التبرعات للضباط المقبوض عليهم هى التى أوحت إلى عبد الناصر بعد انتصار الثورة بصرف مرتب كل ضابط يلقى القبض عليه حتى لا يتيح الفرصة لأى تحرك متعاطف معه .

وكانت هناك أيضا **مجموعة « الحرس الحديدى »** بزعامة مصطفى كمال صدقى ، وقد ضمت عددا من الضباط منهم حسن فهمى عبد المجيد وخالد فوزى وسيد جاد .

وحتى لا يساء فهم الأمور ، أود أن أوضح أن الملك كان فى منتصف الأربعينات لم يزل محبوبا من قطاعات من الجيش ، وكان البعض منهم يعتبر أن ولاءه للملك هو جزء من ولائه لمصر ، وأنه يكمل عداءه للاستعمار ولعملاء الاستعمار ، ومن هنا فقد قام يوسف رشاد بإقامة علاقة مع بعض الضباط ومنهم مصطفى كمال صدقى ومجموعته المسماة « الحرس الحديدى » ، وكان القصر يحرك هذه المجموعة لارتكاب أعمال إرهابية ضد خصومه السياسيين بحجة أنهم عملاء للاستعمار ، وفعلا قام « الحرس الحديدى » بأكثر من محاولة لاغتيال النحاس باشا .

وكثيرا ما كان الملك يقدم نفسه لقطاع من الضباط بأنه وطنى ويريد تطهير البلاد من عملاء الاستعمار ، وهكذا فإن مجموعة أخرى من الجيش هى **مجموعة أنور السادات** - وكانت تضم فى أكثرها عناصر مدنية مثل حسين توفيق وسعد كامل وإبراهيم كامل وغيرهم - قامت باغتيال أمين عثمان احتجاجا على قوله : « إن العلاقة بين مصر وبريطانيا هى علاقة زواج كاثوليكى » .

وقد أكد أنور السادات فى مذكراته أنه كان على علاقة بيوسف رشاد ، وأن رشاد هو الذى أعاده إلى الخدمة فى الجيش بعد فصله منه .

والحقيقة أنه كانت هناك تجمعات عديدة فى الجيش ..

فقد لاحظنا مثلا فى عام ١٩٤٧ توزيع عدد من المنشورات تحمل اسم « الجمعية العسكرية لاتحاد رجال البوليس والجيش » ، وكان شعار هذه الجمعية يحمل طابعا رومانسيا وهو « السعادة للجميع » ، وكانت المنشورات تحمل فى بدايتها إرشادات وتحذيرات : « الكتمان سر النجاح » و « اقرأ سرا أنت وزملاؤك » و « ويل للخائن » . **وهناك كذلك الفريق عزيز المصرى ، وكان شخصية مهيبة ومحترمة فى صفوف الضباط ، وكان يمثل نقطة إشعاع للعمل الوطنى فى الجيش ، لكنه لم يكن يؤمن بالعمل الجماعى المنظم الذى يستهدف تحقيق تحرك جماهيرى لتغيير الأوضاع بل كان يركز أساسا على « الاغتيال الفردى »** .

وخلال محاولاتى المستمرة للبحث عن طريق كان من الطبيعى أن ألتقى بعزيز المصرى ، وقد رتب المقابلة أحد أقاربى وهو الأستاذ كمال يعقوب ، وعندما جلست إلى عزيز المصرى أحسست أننى أقترب من رجل يعشق الوطنية ، ويتنفسها ، ويعيش من أجلها ، وكان حماسه دافقا وأفقه واسعا ، ولكنه كان متمترسا دون أية رغبة فى التزحزح عن فكرة الاغتيالات الفردية ، وقد كان ضابطا لفترة من الوقت فى الجيش التركى ، وأطلع

على تجربة الحركة الوطنية البلغارية ، وأثرت فيه تأثيرا حاسما ، وظل يردد أمامي ولمرات عديدة ودون ملل : نحن لن نستطيع أن نواجه الانجليز ، ولا أن نهزمهم ، فهم أكثر قوة وأحسن تسليحا ، لكننا نستطيع أن نقتل الخونة واحدا واحدا ، فإن فعلنا ذلك خاف الناس من التعامل مع الانجليز أو حتى الاقتراب منهم ، ولقد فعل البلغار ذلك .. قتلوا الخونة واحدا بعد الآخر ، فلم يجرؤ أحد على التعامل مع الأتراك .

.. وظل عزيز المصرى نقطة ارتكاز هامة ، يتطلع إليها كل ضابط وطنى يريد أن يفعل شيئا من أجل مصر ، لكنه توقف عند حدود الإرهاب الفردى وتشبث به . ولا شك أنه قد أثر بأفكاره هذه فى الكثيرين ومنهم عبد الناصر وأنا وكثيرون غيرنا .

ولعله من السهل الآن الحديث مطولا عن خطر اللجوء للإرهاب الفردى ، لكن أعوام ١٩٤٥ و ١٩٤٦ و ١٩٤٧ شهدت عديدا من هذه المحاولات لعل مبعثها هو ما أشار إليه عزيز المصرى من صعوبة المواجهة المباشرة أو حتى غير المباشرة مع الاحتلال ، ومن ثم فقد تصور البعض أن بالإمكان ضرب الاحتلال من خلال ضرب أعوانه وإرهابهم ، أو أن بالإمكان تفجير المشاعر الوطنية فى الجماهير عن طريق سلسلة من الأعمال الإرهابية ضد الخونة وعملاء الاستعمار .

.. قلت إننى قد تأثرت لفترة بفكرة الاغتيالات ، وبالفعل فى عام ١٩٤٦ حاولت - ربما فى تردد - أن أسهم فى محاولة لاغتيال أحد المرشحين لعضوية مجلس الشيوخ ، لأنه حاول الاستعانة بالانجليز ضد الحكومة المصرية ، وقد حضر إلىّ حسن عزت بحكم علاقة الصداقة القديمة ، وروى لى قصة هذا الرجل وكيف أنه رشح نفسه فى انتخابات مجلس الشيوخ عن دائرة بولاق ، ولما زار اللورد ستنجست مصر توجه إليه هذا المرشح واشتكى له من أن الحكومة تحاربه فى الانتخابات ، وطلب تدخله لوقف الحكومة المصرية عند حدها .

واعتبرنا الرجل خائنا . وأخذ حسن عزت يلح علىّ فى ضرورة التخلص منه ليكون عبرة لكل الخونة ، ولست أخفى أننى احتقرت الرجل واحتقرت فعلته ، لكن الوازع الدينى الكامن دوما فى أعماقى كان ينفرنى من فكرة سفك دم إنسان مهما اختلفت معه ، وظل حسن عزت يلح علىّ حتى قبلت ، وكان دورى فى العملية يقتصر على أن أشترى سيارة وأن أقودها بينما يقوم هو بعملية الاغتيال ، ثم يركب السيارة لأسرع به هاربا .

اشتريت السيارة ، وذهبت أنا وحسن عزت ، وانتظرت فى السيارة مترقبا وصول الرجل ، كانت نوازع عديدة تعتصرنى : وازعى الدينى ، وأحاسيسى الوطنية الدافقة ،

والفهم المشوش وغير المستقر لفكرة النضال الوطنى ، واستمرت هذه الصراعات تعتصرنى بينما الوقت يتحرك بطيئا .. بل لعله لم يكن يتحرك أصلا ، ولكن الرجل لم يحضر .. وفشلت المحاولة .

ولعلها المرة الوحيدة التى سعدت فيها سعادة غامرة لأننى فشلت فى تحقيق هدفى ، والحقيقة أن عوامل الصراع النفسى العاصف التى حاصرتنى وأنا قابع فى السيارة فى انتظار الهدف قد حصنتنى فيما بعد إزاء فكرة الاغتيالات ، وقررت أن أرفضها رفضا مطلقا .

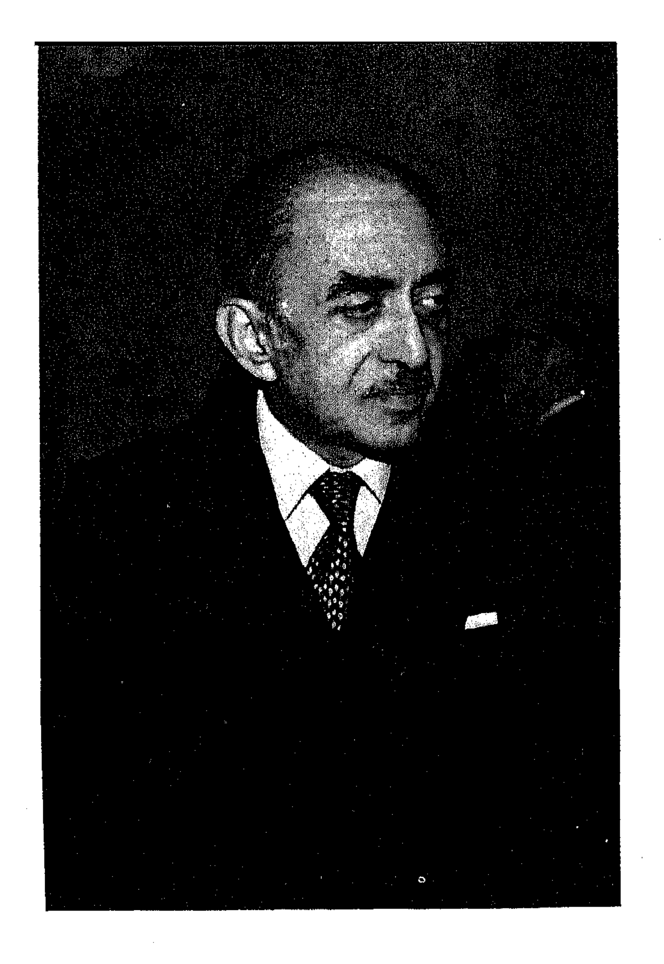
ولقد وقع عبد الناصر هو أيضا فى ذات الخطأ فى المحاولة الشهيرة لاغتيال حسين سرى عامر ، وقد فشلت هذه المحاولة أيضا ، والحقيقة أن جمال قد قام بهذه العملية دون التشاور معنا فى تنظيم « الضباط الأحرار » ، ولهذا وبعد أن فشلت العملية ، أثار صلاح سالم هذا الموضوع فى أول اجتماع عقدناه بعد المحاولة الفاشلة ، وقد وجه صلاح سالم نقدا لاذعا لجمال عبد الناصر بسبب قيامه بهذه العملية دون استئذان من التنظيم أو حتى دون إخطاره ، وقال صلاح : لنفرض أنكم قبض عليكم ، كنتم ستورطون التنظيم بأكمله فى عملية كهذه ، وكنتم ستجهضون كل ما نريد أن نفعل .. وقد تقبل عبد الناصر النقد وتعهد بعدم تكرار مثل هذا العمل .

ومادمنا نتحدث عن التكوينات المنظمة داخل الجيش ، فلابد أن نشير إلى أن **منظمة حدتو** (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) كانت قد نجحت هى أيضا فى إقامة تنظيم متكامل داخل القوات المسلحة .. وكان أحمد فؤاد قد أصبح مسئولا عن هذا التنظيم .

وأذكر أننى التقيت فى عام ١٩٥٠ بأحمد فؤاد - وكان قد أصبح قاضيا - وبادرنى بسؤال مباشر كعادته : مش حنشوفك ؟ وبدأت معه نقاشا مطولا حول تجربتى غير الناجحة مع « ايسكرا » ومع الشخص الذى أوصلنى به وهو « الصحن » .. وقلت : لقد أثار « الصحن » مسائل متعلقة بالدين ، وأنا أريد قبل أن أبدأ أية علاقة جديدة أن أعرف تحديدا وعلى وجه الدقة ما هو موقفكم من الدين .

وتحدث أحمد فؤاد حديثا طويلا عن احترامهم العميق للدين ، وقال : نحن نحترم الدين ولا يمكن أن نمسه ، والذى قال لك عكس ذلك أحمق ، ولابد أن تعرف أن هذا الرجل قد بادر بالفرار لدى أول ضربة بوليسية ، لكنه كان حريصا على أن يؤكد لى أيضا أنهم ضد استخدام الدين ستارا لحركات سياسية أو لتحقيق أهداف سياسية ، ووافقته على ذلك .

وبعد أن استرحت من هذه الزاوية صارحته بأننى أسهم فى قيادة تنظيم الضباط



□ أحمد فؤاد ودوره
فى ثورة ٢٣ يوليو .

الأحرار ، واهتم أحمد فؤاد بهذا الخبر اهتماما كبيرا ، وطلب إلىّ أن أرتب له مقابلة مع جمال عبد الناصر كقائد لهذا التنظيم .

وبالفعل دعوت عبد الناصر إلى بيتى ، وعندما حضر كان أحمد فؤاد موجودا ، وبدأ أحمد فؤاد فى الحديث ، تكلم كثيرا عن الحاجة إلى عمل جماهيرى لتصحيح الأوضاع ، وتجاوب معه جمال بشكل ملحوظ ، وعندما انتهت المقابلة سألنى جمال عن الرجل ، فقلت إنه مسئول فى منظمة حدتو ، وأبدى إعجابه الشديد به وقال : راجل كويس وكلامه كويس ومعقول . ثم سألنى فجأة : هل رتبت هذا اللقاء عن عمد ؟ فقلت : نعم . ولم يبد عبد الناصر أية حساسية من التعامل مع الشيوعيين ، فقد كنا أنا وهو نعتقد بأن الاتجاه الاشتراكى هو بالضرورة اتجاه قريب منا ومن حركتنا .

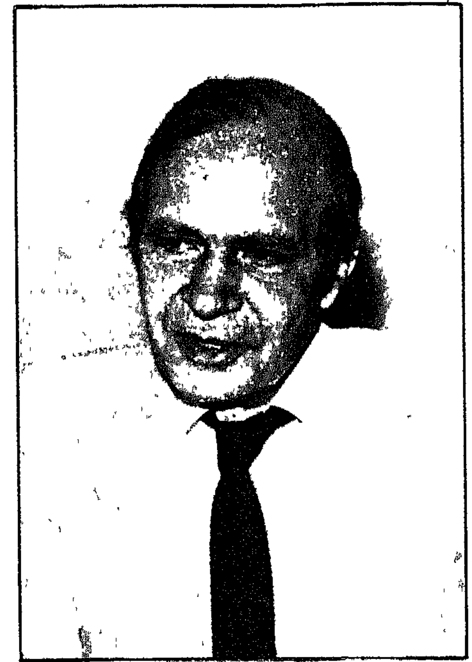
لكننى أقمت علاقة منفردة ومن نوع خاص مع أحمد فؤاد .. فقد بدأ يمدنى بعديد من الكتب وكذلك النشرات الحزبية ، واعتبرنى على علاقة « بحدتو » ولكن بصورة فردية ، وذلك لأننى كنت عضوا فى قيادة « الضباط الأحرار » وهذا وضع حساس سواء من ناحية الأمن أو من الناحية السياسية ، والحقيقة أننى كنت معجبا إعجابا خاصا بأحمد فؤاد ، وربما لو أن أحدا غيره قد عاود الاتصال بى بعد تجربتى الأولى غير الناجحة لما استجبت له . كما أننى قد فضلت هذه العلاقة الفردية لأننى وجدت أنه من غير الملائم أن أكون أحد قادة تنظيم « الضباط الأحرار » بينما أتلقى أوامر أو تعليمات تنظيمية من جماعة أخرى أو تنظيم آخر .

وقد ظلت علاقتى الفردية هذه لفترة من الوقت ، وأثمرت علاقة منظمة بين « حدتو » وتنظيم « الضباط الأحرار » ، فقد عرض أحمد فؤاد فكرة انضمام ضباط حدتو لتنظيمنا ، ووافق عبد الناصر لكنه اشترط كعادته أن ينضم الأعضاء فرادى .. أى كأفراد وليس كمجموعة منظمة ، ولكى أكون واضحا فإن هذا الشرط كان شرطا دائما عند عبد الناصر ، فعندما عرضت عليه فكرة التوحد مع مجموعة جمال منصور رفض مسألة التوحد ، وأصر على أن ينضم أعضاء المجموعة فرادى إلى التنظيم ، وقبل جمال منصور ذلك ، كذلك قبل أحمد فؤاد ، أو بالدقة قبلت « حدتو » .

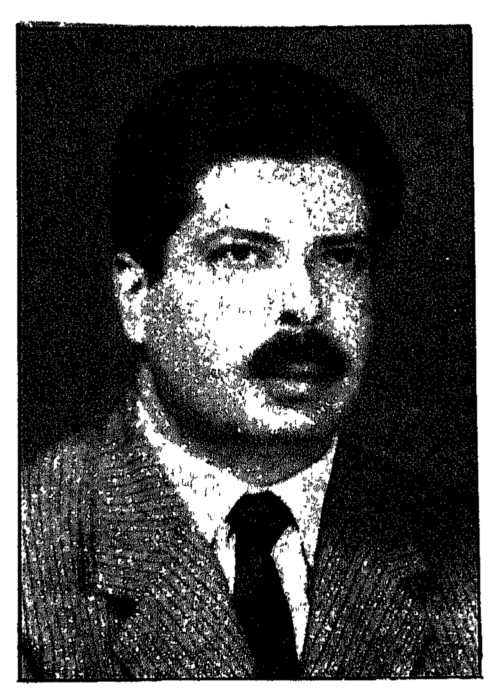
وبدأ تنظيم « الضباط الأحرار » يفتح أبوابه للشيوعيين من أعضاء حدتو ، وانضم إلينا عدد لا بأس به منهم ، ولن أستطيع أن أورد كل الأسماء ولا حتى أكثرها ، فقط سأورد بعضا منها .. فقد انضم إلينا محمود المناسترلى ود . محمود القويسنى وصلاح السحرتى وجمال علام وأمال المرصفى وأحمد قدرى وغيرهم ، أما عثمان فوزى فقد كان أحد مؤسسى « مجموعة الضباط الأحرار » فى سلاح الفرسان ، واندمج هؤلاء الضباط فى مجموعات التنظيم وأسهموا إسهاما كبيرا فى عملنا ، وخاصة فى توزيع المنشورات بالبريد ، كذلك أسهمت « حدتو » فيما بعد فى طباعة منشورات « الضباط الأحرار » ، كما أسهم ضباطها إسهاما نشيطا وفاعلا معنا ليلة ٢٣ يوليو .

واستمرت علاقتى مع أحمد فؤاد ، وكان عبد الناصر يلتقى معنا لنتناقش طويلا فى التطورات السياسية وموقفنا منها . **وازداد إعجاب جمال بأحمد فؤاد لكنه لم يفكر أبدا فى الانضمام « لحدتو » ، ليس بسبب أية حساسية سياسية ، وإنما لأنه لم يكن يريد لمنظمته أن تخضع لأى تأثير من خارجها .**

وأذكر أننى وجمال توجهنا يوما لزيارة أحمد فؤاد فى بيته ، ووجدنا عنده شخص



□ أحمد قدرى .



□ أمال المرصفى .

قدمه لنا قائلا : « الرفيق بدر » ، وقد تحدث حديثا سياسيا مبهرا سواء بالنسبة لى أو بالنسبة لجمال .

كانت هناك أحداث سياسية خطيرة (١٩٥١) سواء فى مصر أو فى سوريا ، حيث وقع انقلاب عسكرى جديد ، وكانت الصورة مرتبكة أمامنا ، لكن « بدر » تحدث ممتلكا لرؤية صافية تماما ، واستطاع أن يفسر لنا الأحداث تفسيرا مقنعا وملهما فى آن واحد .

انحنيت على أحمد فؤاد هامسا : مين ده ؟ وأجاب همسا : السكرتير العام .

وعندما نزلنا من بيت أحمد فؤاد كان عبد الناصر لم يزل منبهرا بهذه الشخصية الغامضة والواسعة الأفق ، وبينما نهبط السلم سألنى : مين الرفيق بدر ده ؟

قلت : السكرتير العام للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ..

فقال : بيشتغل ايه ؟

قلت : السكرتير العام ..

وكرر السؤال لأكرر الإجابة .. أخيرا **سألنى بحدة :** يعنى كان بيشتغل ايه قبل ما يبقى سكرتير عام ؟ وتذكرت أن عثمان فوزى قد حدثنى طويلا عن الرفيق بدر ، وكيف أنه كان قائدا لفرع منظمة « حدتو » وسط ميكانيكيى الطيران ، وكيف أنه وهو الميكانيكى استطاع أن يكون نفسه فكريا وسياسيا ليصبح سياسيا وقائدا يستحق الإعجاب .

قلت فى بساطة : ميكانيكى .

وصاح عبد الناصر : ميكانيكى .. يعنى انت ممكن تبقى عضو فى الحزب ده وتتلقى أوامر من ميكانيكى ..

فقلت : المسألة مش مسألة أوامر وإنما هى مسألة اقتناع بفكرة .

لكن مسألة « الميكانيكى » هذه ظلت عالقة فى ذهن عبد الناصر .. وظل يرددها دوما ، أحيانا فى تهكم وأحيانا فى استنكار .. وحتى بعد الثورة ، وفى اجتماعات مجلس قيادة الثورة قال مرة مشيرا إلىّ : ده زعيمه ميكانيكى .

٦ من الخلية الأولى إلى المنشور الأول

* وفلسطين .. هى الجرح .
* من خلية .. إلى تنظيم .
* المنشور الأول .. الخطوة الحاسمة .
* رحلة آلة الرونيو ..
* وأصبح جمال صديقا للرفيق ..

.. ولم أزل حتى الآن وكلما عدت بالذاكرة إلى جلستنا الأولى فى بيت عبد الناصر بكوبرى القبة وإلى ما تلاها من جلسات ، لم أزل أتذكر جيدا كيف كانت حرب فلسطين هى الجرح الحقيقى فى قلب كل منا .

عبد الناصر كان فى الفالوجا ، حوصر ، وصمد وفى خنادقها تفتحت مواهبه العسكرية والقيادية وبرز كضابط شجاع ووطنى قادر على الصمود والتضحية وعلى امتلاك رؤية استراتيجية صافية ، فقد كان يرى ضرورة إيجاد سبيل للانسحاب من الفالوجا حتى لا تصبح القوات المصرية المحاصرة ورقة فى يد المفاوض الإسرائيلى .

وزكريا محيى الدين وصلاح سالم كانا هناك أيضا فى الفالوجا . ذهبا مع قافلة تحمل طعاما وذخيرة للقوات المحاصرة وبقيا هناك .

عبد المنعم عبد الرؤوف وحسن فهمى عبد المجيد وكمال الدين حسين تطوعوا للحرب فى فلسطين قبل دخول القوات المصرية ، وسافروا مع كتيبة الجامعة العربية تحت قيادة أحمد عبد العزيز .. وكان الجيش قد وضع تقليدا جديدا ، وهو أن الضابط الذى يريد أن يتطوع فى حرب فلسطين يمكنه الحصول على أجازة مفتوحة وفور عودته يلتحق مرة أخرى بالقوات المسلحة .

وأنا كنت فى إدارة التدريب الجامعى ، وفى مناخ الحماس الدافق اتصلنا عن طريق قائدنا بالجامعة العربية التى تفاهمت مع قيادة الجيش ، وتم الاتفاق على إقامة مركز تدريب للمتطوعين العرب فى هايكستب ، وقد دربنا الكثيرين .. حوالى ثلاثة أو أربعة آلاف ، كانت هناك كتيبتان من السعوديين أى ألف فرد تقريبا ، وحوالى كتيبة من السودانيين ، وفلسطينيين من النازحين تحت ضغط الإرهاب الصهيونى ، دربناهم وأعيدوا للقتال فى فلسطين ، كما كان هناك عدد من التونسيين .

وأعددنا برنامج تدريب سريعا يستغرق حوالى شهر ، وقد شاركنى فى هذه المهمة عدد من الضباط الوطنيين .

وكنت أواصل عملى أيضا فى إدارة التدريب الجامعى ، وكل صباح كنت ألتقى بالمظاهرات الطلابية الدافقة الحماس ، والمستمرة بلا انقطاع ، تهتف من الأعماق « فلسطين يابعناك ، وبالأرواح نفديك » و « أين السلاح ياعزام ؟ » (وكان عبد الرحمن عزام باشا أمينا للجامعة العربية) و « أين حيفا يا عزام ؟ » ، **وأعترف أن هذه المظاهرات الطلابية المشحونة بالوطنية والحماس قد سيطرت على مشاعرى ، ولعلها كانت أحد الأسباب التى باعدت ـ وبحسم ـ بينى وبين « ايسكرا » عندما أيد الشيوعيون قرار التقسيم ، وسرى الحماس الدافق إلى قلبى لأفرغه فى عملية تدريب متواصلة وشاقة للمتطوعين العرب ، الذين كانوا يتدربون هم أيضا فى حماس مثير للدهشة وللحمية الوطنية أيضا .**

هذا الحماس .. الذى جرفنا جميعا معه فى تيار هادر ما لبث أن تحول إلى سخط .

وكنا نحن الضباط الشبان الأكثر سخطا فى المجتمع ، فالجرح أصابنا نحن ، ونحن الذين واجهنا المحنة القاسية ، وسهام العدو أصابت كرامتنا كأشخاص وكمؤسسة ، فكيف لمجموعة من المتطوعين كنا نسميهم « العصابات الصهيونية » أن تهزم جيوش سبع دول هى بالضرورة أكثر عددا وأكثر تسليحا ؟

كيف ؟ ولماذا ؟ ..

هذا هو السؤال الدامى والملح الذى اقتادنا كمجموعة من الضباط للبحث عن إجابة .

كنا ومنذ البداية نعرف أن الجيش ليس لديه ذخيرة كافية ، الوحدات لم يكن لديها سوى ذخيرة تكفى ليوم أو يومين على الأكثر .. لكن المسئولين عن البلد وعن الجيش وعن المأساة أكدوا أن لدينا كميات كبيرة من الذخيرة فى المخازن ، ثم همسوا ـ فى ادعاء ساذج ودهاء ـ بأن الانجليز سوف يقدمون لنا ما نريد من سلاح وذخيرة .

ولم يحدث ..

ولم يقتصر الأمر على نقص الذخيرة ولا حتى على قصة الأسلحة الفاسدة التى استخدمت ـ فى اعتقادى ـ كستار لإخفاء فساد نظام بأكمله ، فالجيش كان خاويا فى أعماقه ، ونقص الذخيرة أدى بالوحدات إلى القيام بعمليات « ضرب نار » للتدريب مرة واحدة فى العام ، وهو بكل المعايير غير كاف على الإطلاق .

فوق هذا كان التدريب القتالى مفتقدا ، ولعله كان هناك تعمد لافتقاده ، ولعلك عزيزى القارىء تدهش إذ تعلم أن الجيش المصرى قد ألقى به إلى أتون الحرب الفلسطينية ليس فقط بلا سلاح كاف ولا ذخيرة كافية ، وليس فقط بسلاح فاسد وإنما أيضا ـ وهذا هو المثير للدهشة والريبة معا ـ دون أن يقوم بأية مناورة للتدريب العملى طوال سنتين أو ثلاث سنوات سابقة على حرب ١٩٤٨ .

وهكذا ألقى بالجيش إلى أتون حرب لم يكن مستعدا لها .

وفى الحرب البرية ، حيث يكون العدو محصنا فى تحصينات ثابتة ومجهزة مسبقا كتلك التى كانت تحيط بالمستعمرات الإسرائيلية ، فإن الجندى والضابط معا يجب أن يكونا فى أعلى درجات التدريب كى يمكنهما اقتحام هذه المواقع الحصينة .

لقد ذهب الجنود والضباط إلى الحرب مشحونين بشحنات من الحماس الدافق والوطنية والرغبة الحقيقية فى التضحية ، ولكنهم فوجئوا بالعدو وهو متمترس فى دشم محصنة ، وأمام مثل هذه الدشم أنت بحاجة إلى قوة نيران عالية ، ثم قدرة على المناورة ، ثم الهجوم ، لكن رجالنا افتقدوا قوة النيران والأسلحة الثقيلة ، فهاجموا الدشم بالمدرعات الخفيفة وكانوا فريسة سهلة للإسرائيليين .

إنها مسألة بسيطة ، ولا تحتاج إلى عبقرية عسكرية ، ويعرفها أى طالب مبتدىء فى الكلية الحربية ، وهى أن قوة النيران العالية ضرورية لاقتحام المواقع الحصينة ، وكل طالب فى الكلية الحربية يعرف أن نابليون هُزم فى معركة « وترللو » لأن الانجليز استدرجوا فرسانه إلى الهجوم على مواقع المشاة المحصنة .

وحتى هذه المعلومات الأولية لم تطبق فى هذه الحرب البائسة التى خرجنا منها جميعا ونحن فى حالة ثورة عارمة .

لكن الناس تختلف عن بعضها البعض .

فالبعض عاد من حرب فلسطين محبطا ، ومهزوما فى أعماقه ، والبعض عاد مشحونا بغضب عارم ، ورغبة فى الانتقام لمصر التى أهينت ، وللجيش الذى غرر به ، وامتهنت كرامته .

وفى جلستنا الأولى تحدثنا طويلا عن الأسباب : حكومات الأقلية الخاضعة للملك

والخاضعة للانجليز ضعيفة ، لا تقاوم ولا ترفض طلبا لا للملك ولا للانجليز ، ومن ثم خضعت ، وأرسلت جيشنا ليهزم هزيمة دامية جارحة لكرامة كل مصرى وكل عربى .

حكومات كهذه لا يمكنها أن تقدم شيئا للوطن أو للشعب ، ولا يمكنها أن تكون قادرة على تحقيق مصر التى نحلم بها .

لابد إذن من ديمقراطية حقيقية ، ولابد من حزب يمثل أغلبية هذا الشعب ويعمل لصالحه ، ويستمد من تمثيله للشعب ومن التصاقه بمصالحه القدرة على مواجهة الملك وعلى مواجهة السراى .

والملك .. كان قد سقط تماما ، وكل رصيده الذى جمعه منذ ١٩٣٦ وحتى ١٩٤٢ وكل ولاء الضباط له ، كل ذلك انتهى تماما على عتبات الأرض الفلسطينية ، وتهاوى تحت طلقات المدافع هناك .

عند هذه الحدود توقفنا نحن أعضاء « الخلية الأولى » .

عندما كنا نتحدث عن الديمقراطية لم نكن نقصد شكلا محددا ، وعندما تحدثنا عن حزب للأغلبية لم نكن نقصد حزبا بذاته ، وكنا نتحدث عن النهوض بمصر وعن جيش قوى وعن تحقيق مطالب الشعب دون أن تتسلل إلى نقاشاتنا أية تفاصيل ، ودون أن نشغل أنفسنا فى البحث عن أى منها ..

كنا ندرك أن أمامنا مسئولية ما للإسهام فى تحقيق ذلك ، لكننا لم نسأل أنفسنا ماهى هذه المسئولية ؟ وماذا يجب علينا أن نفعل تحديدا ؟

لكننا أحسسنا أننا بحاجة إلى قوة ما ، أو بالدقة أحسسنا أننا نمتلك نوايا حسنة وأحلاما طيبة للوطن والشعب والجيش ، ولكننا بحاجة إلى « الاستقواء » بفريق منظم من الضباط يمكنه أن يفعل شيئا ما لهذا الوطن .

أقول هذا ، وألح عليه ، لأننى قرأت كتابات للبعض يحاولون فيها تقديمنا وكأننا كنا نمتلك الحكمة كل الحكمة ، وأننا أو أى منا .. قد وضع خطة معلومة الأهداف تمتد من خريف ١٩٤٩ حيث عقدنا الجلسة الأولى للخلية الأولى ، وحتى ليلة ٢٣ يوليو حيث استولينا على السلطة ، وهو ما لم يحدث مطلقا .

.. وفى الجلسة الأولى ، ومنذ أن احتوتنا غرفة الصالون فى بيت عبد الناصر بكوبرى القبة ، تولى جمال القيادة دون عناء ودون قرار منه أو منا ..

كان الأعلى رتبة .. هو « بكباشى » ، وكنا أقل منه رتبة ، أنا كنت « يوزباشى » ، وكمال الدين حسين كان « يوزباشى » ولكن أقدم منى ، صحيح أن عبد المنعم عبد الرؤوف كان أقدم من جمال ، لكن جمال كان صاحب الفكرة وصاحب الدعوة ، وكان دوما ومنذ دخلنا معا الإخوان المسلمين هو الرافض لفكرة احتوائنا داخل الجماعة ، والمدرك لأهمية وجود تنظيم مستقل لنا . وكان فكر عبد الناصر مرتبا فى هذه الجلسة الأولى ، وسألنى فى البداية : طبعا عرفت حكاية ابراهيم عبد الهادى ، فقلت : أيوه ، ومن هذه الحكاية بدأ الحديث ، والحقيقة أن عبد الناصر لم يتقبل بسهولة فكرة استدعائه لمقابلة رئيس الوزراء ، وهو بطبيعته يميل إلى الشك والتوجس من الآخرين ، فكيف يهتم رئيس الوزراء بموضوع كهذا والجميع يعرفون أن كتب الجيش متاحة ومتداولة ، لابد أنهم يرتبون شيئا لنا .

من هذا الشك والتوجس اللذين لازماه دوما ، بدأ عبد الناصر خطوته الأولى فى حديثه معنا ، ثم سأل : إذا كنا قد هُزمنا أمام مجموعات متطوعين من الإسرئيليين فكيف سنواجه الانجليز ؟ وكيف سنحرر الوطن ؟ ومن هذه النقطة انطلق إلى فكرة أن مصر بحاجة إلى قوة منظمة فى الجيش تكون قادرة على الدفاع عنها وعن استقلالها .

.. لم يكن أى منا بحاجة إلى إقناع ، كنا مقتنعين أصلا ، بل متلهفين على عمل أى شىء ، واتفقنا ، وأحاول أن أستعيد هذه اللحظات لأتذكر أننا وافقنا ببساطة .. أو بالدقة اتفقنا ببساطة ، لم تكن ثمة طقوس كتلك التى مارسناها فى الإخوان ، فنحن نعرف بعضنا البعض ، ونثق فى بعضنا البعض .

اتفقنا على أن نلتقى فى اجتماعات متقاربة ، واتفقنا على أن يعمل كل منا فى سلاحه لتجميع عدد من الضباط .

وكنا نحن الخمسة موزعين على أسلحة مختلفة : جمال .. مشاة ، عبد المنعم عبد الرؤوف .. مشاة ، كمال الدين حسين .. مدفعية ، حسن ابراهيم .. طيران ، وأنا .. فرسان .

كنا خمسة .. وأكد عبد الناصر أن عبد الحكيم عامر معنا وإن لم يحضر ، وقال إنه لا يخفى عنه شيئا .

وطبعا تحدثنا عن أهمية الحيطة ، وتداولنا فى بعض الاجراءات الأمنية البسيطة ، والحقيقة أن جهاز أمن الجيش كان بسيطا هو أيضا ، ومن ثم فقد قمنا بنشاطنا بكم من الحيطة يتلاءم مع بساطة أجهزة الأمن فى الجيش .

وتقابلت مباشرة مع ثروت عكاشة ، وكان معى فى الفرسان ، لكنه كان منتدبا لإدارة التدريب الحربى ، وأنا كنت أيضا بعيدا عن الفرسان فى إدارة التدريب الجامعى ، وقد وافق ثروت على الانضمام لنا على الفور ، وأحسست أن جمال كان قد أبلغه باجتماعنا ، وبعدها اتصلت بعثمان فوزى وكان فى الخيالة وهى تابعة لسلاح الفرسان .

وعثمان شيوعى قديم ، وهو أول من أطلعنى على الأدبيات الماركسية ، وقد ناقشنى طويلا وسأل عن برنامج تنظيم « الضباط الأحرار » ، قلت : ببساطة البرنامج هو تحرير مصر ، وقال : إن هذا لا يكفى ولابد من تحديده ، ولكننى أكدت أن الوقت غير مناسب للحديث التفصيلى عن مطالب اجتماعية أو أى شىء من هذا القبيل ، وأن الهدف هو إقامة تنظيم وطنى فى القوات المسلحة ، وعندما نصبح قوة يمكننا أن نقدم لمصر ولشعبها الحماية الكافية ، وأبدى عثمان مخاوفه وتحفظاته من احتمال وجود رغبة لدى البعض فى حكم البلاد حكما عسكريا ، وأكدت له أن هذا لا يخطر ببالنا ، وبرغم تحفظاته فقد وافق على العمل معنا . وقد كان اتصالى بعثمان فوزى بداية للتوسع الحقيقى ، فقد قام على الفور بتجنيد ثلاثة ضباط من سلاح الفرسان : فاروق توفيق ، عفت عبد الحليم ، وعثمان الكتبى .. ولابد من الإشارة هنا إلى أن عثمان فوزى قد تصرف بذكاء وأمانة فى آن واحد ، فلم يحاول أن يدخل إلى التنظيم أى من الضباط الشيوعيين بل أتى بضباط وطنيين عاديين .

وهكذا أصبحنا ستة ضباط من سلاح الفرسان .

ثم اتصلت بجمال منصور ، وهو أيضا من الفرسان ، وكان قد نقل معى إلى إدارة التدريب الجامعى ، وبدأنا نقاشا مستفيضا عن أوضاع الوطن ، وكنت أعرف قصة مجموعته القديمة .. فقال : أنا أتصل بالمجموعة ونتفق على الانضمام إليكم ونعمل تنظيما واحدا ، وترددت إزاء فكرة توحيد المجموعتين معا .. وكنت أعرف أن جمال عبد الناصر هو أيضا ضد هذه الفكرة ، وفعلا قابلت جمال وعرضت عليه الأمر فرفض وقال : من يريد أن ينضم إلينا ينضم كفرد ، وإلا ستأتى إلينا المجموعات الأخرى كالحرس الحديدى ويطلبون الوحدة معنا وتبدأ خلافات داخلية ومشكلات وننتهى إلى الفشل .

على أية حال استطعت أن أقنع جمال منصور بأن ينضم مع من يشاء إلينا ، ولكن على أساس فردى . وفعلا انضم جمال منصور إلى مجموعتى وانضم معه نصير وكفافى من مجموعته القديمة .

ثم أمكن ضم أمال المرصفى ، كذلك قمت بضم سامى ترك وكان معى أنا وثروت

□ خالد محيى الدين وبجواره ثروت عكاشة ومعهما سامى ترك وصلاح خليفة وعلى فاضل .

□ خالد محيى الدين مع مجموعة من ضباط الفرسان .

عكاشه فى المنصورة عندما ذهبنا سنة ١٩٤٦ لمواجهة المظاهرات ، وعن طريق سامى ترك تعرفت باثنين من أهم الضباط الذين لعبوا دورا كبيرا فى بناء التنظيم فى سلاح الفرسان وفى ليلة ٢٣ يوليو ، وهما توفيق عبده اسماعيل وأحمد ابراهيم حموده ، والحقيقة أن علاقتى بتوفيق وحموده كانت نقطة تحول حاسمة فى بنائنا التنظيمى فى سلاح الفرسان ، وبهما أيضا أمكننا السيطرة على الآلاى الأول مدرع فى سلاح الفرسان .

.. وهكذا أصبحنا قوة لا بأس بها فى وقت قياسى .

ولعل هذه السرعة توضح أن الجيش وضباطه كانوا جاهزين لعمل شىء ما فى سبيل الوطن ، وأن مجرد تقديم الفكرة كان كافيا لتحقيق تجمع جيد حولها .

وطوال اليوم كنا نتحدث مع الضباط ، ونجمع عنهم معلومات ، ونختار أفضلهم لمفاتحتهم بهدوء وعبر نقاش هادىء عن الأوضاع وكيفية إصلاح الأحوال .. ومع كل تجاوب من الضابط ، نواصل الحديث حتى نتأكد تماما من إخلاصه وبعدها نفاتحه . والحقيقة أننى كنت ومنذ البداية قد استجمعت خبرة لا بأس بها فى كيفية التجنيد ، وكيفية إجراء حوار استكشافى هادىء وممتد يمكننى من التعرف على طبيعة الضابط الذى أحاوره وهل هو صالح للمفاتحة أم لا ، وقد استجمعت خبرتى هذه من خلال أحاديث طويلة مع حسن عزت عندما كان محبوسا عندنا فى القشلاق ، ومن علاقتى المحدودة « بايسكرا » .. وعلى العموم فقد كنت أهتم أولا بالمسلك الشخصى للضابط ، هل يقرأ أم لا ؟ هل يهتم بقضايا الوطن أم لا ؟ .. وكيف يقضى وقت فراغه ؟ البعض كان يقضى هذا الوقت فى الرياضة أو القراءة أو الدراسة ، وهؤلاء هم أول من أهتم بهم ، والآخرون كانوا يقضون سهراتهم فى الكباريهات وما إلى ذلك وكنت أتجنبهم وأنصح المجموعات التابعة لى بتجنبهم . ولكن أهم مؤشر كنت أستند إليه فى تجنيد الضباط هو اخلاصهم وأداؤهم الجيد فى عملهم .

وبرغم هذه الاحتياطات فلا بد أن الكثيرين كانوا يلاحظون أسلوبى فى الكلام ، وعلاقاتى بالضباط ، وكما اكتشفنى من قبل الطالب ياسر عرفات عندما قال : أنت تتحدث كالتقدميين .. اتضح لى بعد الثورة بفترة أن بعض الضباط كانوا قد اكتشفونى أيضا وإن لم يكونوا من الضباط الأحرار ، لكنهم لم يشوا بى .

فمثلا ضابط الفرسان حسنى عيد كان رجلا وطنيا وشجاعا لكننى لم أفاتحه ، وبعد الثورة قال لى إنه وزملاء عديدون فى السلاح كانوا يحسون من تصرفاتى أننى ربما أكون مشتركا فى شىء ما ، وأننى أعمل شيئا ما ، وعندما وُزع أول منشور للضباط الأحرار قالوا إننى بالقطع منهم .

والمهم أننا وفى فترة وجيزة بدأنا فى إقامة تنظيم جيد فى سلاح الفرسان ، ولم يكن لدينا فى السلاح لجنة قيادية وإنما كنت أتصل بالضباط بشكل فردى : جمال منصور ومعه مجموعته وهو مسئول عنها ، عثمان فوزى وهو يتصل بمجموعته .. ومجموعة توفيق عبده اسماعيل وأحمد حموده وسامى ترك ، ثم مجموعة اليساريين من الفرسان : محمود المناسترلى ورفاقه .

وكانت اجتماعتنا فى الخلية الأولى التى أصبحت تسمى « لجنة القيادة » تتم أسبوعيا أو كل أسبوعين ، وكان كل منا يتحدث ـ دون إفصاح عن الأسماء ـ عن الاتصالات التى قام بها ومن تم تجنيده من الضباط ، وأحيانا كنت أحكى لجمال بشكل منفرد عن اتصالاتى ، وعن الضباط الذين قمنا بتجنيدهم فى السلاح .

وبعد عدة اجتماعات كان لدينا تنظيم ..

أنا معى فى الفرسان مجموعة لا بأس بها ..

وكمال الدين حسين فى المدفعية .. وحسن ابراهيم فى الطيران .

الوحيد الذى لم يضم أحدا إلى التنظيم هو عبد المنعم عبد الرؤوف فقد كان معنا ، لكنه كان مع الإخوان المسلمين بأكثر مما هو معنا ، وكان مجهوده الأساسى مكرسا لهم وليس لنا ، وربما ظل معنا بأمل أن يعيدنا إلى حظيرة الإخوان ، أو أن يبقى كرأس حربة داخلنا لصالح الإخوان .

وبدأت مجموعة جمال منصور تثير نقاشات حامية حول ضرورة عمل شىء عاجل وسريع ، كانوا متحمسين ومتعجلين ، وكنا هادئين وراغبين فى فسحة من الوقت نجمع فيها أكبر عدد من الضباط الوطنيين .

وتحت إلحاح مجموعة جمال منصور ـ كفافى ـ نصير ، قررنا إصدار أول منشور لنا ، واستطاع جمال منصور أن يدبر لنا علاقة مع موظف بالسكة الحديد اسمه شوقى عزيز أبدى استعداده لكتابة المنشورات على الاستنسل ، وقررنا شراء آلة رونيو ، وكان ثمنها ٨٠ جنيها ، قررنا أن نجمعه فيما بيننا ، وأتذكر أننى دفعت خمسة جنيهات ، وجمعنا من ضباط الفرسان حوالى ٣٥ جنيها ، وتبرع جمال عبد الناصر والآخرون ، والمهم أمكن تدبير المبلغ واشترينا الماكينة ، لكن شراءها لم يكن سهلا ، فلا بد من إثبات شخصية المشترى ، واقترح جمال منصور أن يشتريها صديقه شوقى عزيز باسمه ووافقنا .



عبد المنعم عبد الرؤوف

كنا فى خريف ١٩٥٠ عندما قررنا أن نصدر منشورنا الأول ، وتحملت مسئولية إصداره أمام مجموعة القيادة ، كتب جمال منصور المسودة الأولى للمنشور وكان عنوانه « نداء وتحذير » ، وكانت قضية الأسلحة الفاسدة تشغل كل الأذهان بعد أن تفجرت أخبارها على صفحات الصحف ، وكان المنشور يحذر ضباط الجيش من أن يساقوا إلى حرب أخرى دون استعداد ودون سلاح أو بأسلحة فاسدة ، وحذر المنشور الملك من التدخل لمنع استمرار التحقيق العادل فى قضية الأسلحة الفاسدة ، وإلا فإن عرشه سوف يصبح مهدّدا . طالعت الصيغة المقترحة وأبديت بعض الملاحظات عليها ، وبعد تعديلها

أخذتها إلى جمال عبد الناصر الذى وافق عليها بتعديلات بسيطة . وكان جمال منصور قد اقترح أن نوقع المنشور باسم « الضباط الأحرار » ووافقت على الاسم ، كذلك وافق جمال عبد الناصر ..

وأخيرا دق شوقى عزيز أولى كلمات المنشور الأول على الآلة الكاتبة .. وعندما دق عبارة التوقيع « الضباط الأحرار » كان يكتب ـ دون أن يعرف ـ بداية صفحة جديدة من تاريخ مصر الحديث ..

كانت الماكينة تعمل بكفاءة .. وكانت ماكينة التنظيم هى أيضا تعمل بكفاءة ، كفافى وجمال منصور اشتريا طوابع البريد والأظرف ، وثروت عكاشة أحضر عناوين منازل رئاسات الجيش ، ونحن أحضرنا عناوين ضباط الفرسان ، والآخرون أحضروا عناوين ضباط أسلحتهم ، وكتبنا العناوين على الآلة الكاتبة وأضفنا إليها عناوين بعض السياسيين وعدد من الصحفيين ، ثم قصصنا شرائط الورق الصغيرة التى تحمل العناوين ، كل عنوان على حدة وألصقناه على ظرف ، وقمت أنا وجمال منصور بوضع المنشور فى الأظرف ثم بتوزيعها على العديد من صناديق البريد فى القاهرة .

.. يوم أو يومان وتفجرت الحيوية والمناقشات الدافقة فى الأسلحة والميسات ، كان للمنشور فعل السحر وسط الضباط ، الكثيرون بدأوا يتدفقون حماسا ويسألون عن « الضباط الأحرار » وكانت المناقشات حول المنشور بداية لحملة تجنيد وسط الجيش ، والأهم من هذا أنها حددت لنا وبوضوح مواقف العديد من الضباط .

كل ما طبعناه كان خمسمائة أو ستمائة ورقة فيما أذكر ، لكنها سطّرت بداية جديدة لعملنا ونشاطنا ، بل وأدت إلى إحالة الفريق حيدر والفريق عثمان المهدى إلى المعاش .

وعندما طبعنا المنشور الأول كان عددنا قد وصل إلى حوالى أربعين أو خمسين ضابطا ، منهم حوالى ١٣ أو ١٤ تحت مسئوليتى فى سلاح الفرسان ، لكن المنشور الأول دفع بنا خطوات كبيرة إلى الأمام ، وحققنا نفوذا واسعا ، وعضوية أوسع .

.. ومع هذا النجاح الباهر قررنا أن نصدر المنشور الثانى ، وأيضا كتبه جمال منصور وأخذته أنا إلى جمال عبد الناصر ووافق عليه ، وكتبه شوقى عزيز وطبعناه ، لكن الأمن كان يتربص بنا .. وصدرت التعليمات لأجهزة البريد باحتجاز أية رسائل تحمل عناوين مكتوبة بالآلة الكاتبة وموجهة إلى ضباط بالجيش ، وبالفعل تم احتجاز معظم الرسائل ولم يصل منها إلا عدد محدود .

وقد علمنا على الفور بذلك ، ثروت عكاشه تلقى هذه المعلومة من صهره أحمد أبو الفتح رئيس تحرير « المصرى » وأبلغها لى ، كنا نغلى غضبا ، وأحسسنا بروح عاتية من التحدى ، كان قد تبقى لدينا حوالى خمسين نسخة من المنشور وزعناها على الضباط الذين قاموا بدورهم بتوزيعها فى الميسات وفى دورات المياه فى القشلاقات وفى المكاتب الإدارية فأحدثت دويا هى الأخرى .

.. لكن الأمر تطلب منا أن نعيد حساباتنا ، وقررنا أن ننقل « الرونيو » من عند شوقى عزيز .

□ □ □

وهنا أود أن أتوقف قليلا لأتحدث عن رحلة آلة الرونيو هذه .

فلقد تحدث الكثيرون عن هذه « الآلة » وجرت مساجلات عديدة حول من الذى احتضنها وأخفاها فى بيته متحملا مخاطر جسيمة .. والحقيقة أن القليلين هم الذين عرفوا تفاصيل هذه الرحلة ، والبعض علم بجزء منها وقرر أن ما يعرفه هو كل الحقيقة ، بينما هو مجرد جزء منها .

فمن بيت شوقى عزيز انتقلت الماكينة إلى بيت جديد ..

حسن إبراهيم رشح لنا بيت ضابط طيران هو عبد الرحمن عنان وكان أعزب ومنضبطا ، وحياته منظمة تنظيما دقيقا ، وتقديراته الأمنية عالية ، ومن هنا كان الاختيار جيدا وملائما .

ثم واصلت الآلة رحلتها ..

بعد فترة اقترح جمال عبد الناصر أن ننقل الماكينة إلى بيت حمدى عبيد ، وكان أيضا أعزب ولكن لم يكن معروفا كسياسى ، أو حتى مهتما بالسياسة ، بل كان ضابطا مرحا خفيف الدم ، أو كما يسمونه « ابن نكتة » ، ومن هنا رأى جمال - وكان على صواب - أن بيته لا يثير أية شبهات .

وبعد أن تصاعدت حدة الموقف ، وتزايد الخطر ، انتقل الرونيو مرة أخرى لتتسلمه منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) .. ليعمل عندها وتطبع عليه منشوراتنا حتى قيام الثورة .

وقبلها بفترة كان شوقى عزيز قد توقف عن الكتابة على الآلة الكاتبة ، وتطوع أحمد

فؤاد ليكتب لنا المنشورات ، قال إنه سيكتبها على الآلة الكاتبة الموجودة فى مبنى النيابة العامة ، ولكن عرفت فيما بعد أنه كان يكتبها فى الجهاز الفنى لمنظمة حدتو .

□ □ □

والحقيقة أن علاقة أحمد فؤاد بنا كانت قد توثقت إلى حد كبير ، وقد أعجب به عبد الناصر إعجابا شديدا ، وبهر إلى حد كبير بمعلوماته الواسعة وتحليلاته السياسية المتقنة ، وباختصار كان عبد الناصر أمام مثقف واسع الاطلاع ، حلو الحديث ، يقدم إليه تحليلات سياسية جيدة ، ويشغل منصبا مرموقا فهو قاض ، وليس كالرفيق بدر ميكانيكيا ..

.. كان « بدر » (سيد سليمان رفاعى) يتمتع بكل ميزات أحمد فؤاد بل ويتفوق عليه .. فهو فى نهاية الأمر السكرتير العام لمنظمة حدتو التى يعمل أحمد فؤاد واحدا من كوادرها .. لكن أحمد فؤاد قاض وسيد سليمان رفاعى ميكانيكى .

.. واختار عبد الناصر أن يمنح إعجابه للقاضى أحمد فؤاد .

وهكذا توثقت العلاقة « بحدتو » عن طريق علاقة وثيقة ومستديمة بينى أنا وعبد الناصر وبين أحمد فؤاد .. وكثيرا ما كان عبد الناصر يلتقى منفردا بأحمد فؤاد ويجرى معه مناقشات طويلة حول الموقف السياسى المحلى والدولى ، لكنه أبدا لم يفكر فى الانضمام إلى « حدتو » .

وعن طريق هذه العلاقة احتضنت منظمة حدتو باهتمام بالغ كل الاحتياجات الفنية للضباط الأحرار ، سواء الكتابة على الآلة الكاتبة أو الطباعة أو توزيع المنشورات .

فبعد مصادرة الأمن للمنشور الثانى والثالث تطلب الأمر كتابة العناوين على الأظرف بخط اليد . والكتابة بخط اليد مسألة خطرة لأنها دليل تأخذ به المحاكم .. وخبير الخطوط قادر على مضاهاة الخطوط وتحديد كاتبها وفقا للعينات المقدمة إليه ، وكان من الطبيعى أن نحذر من كتابة العناوين بخطنا فإن أية شبهة تحيط بنا يمكن أن توقعنا فى أيدى جهات الأمن .

وتحدثت مع أحمد فؤاد فى هذه المشكلة ، وبعد عدة أيام أبلغنى أن الضباط اليساريين أعضاء « حدتو » الذين انضموا إلى « الضباط الأحرار » يعرضون تطوعهم للقيام بهذه المهمة الخطرة وهى كتابة العناوين على الأظرف بخط أيديهم ، وأذكر من المتطوعين محمود المناسترلى وصلاح السحرتى وأحمد قدرى وجمال علام ، والأخير كان من سلاح الصيانة ، وقد تولى هؤلاء أيضا توزيع الأظرف على صناديق البريد .

وهكذا أمكن للمنشورات أن تنتظم .. وأن تتواصل ، وأن تصل إلى جموع الضباط .

□ □ □

وفى هذه الأثناء تواصلت اجتماعات مجموعة القيادة ، كنا نجتمع ليقدم كل منا تقريرا عن نشاطه وعن التجنيد الجديد دون إفصاح عن الأسماء .

وكنا نجرى مناقشات فى الوضع السياسى ، وعندما جرت الانتخابات فى مطلع عام ١٩٥٠ توقعنا أن يفوز الوفد ، لكننا أصبنا بإحباط بعد فوزه فقد كنا نتصور أنه سيقف فى مواجهة الملك والاحتلال ، فإذا به يتحاشى الاصطدام بالقصر الملكى ، وعلل البعض ذلك بأنها سياسة جديدة صاحبها فؤاد باشا سراج الدين تقوم على أساس أن الوفد قد ظل لفترة طويلة بعيدا عن الحكم بما أضر بأنصاره ومصالحهم ضررا بالغا ، ولهذا انتهج الوفد سياسة تحاشى الاصطدام بالملك .

وكانت هناك أحداث خطيرة وفضائح مثل « **كورنر القطن** » ، وفضيحة الأسلحة الفاسدة التى فجرها إحسان عبد القدوس على صفحات روز اليوسف .

كانت المناقشات تدور حول هذه الأحداث ، وتستقر بنا عند يقين بعدم إمكانية الثقة فى هذه القوى السياسية وعدم قدرتها على تقديم حل حقيقى لمشكلات الوطن ومشكلات الشعب .

وأحسسنا أن ثمة شيئا منوطا بنا أن نفعله نحن ، نحن وليس غيرنا .

٧ عبدالناصر والشيوعيون من التعاون إلى الصدام

* وتطوع الشيوعيون لكتابة العناوين .
* رحلة الرونيو إلى « حدتو » .
* عشاء مع السفير الأمريكى .
* طبعت « حدتو » برنامج الضباط الأحرار .. فغضب عبد الناصر .
* .. ورفضت أن أعطى عبد الناصر أسماء الضباط الشيوعيين فغضب أيضاً.
* قصة العلاقة بين « موريس » وملكونيان .

.. تحدثنا من قبل عن المأزق الذى وقعنا فيه بمصادرة البوليس لمنشورنا الثانى .. والحقيقة أن هذه الضربة قد أوجعتنى شخصياً أنا ومجموعة الفرسان ، فقد كان بعض زملائنا فى الفرسان « جمال منصور - كفافى - نصير » يلحون فى ضرورة عمل شىء سريع يثير حماس الضباط ، واقترحوا إصدار منشورات ، وكان عبد الناصر مترددا ، ولعل أسباب عبد الناصر للتردد كانت متعددة .

فلعله لم يكن يريد أن يستفز الأمن ضدنا ونحن لم نزل مجموعة صغيرة ، لم يكتمل استعدادها بعد .

ولعله كان يتحسب من أن صياغة المنشورات ستكون بالضرورة ذات طابع إثارى ، وقد تجبر الجماعة على تحديد مواقف لم يكن عبد الناصر يريد الالتزام بها علنا تحوطا لاحتمالات المستقبل .

ولقد اتضح ذلك بشكل جلى عند صياغة برنامج الحركة الذى أسميناه « أهداف الضباط الأحرار » .. وهو ما سنتحدث عنه فيما بعد ، ولقد ظل عبد الناصر متردداً تجاه مسألة إصدار منشورات ، لكنه وإزاء إلحاحى وافق بشرط أن تكون عملية إصدار المنشور مسئولية مجموعة الفرسان .

ولهذا .. فعندما صادر الأمن المنشورين الثانى والثالث ، أحسست أنا ومجموعة الفرسان بقدر ما من المسئولية إزاء ضرورة الاستمرار .

ولقد كنا نعرف أنهم يتربصون بنا ، وأن كتابة العناوين على الأظرف بخطوطنا مخاطرة حقيقية خاصة وأن البعض منا تحيطه الشكوك ، وأنا شخصياً كنت أشعر ببعض الخطر ، ألم يقدم عبد الناصر اسمى ليوسف رشاد طالبا نقلى من الحدود قائلا إننى « ضابط جدع ويمكن الاعتماد عليه » ، ألم يقل لى أحد ضباط الحرس الحديدى إن القصر الملكى يعرف أننى يسارى وأنهم فى القصر « لا يرتاحون لى » .

وفى ظل هذا الارتباك تقدم أحمد فؤاد بالحل ..

بدأ فقال : نحن نتولى كتابة العناوين ، ثم أضاف : يمكننى أن أقدم لك عددا من ضباط الفرسان ليقوموا بهذه المهمة ، وقدم لى أربعة أسماء : محمود المناسترلى - صلاح

السحرتى - أحمد قدرى - ضابط مهندس جمال علام (الصيانة) .. ولأننى كنت أتعامل مع عبد الناصر بأمانة شديدة ، فقد أبلغته أن عددا من الضباط اليساريين يريدون الانضمام إلى مجموعة الفرسان ، فوافق على الفور ، فقلت له بصراحة إنهم شيوعيون .. فقال : مايهمش مادام بيدخلوا كأفراد مفيش مشكلة .

وبدأت المنشورات تنتظم من جديد ، ووضعنا خطة جديدة ، كان هؤلاء الضباط الأربعة يكتبون العناوين على الأظرف ، ويوزعون أربعين أو خمسين منشورا فقط على صناديق البريد يوميا ، وكانوا يحاولون تغيير أسلوب كتابة العنوان ومكان لصق طابع البريد ، وأحيانا يكتبون العنوان باليد اليسرى بهدف تضليل رجال الأمن الذين كانوا يتابعون بحرص الرسائل ذات الخطوط المتشابهة ، كذلك حرصنا على طى المنشور بحيث تكون الكتابة إلى الداخل حتى لا يمكن التعرف على أن المظروف يحتوى على أوراق مكتوبة بالآلة الكاتبة .

وهكذا استطاعت هذه المجموعة أن تدفع عملنا فى توزيع المنشورات خطوة هامة إلى الأمام .

وفى هذه الأثناء كان أحمد فؤاد - كما قلت - يقوم بكتابة المنشورات على الآلة الكاتبة . وكان كثيرا ما يشترك معى أنا وعبد الناصر فى إعداد صيغة المنشور ، ثم يتسلمه ليكتبه .

وبعد حريق القاهرة انتقل الرونيو إلى « حدتو » ، وهكذا اكتملت الدائرة : « حدتو » تسهم معنا فى صياغة المنشور عن طريق أحمد فؤاد ، ثم يكتب عندها على الآلة الكاتبة ، ثم تقوم بطباعته ، وتقوم مجموعة من ضباطها بإرسال الجزء الأكبر منه بالبريد بينما تسلم لنا كمية لتقوم المجموعات بتوزيعها باليد على عدد من الضباط الموثوق فيهم ، أو توزيعها على ميسات الضباط ، وفى المكاتب ، وعلى رئاسات الجيش .. وهكذا .

وطوال هذه الفترة كان التعاون والانسجام واضحا بين عبد الناصر وأحمد فؤاد ، وكانت المنشورات يتوالى إصدارها ، وكان عجز الأمن عن إيقافها أو القبض على مصدريها يمثل عنصر حماس واسعا داخل القوات المسلحة .

وقد بدأ أحمد فؤاد فى محاولة نقل بعض الأساليب اليسارية فى العمل الحزبى إلى حركة « الضباط الأحرار » ، فاقترح على عبد الناصر أن نقوم بإعداد

سلسلة من محاضرات التثقيف لمجموعات الضباط الأعضاء فى الحركة ، ولم يعترض عبد الناصر ، لكنه طلب التأجيل حتى يشتد عود الحركة .

.. ومن الضرورى أن نشير إلى أن علاقة « حدتو » بالضباط الأحرار قد تركت أثرا ملحوظا على شعاراتنا والأهداف المعلنة فى منشوراتنا . ولأن الاتجاه الوطنى السائد فى صفوفنا كان فى جوهره معاد للاستعمار ومتمسك بالاستقلال الحقيقى ، ولأن « حدتو » كانت فى تعاملها معنا تركز على هذا الجانب أيضاً .. فلم تبرز مشاكل ما خلال هذا العمل المشترك .

والآن وأنا أكتب هذه الأسطر .. تتألق أمامى على المكتب نسخة من أحد منشوراتنا .. فلِم لا نقرأ معاً بضعة أسطر منه :

« توالت مؤامرات الاستعمار الأنجلو - أمريكى فى الفترة الأخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ، وصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال ، إلى المشاكل الداخلية فى القاهرة ، فبعد أن أعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات وإلغاء المعاهدة ، ورفض حلف الشرق الأوسط الرباعى الاستعمارى ، وتكوين الكتائب الوطنية ، وبعد أن اشتدت جذوة الوطنية فى البلاد حتى كادت مصر أن تصل إلى حقوقها كاملة ، دبر الاستعمار وأذنابه انقلاب ٢٦ يناير الماضى (حريق القاهرة) ، وجاءت حكومة على ماهر ، وبدأت المفاوضات من جديد . وكان الاستعمار والخونة المصريون يؤملون كثيرا فى على ماهر ، وفى تسليمه تسليما كاملا بمطالبهم بقبول الحلف الرباعى ، وحل البرلمان ، واعتقال آلاف الوطنيين واستعمال الأحكام العرفية للتنكيل تنكيلا واسعا بالشعب ، ولكن خاب رجاؤهم ولم يجبهم على ماهر إلى كل مطالبهم فكان لابد من انقلاب جديد لتحقيق الأهداف الاستعمارية ، لابد من انقلاب جديد وتحويل الحركة إلى الداخل ، والقيام بحركة تطهير واسعة بحجة تقوية الصفوف قبل مجابهة الاستعمار . وهكذا وصل الهلالى إلى الحكم ، وأعلن بصزاحة أن مهمة وزارته الرئيسية هى التطهير والقضاء على الفساد ، وقد تناسى أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار ، وأنه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى إلا إذا قضى على أسبابه ومصدره » .

.. وأتأمل الصياغات ، أجد أنها وطنية صرفة ، لكنها ذات مسحة متشددة ، واليسار وحده هو الذى كان يستخدم مثل هذه العبارات المحكمة ، ووحده الذى كان يهاجم أمريكا ويستخدم تعبير الاستعمار الأنجلو - أمريكى .. كما أن القوى الوطنية ذات الاتجاه التقدمى كانت هى المهتمة بإدانة الأحلاف العسكرية .

.. إنها بعض من آثار التعاون المستمر والتأثير المتبادل بين حركة الضباط الأحرار و « حدتو » ، ويمكننا أن نلمح هذا الأثر أيضا عندما نطالع معا بضعة أسطر أخرى من منشور آخر صدر بتاريخ ١٢ مارس ١٩٥٢ :

ايها الضباط :

ان حريتكم رهينة بحرية الشعب . فكافحوا من أجل الحرية فى كل مكان ، وأعلموا أن الخونة من قادة الجيش هم الذين يعتمد عليهم الاستعمار ، واستديروا لأعداء الوطن وأجبروهم على احترام حريتنا وكرامتنا ووطنيتنا التى استباحوها للدفاع عن مصالحهم .

يسقط الاستعمار

يسقط التحالف مع الاستعمار

يسقط الدفاع المشترك

تسقط الأحلاف العسكرية . .

.. مرة أخرى الآثار واضحة ، ولعل الكلمات والصياغات واضحة الدلالة ، بما يكفى ويزيد .

□ □ □

ومع تواصل صدور المنشورات بدأت بعض الشائعات تحاول التهوين من أمرها ، وتقول إنها تصدر عن مدنيين من خارج الجيش ، وأنه لا وجود لشيء اسمه « الضباط الأحرار » .

ولهذا وبعد المنشور الخـ[illegible] نفكر فى حيلة لإقناع الضباط بأن هذه المنشورات تصدر عن زملاء لهم ، ومن بين [illegible] .

واهتدينا إلى حل لهذه المشكلة ..

فكان المنشور من صفحه واحدة . وعلى الصفحة الأخرى أصدرنا مجلة أسميت « **صوت الأحرار** » ، وكانت تحتوى على أخبار من الجيش ، أخبار لا يمكن أن يتعرف عليها إلا الضباط ، وكنا ننشر الخبر ونعلق عليه .

فمثلا كنا نقول : فى اجتماع كذا للضباط قال الضابط فلان كذا وكذا ، وقد أحدثت هذه النشرة دويا جديدا فى صفوف الضباط ، ولم يعد هناك من شك فى وجود تنظيم عميق الجذور ، متعدد المرتكزات فى صفوف القوات المسلحة ، وأحدث ذلك أثرا إيجابيا وسط الضباط ، ومنحهم المزيد من الثقة فينا وفى قدراتنا .

وبدأنا نتقن فن التخاطب مع جماهير الضباط ، ففى عيد الفطر وزعنا على الضباط مظاريف معايدة صغيرة بكل منها ورقة صغيرة مطبوعة على الرونيو ، مكتوب عليها بالآلة الكاتبة :

« أيها الأخ الكريم :

كل عام وأنت بخير ، ونتمنى أن يأتى العام القادم ويكون الوطن قد تحرر من الاستعمار والأحلاف العسكرية الاستعمارية ، ونتمنى أن تتحقق للشعب حريته ، وتلغى الأحكام العرفية وتعاد الحياة الدستورية للبلاد .

الضباط الأحرار »

□ □ □

ونعود من جديد إلى عملية التشابك المعقدة والطويلة الأمد بين حركة الضباط الأحرار و « حدتو » ..

وقد أثمر هذا التشابك فيما أثمر برنامج الحركة ، هذه الوثيقة الهامة التى أسميت « أهداف الضباط الأحرار » .

والحقيقة أن صيف ١٩٥١ قد شهد ركودا فى عملية إصدار المنشورات ، فأحمد فؤاد سافر إلى لبنان ، والعديد من الضباط كانوا فى أجازات ، وأنا سافرت إلى الاسكندرية مع معسكر التدريب الجامعى .

وفى الاسكندرية .. حيث انفردت طويلا بنفسى متباعدا عن دوامة الحياة اليومية ، بدأت تختمر فى ذهنى فكرة إصدار برنامج لحركتنا .

كان أحمد فؤاد قد ألح طويلا على هذه المسألة ، وأكد على أهميتها فى تحديد هوية الحركة وخلق رباط فكرى بين أعضائها ، وكان عبد الناصر لا يرى ضرورة لذلك .. وكنت لا أجد مبررا للإلحاح على هذه المسألة .

لكننى وفى جلسات التفكير المنفردة بالاسكندرية استشعرت أهمية إصدار مثل هذه الوثيقة .

وفى أوائل سبتمبر كان أحمد فؤاد قد عاد من لبنان ، وأنا من الاسكندرية ، والتقينا وجلسنا معا .. وشرحت له وجهة نظرى فى أهمية إعداد وثيقة برنامجية ، وبالطبع وافق بسعادة ، فقد كان يلح على ذلك منذ أمد ، وأعددنا الوثيقة معا ..

كتبتها بخطى - رغم ما فى ذلك من مخاطرة - وقمت بعرضها على « لجنة القيادة » .. وفى هذه الجلسة ، بدأت وبشكل مباشر فى عرض الاقتراح ، وبصوت مفعم الحماس المتوتر بدأت فى تلاوة المشروع المقترح :

□ أولا : القضاء على الاستعمار الأجنبى وأعوانه الخونة فى وادى النيل

(أ) إن حقيقة الاستعمار هى الاستغلال الاقتصادى الذى تقوم به دولة أجنبية لموارد وأفراد شعب آخر ، وذلك عن طريق الشركات ورؤوس الأموال الأجنبية التى تنهب موارد المواد الأولية ، وتستغل شعوب البلاد المستعمرة . وقد يكون مصحوبا باحتلال عسكرى كمصر ، وقد لا يكون مصحوبا باحتلال عسكرى كإيران التى تنهب الشركات الأجنبية بترولها لصالحها وحدها .

ومصر تخضع للاستعمار البريطانى أساسا ، ولكنها تخضع أيضا لاستعمار دول أخرى تنهب مواردها بأبخس الأثمان ، كالاستعمار الفرنسى ممثلا فى شركة قناة السويس ، والاستعمار البلجيكى ممثلا فى شركات الترام وهليوبوليس ، والاستعمار الأمريكى ممثلا فى شركات الكوكاكولا والبيبسى كولا والحرير الصناعى وغيرها ..

(ب) لماذا نحارب الاستعمار ؟

١ - لأنه سبب نكبة هذا البلد وتأخره فى كل المظاهر اقتصاديا وماليا وفى التعليم والصحة والجيش .

٢ - لأنه منع تقدمنا الصناعى وحطم صناعتنا التى كانت قائمة حتى لا تنافس صناعاته ، وحول مصر إلى بلد زراعى محض لا زال يستعمل حتى الآن الزراعة المتأخرة التى كان يستعملها الفراعنة .

٣ - لأنه حطم الجيش المصرى ومنع تقدمه ، وبعد أن كان لنا جيش تعداده مائتى ألف جندى أيام محمد على ، وأسطول حربى هو الثالث فى البحر الأبيض ، ومصانع حربية ضخمة ، أصبحنا لا نملك شيئا . ولا أمل لنا فى بناء جيش قوى إلا بعد القضاء على الاستعمار .

٤ - لأن الاستعمار الأجنبى يريد أن يجرنا معه إلى حرب عالمية ثالثة ، يحارب فيها لمصلحته الاقتصادية بجنود مصريين يضحون بأرواحهم فى سبيله ، وخاصة بعد أن فقد مستعمراته الكبيرة كالهند وبورما وغيرها التى كانت تمده بالرجال ..

(جـ) كيف يحكمنا الاستعمار ؟

والاستعمار لا يحكمنا حكما مباشرا بواسطة موظفين وحكام إنجليز كما يفعل مع البلاد المتأخرة جدا فى وسط أفريقيا ، وإنما يحكمنا عن طريق الخونة من المصريين حكما غير مباشر . هؤلاء الخونة هم الذين ترتبط مصالحهم بمصالحه عن طريق الرشوة والخدمات الخاصة ، والتعيين فى مجالس إدارات الشركات ، والمكافآت الضخمة والألقاب والنياشين الأجنبية . وهم يتمثلون فى رجال القصر ورجال الأحزاب المختلفة التى تتوالى على الحكم ، وفى الصحافة المرتشية التى تدافع بطريقة ظاهرة أو ملتوية عن الاستعمار ، ولابد من القضاء على هؤلاء الخونة ليتم تطهير البلاد .

(د) كيف نحارب الاستعمار وأعوانه ؟

١ - برفض الارتباط بأية صلة كانت مع أية دولة من الدول الاستعمارية كالدفاع المشترك أو غيره من المؤامرات المماثلة له .

٢ - بالتمسك بالحياد فى أى حرب مستقبلية ، ويجب أن تلعب القوات المسلحة دورا رئيسيا فى هذه الدعوة ، وعلى ذلك يجب أن يعاد تنظيم الجيش وتسليحه ، بحيث يكون قادرا على خدمة أهداف البلاد . ويجب أن يعلم الجيش أنه جزء من الشعب ، وأنه لن تقوم له قائمة إلا فى بلد متحرر مستقل قوى .

٣ - بإطلاق الحريات العامة جميعها للشعب حتى يستطيع أن يلعب دورا فعالا فى الحرب ضد الاستعمار .

٤ - العمل على المساعدة فى تكوين جبهة وطنية من جميع الأفراد والهيئات الوطنية المخلصة التى تكافح ضد الاستعمار ، ومحاربة الهيئات غير الوطنية .

□ ثانيا : تكوين جيش وطنى قوى يقوم على الأسس التالية :

١ - قيادة جديدة يفسح فيها المجال للشباب الوطنى الكفء من الضباط .

٢ - إعادة تنظيم وتدريب القوات المسلحة على أسس سليمة .

٣ - إعداد ضباط الصف إعدادا كاملا ، وإفساح مجال الترقية لرتبة « ضابط » لمن يظهر كفاءة منهم فى العمل .

٤ - ضمان مستوى معيشة مناسب لصف الضباط والجنود .

٥ - نشر الوعى الوطنى بين الضباط والجنود .

.. ليس لمصر أهداف عدوانية ، ولكننا يجب أن نكون قادرين على دفع أى نوع من العدوان سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو عسكريا .

.. واستمع الزملاء فى « لجنة القيادة » إلى تلاونى المتحمسة لهذه العبارات دون أن يبدو عليهم اهتماما كافيا بها ، ولا حماسا ولا انفعالا بالكلمات .. وكان واضحا تماما أنهم ليسوا متحمسين لإصدار مثل هذه الوثيقة . وكان جمال أقلهم حماسا ، فقد قال إن البرنامج جيد لكن إعلان الارتباط به يضعنا فى مركز حرج ، ويلفت الأنظار إلينا ، ويحشد القوى المعادية ضدنا .

كان عبد الناصر يتمتع بالقدرة على النظر إلى المستقبل ، وقال بصراحة : عندما سنقوم بحركتنا فإن مثل هذه الوثيقة قد تدفع الإنجليز إلى التدخل ضدنا على أساس أنها تقف ضد مصالحهم ، وكذلك الأمريكان . وقد توقف عبد الناصر طويلا أمام بعض العبارات التى تترجم التوجهات الوطنية بصياغات يسارية ، لكنه فى الحقيقة لا هو ولا بقية الزملاء توقفوا

طويلا أمام هذه العبارات أو الصياغات ، ويمكن القول بأنهم لم يدركوا أهميتها ، أو لم يريدوا أن يعطوها أهمية كبيرة . لكن أكثر العبارات التى لفتت نظر جمال عبد الناصر ودفعته إلى الاعتراض عليها هى عبارة « **الاستعمار الأمريكى** » .. وقال : الشعب لا يعرف سوى الاستعمار البريطانى ، فلماذا ندفعه إلى اللخبطة ونتحدث عن الأمريكان . ولما تحدثت عن أن الاستعمار البريطانى ينهاوى وأن الخطر الحقيقى هو الاستعمار الأمريكى ، قال : لكن هذا التعبير لا يستعمله إلا الشيوعيين ، فقلت : إن الكثير من الحركات الوطنية التحررية فى العالم أصبحت تستخدم هذا التعبير .

وباستثناء هذا النقاش المحدود ، فإن أحدا لم يعلق طويلا على الصياغات .

وتحدثت بحماس عن أهمية وجود برنامج يحشد حولنا الضباط ، ويعطى الثقة لأعضائنا بأننا حركة ذات أهداف يمكن للجميع أن يتوحدوا حولها ، لكن الآخرين ظلوا لا يبدون حماسا .

وهنا اكتشف عبد الناصر كعادته حلا مرضيا وقال : إذا كنت تريد مخاطبة الأعضاء عندنا فلا بأس ، نمرر عليهم هذه الورقة ثم نعود إليك لتحتفظ بها ، ولكن لا داعى لطبعها وتوزيعها .

وتقبلت هذا الحل الوسط ..

وأصبحت هذه النسخة الوحيدة المكتوبة بخطى من « أهداف الضباط الأحرار » أحد الأشياء اللصيقة بى وبزوجتى .. فهى تسلم إلى مجموعات الضباط ليقرأوها ثم تعاد إلىّ لأحتفظ بها معى أو تحتفظ بها زوجتى . كنت أنام وهى تحت رأسى ، لم تفارقنى أنا أو زوجتى قط حتى قامت الثورة وتسلمها جمال عبد الناصر واختفت ولم يمكننى العثور عليها بعد ذلك .

ولكن من حسن الحظ أن « حدتو » كانت تحتفظ لديها بنسخة منقولة من هذه الوثيقة ، وهى النسخة التى أعيد نشرها بعد الثورة .. لتحدث أول تصادم حقيقى بين عبد الناصر و « حدتو » .

□ □ □

.. والآن لنخطو معا بضع خطوات إلى الأمام .. لنستبق سياق الحدث والحديث ونأتى إلى موعد التصادم بين عبد الناصر والشيوعيين .

فقد قبل عبد الناصر التعاون معهم قبل الثورة بهدوء وبدون حساسية ، ولكن عندما نجحت الثورة وتحولنا إلى حكام نغير الأمر ..

ولابد أن أتحدث فى هذه النقطة بوضوح كامل ، فأنا أقدم شهادتى للتاريخ ، ومن السهل أن ألقى اللوم على طرف واحد وأستريح ، لكن ضميرى لن يستريح . ولا مفر من أن أتحدث بكامل الصراحة .. والصدق .

لقد أخطأ الشيوعيون منذ البداية .

أخطأت « حدتو » تحديدا ، لقد غرها أنها شاركت واشتركت فى صناعة هذا الحدث التاريخى ، لكنها نسيت الفارق الهام بين التعامل مع مجموعة قليلة العدد من الضباط يعملون سرا ، وبين التعامل مع ضباط يحكمون الوطن ، ويطمحون إلى تعزيز حكمهم هذا .

كما كانت « حدتو » متعجلة ، وربما تحت ضغط الحركة الشيوعية العالمية التى كانت تدين حركتنا وتتهمها بأنها صنيعة للأمريكيين ، وتصمها بأنها مجرد تعبير عملى عن الصراع الخفى والملتهب بين الاستعمارين الأمريكى والبريطانى ، وكانت من ثم تتهم « حدتو » وتدينها لأنها كانت تؤيدنا ، بل وكانت مشاركة وضالعة معنا .. ربما تحت هذا الضغط ، وتحت ضغط المنظمات الشيوعية الأخرى التى كانت تتهمنا بأننا حركة فاشية ، وتتهم « حدتو » بالعمالة ، كانت « حدتو » تضغط من أجل مواقف مبدئية وواضحة وإعلان نوايا صريح وواضح من حركة الجيش ، وكان هذا صعبا بل ومرفوضا من قبل مجلس قيادة الثورة ، فالحركة عندما حكمت كانت راغبة فى الاستقرار وفى حماية هذا الاستقرار .

وأخذ الأمريكيون يتقربون من الحركة .. وأذكر أن عبد المنعم أمين (وهو الذى قاد قوات المدفعية التى شاركت فى الثورة وانضم بعدها إلى مجلس قيادة الثورة) قد دعانا إلى العشاء فى بيته ، وحضر كافرى السفير الأمريكى والمستشار السياسى للسفارة الأمريكية ، وأحسست أن هذه الجلسة كانت تمهيدا لعلاقة حسنة مع الأمريكان .

وطبعا أنا كيسارى كنت أشعر برفض داخلى لذلك ، لكن الزملاء كانوا واقعيين ، فالاتحاد السوفيتى ضدنا ويهاجمنا ، ومعركتنا الداخلية صعبة

وشرسة ، وأمريكا قوة عظمى وهى تقترب منا ، ولا تبادرنا بالعداء بل تبدى ما يشير إلى احتمال تقديم مساعدات لنا .

لكن مثل هذه المقابلات والتصرفات أحدثت حالة من القلق ورد الفعل لدى « حدتو » ، وبدأوا يضغطون بطريقة غير متوازنة علىّ وعلى يوسف صديق بهدف دفعنا للتصادم مع الحركة ، والمطالبة بمواقف حاسمة ، لكن الحسم لم يكن ممكنا ، فأغلبية مجلس الثورة كانت تمضى وتتحسس طريقها للبحث عن استقرار للحكم دون تصادم مبكر مع قوة كبرى كأمريكا .

وباختصار كان اليسار فى ذلك الوقت يفتقد القدرة على التعامل المتوازن مع سلطة له علاقة قديمة بها ، لكنها أصبحت علاقة غير متكافئة ، ولم يعمل على الاحتفاظ بنقطة ارتكازه داخل السلطة وتنمية دورها ، بل أسرع بالتصادم بما أفقده علاقته بالسلطة نهائيا بل وأوقعه فى مواجهة مريرة معها .

.. ومن الناحية الأخرى فإن عبد الناصر - وللحقيقة - قد تغير سريعا ، وما أن وصلنا إلى الحكم حتى بدأ يستشعر حساسية فائقة من أصدقاء الأمس ، فى الماضى لم يكن يمتلك هذه الحساسية ، كان يرحب بالتعامل مع الشيوعيين ، وكان يعتمد عليهم ويثق فى كفاءتهم ورؤيتهم الشاملة ، لكنه وبعد نجاح الثورة بدأ يستشعر حساسية فائقة ، ولعل هذه الحساسية قد عجلت بالصدام .

أذكر بعد الثورة أنه بادرنى بالسؤال : **ما هو اسم الرفيق « بدر » الحقيقى ؟**

كان عبد الناصر لم يزل غير قادر على نسيان هذا الميكانيكى ذى الحديث المبهر ..

لم أكن أعرف حتى ذلك الحين أن « بدر » هو سيد سليمان رفاعى ، وحتى لو كنت أعرف لما قلت له .

وامتعض عبد الناصر من إجابنى : « **لا أعرف** » - ثم جاء فى يوم تال وبادرنى قائلا : **تذكر أن عددا من الضباط الشيوعيين فى الفرسان قد انضم إلينا** . قلت : **نعم** ، قال : **من هم ؟**

ورفضت أن أعطيه الأسماء ، وغضب عبد الناصر وسألنى : **أين ولاؤك ، هل للثورة أم للآخرين ؟!** وأجبت إجابة قاطعة : **المسألة ليست مسألة ولاء لكنها مسألة ضمير وشرف ، وأنا لا ولن أشى بإنسان وثق بى وأعطانى بعض أسراره .**

.. وإذ شعرت « حدتو » بأن حركة الضباط لا ترفع ذات الشعارات الحاسمة ضد الاستعمار الأنجلو – أمريكى وضد الأحلاف العسكرية ، تلك الشعارات التى كانت ترفعها من قبل ، والتى تحدثت عنها وثيقة « أهداف الضباط الأحرار » ، قررت أن تخطو خطوة لإحراج النظام الجديد بأن تنشر هذه الوثيقة ..

وزارنى أحمد فؤاد ليسألنى : ما رأيك فى أن نطبع « أهداف الضباط الأحرار » ؟ وقلت : إن الوقت غير مناسب ، فقال : لابد من طبعها لكى لا يتراجع أحد عنها ..

ولم أوافقه على رأيه .. لكننا فوجئنا بها مطبوعة .

وغضب عبد الناصر غضبا شديدا وشعر كأن « حدتو » قد أصبحت عبئا على حركته وعلى توجهاته الجديدة ، وسألنى أين الورقة الخاصة « بأهداف الضباط الأحرار » فقدمتها له .. فهز رأسه قائلا : إذن هم الذين فعلوها .

وبعدها بقليل كان الأمن يهاجم مقر الأجهزة الفنية لمنظمة حدتو ليصادر أجهزة الطباعة ، ومن بينها جهازنا « الرونيو » الحبيب الذى زاملنا لأمد طويل .. استقر الآن فى يد الأمن ، والذين عملوا عليه وطبعوا لنا منشوراتنا .. استقروا فى السجن .

ولعل رواية سمعتها فيما بعد تلخص مجمل العلاقة بين « الضباط الأحرار » ومنظمة حدتو :

كانت « حدتو » تطبع منشوراتنا كما قلت ، وكان عبد الناصر لفرط حرصه يتسلمها بنفسه من مسئول اتصال خاص ..

فى الموعد المحدد .. وفى المساء كانت سيارة صغيرة تقف على كورنيش النيل بالروضة قبل قصر المناسترلى ، وأمام عجلة القيادة شاب أسمر طويل يرتدى ملابس مدنية اسمه « موريس » (وكان موريس هذا هو عبد الناصر ، ولعل هذا هو سر الادعاء الخاطىء بأن جمال كان عضوا فى « حدتو » وأن اسمه الحركى كان موريس) ..

ووفق الاتفاق كان شاب أرمنى بعيد عن كل الشبهات يمتلك محلا لإصلاح الراديو فى شارع الروضة اسمه ملكون ملكونيان .. وهو واحد من كوادر « حدتو » الموثوق بهم ، يقترب من السيارة ليسلم « موريس » لفافة ..

لم يكن ملكون يعرف من هو « موريس » ، ولا ماذا فى اللفافات التى سلمها مرارا له .

وبعد قيام الثورة شاهد ملكون صورة « موريس » تملأ الصحف .. وأيقن أنه أسهم إسهاما تاريخيا فى إنجاح الثورة ..

لكن زهوه هذا لم يدم طويلا ، فما لبث البوليس أن قبض عليه مع زملائه المسئولين عن طبع المنشورات ، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات قضاها كاملة ..

وبعد هذه الواقعة بدأ عبد الناصر يلح علىّ فى أن أقطع علاقتى بأحمد فؤاد لكننى لم أجد مبررا لذلك .

إنها دورة الأحداث .

ولعلى الآن وأنا مستريح الضمير أجيب عن سؤال لابد أنه يلاحقك عزيزى القارىء مع هذه الأسطر : من المسئول عن هذا التصادم المبكر بين أصدقاء الأمس ؟

وأجيب : الطرفان .. عبد الناصر والشيوعيون معا .. كلاهما مسئول ، وربما تحمل الشيوعيون القسط الأكبر من المسئولية .

٨ .. الخلاف على الزعامة

* .. وصنعنا « التيتل » .
* عندما هتف ضابط من « الأحرار » : يحيا حيدر باشا .
* حيدر مقابل النحاس .
* الضباط الأحرار فى مواجهة الملك .
* عندما قرر عبد الناصر حل « لجنة القيادة » .
* السادات لم يعط صوته لعبد الناصر .

.. كانت مصر فى مطلع الخمسينيات تتفجر غضبا ضد الاحتلال ، وضد الملك ، وضد ما أحاط بالنظام كله من فساد وظلم اجتماعى .

وكان الوفد بعد أن وصل إلى الحكم يحاول أن يلعب لعبة مزدوجة ، وأن يرضى الشعب ولو قليلا ، دون أن يتصادم مع الملك ولو بأقل قدر .

وكان الأمر صعبا ، فقد عجزت حكومة الوفد عن إرضاء الجماهير ، فواصلت الأسعار ارتفاعها ، وترددت قصص فاضحة لحالات من الفساد المتفاقم شارك فيها أقطاب وفديون مثل قصة « كورنر القطن » وغيرها ، والانجليز يتعنتون ، والملك يزداد عربدة وتحديا لكل القيم الأخلاقية ، وحكومة الوفد حائرة تحاول تارة إرضاء الملك فيغضب عليها الناس ، وتحاول تارة أخرى إرضاء الناس فيغضب عليها الملك .

وأخذت الصحف تهاجم القصر الملكى بشدة ، وطلب القصر تعديل قانون الصحافة ، فأوعز النحاس باشا لإسطفان باسيلى وهو نائب وفدى أن يتقدم بمشروع قانون جديد يفرض قيودا قاسية على الصحافة ، وثارت ثائرة الجماهير ، وحتى الوفديين لم يستطيعوا إلا إدانة القانون ، وتصدت جريدة « المصرى » لقيادة حملة واسعة ضده أسهم فيها العديد من النواب الوفديين وعلى رأسهم عزيز فهمى ، وانتهى الأمر بأن رفضت الهيئة البرلمانية لحزب الوفد مشروع القانون ، موجهة بذلك ضربة قاصمة لسياسة التهادن مع القصر .

وهاجَ الملك وقرر إقالة حكومة النحاس باشا .

وفى هذه الأثناء كانت المفاوضات المصرية – الانجليزية تتعثر دون أمل فى الوصول إلى حل ، وكانت صيحات وطنية عديدة ترتفع للمطالبة بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ . وأضرب عدد من الصحفيين عن الطعام مطالبين بإلغاء المعاهدة ، ووجهت دعوة لصيام عامّ لمدة يوم للمناداة بذات المطلب .

وفيم كان الملك يفكر فى إقالة النحاس باشا مستندا إلى قصص فساد كثيرة ، وجه الوفد ضربة غير متوقعة وقرر إلغاء معاهدة ١٩٣٦ .

ووقف النحاس أمام مجلس النواب قائلا : « من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها ».

وبدأت على الفور عمليات فدائية ضد قوات الاحتلال فى منطقة القناة .

وتفجر الغضب الشعبى بصورة لم يسبق لها مثيل .

كانت مصر تغلى ونحن نغلى معها ، وتساقط الشهداء ، وعجزت قوات البوليس عن مواجهة قوات الاحتلال .

وتساءل الناس ، وكانوا على حق تماما : أين الجيش ؟

والحقيقة أننا بدأنا نشعر بحرج شديد ، وكنا قد طالبنا بإحالة عدد من الضباط إلى الاستيداع ليتمكنوا من السفر إلى القناة ، ورُفض طلبنا .

ومع تصاعد الأحداث ، تصاعد الحرج ، وقررنا أن يتوجه عدد من الضباط بشكل جماعى إلى رئاسة أركان حرب بكوبرى القبة مطالبين بالسماح لهم بالسفر إلى القناة للوقوف مع الشعب فى مواجهة الاحتلال .

لكن رشاد مهنا (وهو ضابط مدفعية أصبح فيما بعد عضواً بمجلس الوصاية على العرش) وكان على صلة بالضباط الأحرار ، اعترض على ذلك قائلا : إن حركة كهذه قد تؤدى إلى كشف العديد من الضباط وقد تؤدى إلى اعتقالهم ، وإلى إجهاض حركتنا . وبالفعل صرفنا النظر عن ذلك ، لكن عددا من الضباط الأحرار بدأ فى السفر إلى منطقة القناة للإسهام فى المعارك ، أذكر منهم : كمال رفعت وحسن التهامى ولطفى واكد ، ثم تقدم صلاح هدايت باقتراح بتصنيع لغم يمكن أن ننسف به إحدى السفن فى قناة السويس لسد مجرى القناة ، وبالفعل قام صلاح هدايت بتصنيع اللغم ونقل اللغم بالطائرة إلى العريش ، وفيما أذكر أن الذى نقله هو حسن إبراهيم ، وسافر صلاح مع لغمه إلى العريش ، ثم نقل إلى القنطرة ، لكن عقبات ما حالت دون تنفيذ الفكرة .. ودُفن اللغم (وكنا قد أعطيناه اسما كوديا هو « التيتل ») فى الرمال ، وظل مكانه حتى قامت الثورة .

وفى هذه الأثناء أيضا بدأنا فى تجميع كميات كبيرة من الذخيرة والأسلحة ، وكان هذا سهلا للغاية ، ففى عمليات التدريب على ضرب النار كان من السهل أن يقرر ضابط أن رجاله ضربوا ١٠٠٠٠٠ طلقة بينما هم استهلكوا فقط ٢٠٠٠٠ ، وهكذا تجمعت لدينا كميات هامة أعطينا قسما منها للإخوان المسلمين ، وقسما آخر تسلمه أحمد فؤاد ليوصله

إلى « حدتو » ، وقد أبدى عبد الناصر دهشته عندما أبلغته بذلك ، وقال : أنا أعرف أن الشيوعيين بتوع كلام وسياسة ومش بتوع عمل مسلح .. ولكننى أبلغته أن لهم مجموعة فى القناة اسمها « الأنصار » ووافق على تسليمهم الذخيرة والسلاح .

□ □ □

وفى هذه الأثناء وقعت بعض المشكلات فى صفوف القوات المسلحة .

كان الملك قد اضطر تحت ضغط الرأى العام إلى إبعاد حيدر وعثمان المهدى لتهاونهما فى موضوع الأسلحة الفاسدة ، وبرغم كل ما فعله حيدر فقد كان محبوبا من الضباط لأن عهده كان عهد الترقيات السريعة للضباط ، والترقية هى أهم ما يهم الضابط .

وحلّ موعد الترقيات لعام ٥٠ / ١٩٥١ وأصدر حسين فريد ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، حركة ترقيات فى فبراير ١٩٥١ متجاوزا فيها العديد من الضباط بحجة أنهم لم يؤدوا امتحانات الترقية فى حين أن هذا الامتحان لم يكن إلزاميا ، ولكن حسين فريد استعجل فى إصدار حركة الترقيات فى فبراير بينما كان موعد الامتحانات فى مايو .

وثار الضباط ، وربما كان هذا هو ما يريده الملك آملا فى أن يضغط الجيش لإعادة حيدر باشا رجله المخلص إلى الجيش .

وفى الاحتفال بعيد ميلاد الملك فى ١١ فبراير الذى أقيم بنادى الضباط حضر حيدر الاحتفال ، وفوجىء الجميع بضابط يهتف عاليا بحياة حيدر ، وإذا بالقاعة تدوى بالهتاف بصورة مثيرة للدهشة .. أدهشت حتى حيدر نفسه .

وكان الضابط الذى بدأ بالهتاف من « الأحرار » ، وهو صلاح أبو سعدة ، وقد لعب ليلة الثورة دورا هاما .

وأصبح من الضرورى أن نصدر منشورا نوضح فيه موقف « الضباط الأحرار » من حيدر باشا ومن الهتاف له ، ونحمّل القصر - الملك وحسين فريد - مسئولية الوصول بالأمور إلى هذا الحد .. كتبنا المنشور أنا وجمال عبد الناصر وتوجهنا لطباعته ، ولكننا فوجئنا بأن آلة الرونيو معطلة بسبب تسرب بعض المياه إليها .. وفشلت محاولتنا فى إصلاحها .

.. وبقى الحادث بلا تعليق من جانبنا .

ونجح الملك فى إعادة حيدر باشا إلى الجيش .. وتسترسل ذاكرتى مع حيدر قليلا لتتداعى ذكريات هامة ..

فقد زار حيدر رفح حيث كان صلاح سالم ، واجتمع بصلاح لمدة طويلة ، وطلب منه أن يصارحه بشكاوى الضباط حتى يمكن حلها ، وكان صلاح مشتهرا بين الضباط بأنه تصادمي و « سليط اللسان » ، وتوقع حيدر أن يكون صلاح على علاقة ما « بالضباط الأحرار » ، وقرر مد جسور للعلاقة معه .

وناقشنا الأمر وقررنا أن يواصل صلاح سالم علاقته بحيدر باشا ، وظلت هذه العلاقة متصلة حتى قيام الثورة ، والحقيقة أن هذه العلاقة قد تركت أثرها على صلاح سالم ، إلى درجة أنه قد صمم بعد الثورة على عدم محاكمة حيدر باشا .

وأسترسل لأتذكر واقعة أخرى ، **فبعد الثورة طلب بعض أعضاء مجلس الثورة محاكمة النحاس باشا وعدد من السياسيين القدامى ، واعترضت أنا بشدة ، وكان هناك طلب آخر بمحاكمة حيدر ، واعترض صلاح سالم بشدة ، وكانت لصلاح مقدرة فائقة على النقاش والجدل والإقناع ، وتمسك برأيه وتمسكت برأيى ، وهنا مال صلاح سالم علىّ وقال : وافق على عدم محاكمة حيدر وأنا أساعدك فى عدم محاكمة النحاس باشا .**

ووافقت ، وانبرى صلاح سالم بمقدرته الفائقة على النقاش رافضا فكرة محاكمة النحاس باشا .

.. وتقرر عدم تقديم الاثنين للمحاكمة .

وهكذا أفلت النحاس باشا مقابل إفلات حيدر من المحاكمة .

ونعود إلى أوائل عام ١٩٥١ لنجد أن التنظيم قد اتسع بصورة لم نكن نتوقعها ، الأمر الذى دفع بجمال إلى المطالبة بتوسيع « **لجنة القيادة** » ، فقد زادت الأعباء ، واتسع النشاط ، وأصبحنا بحاجة إلى متابعة نشاط مجموعات متعددة فى مناطق وأسلحة مختلفة ، واقترح أن ينضم إلينا عبد الحكيم عامر .. صديقه القديم والذى أبلغنا منذ الاجتماع الأول للخلية الأولى أنه معنا وأنه لا يخفى عنه شيئا .

وكان عبد الحكيم عامر فى هذه الفترة أركان حرب فرقة مشاة ، وكان هذا الموقع مغريا لأهميته فى أى تحرك ، كذلك فقد كنا نعرفه ، ونعرف فيه إخلاصه وذكاءه ودهاءه فى آن واحد .

وفى فترة اتصالنا بالإخوان المسلمين كان عبد الحكيم أكثرنا كرها للإخوان ، وكان يقول إنهم رجعيون ومسئولون عن إفشال الحركة الجماهيرية فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ .

.. ووافقنا على ضم عبد الحكيم .

وبعدها بأسبوعين أو أكثر قليلا نقل كمال الدين حسين إلى العريش ، واقترح جمال ضم صلاح سالم إلى « لجنة القيادة » ليواصل العمل بين ضباط المدفعية ، ولو أنه كان فى ذلك الحين يعمل بالكلية الحربية .. وقبلنا ضمه .

وفى نفس الوقت طلب حسن إبراهيم ضم عبد اللطيف بغدادى إلى القيادة ، خاصة وأنه أقدم منه ، وله نفوذ سياسى واسع داخل سلاح الطيران ، وهو من أوائل الضباط الذين لعبوا دورا سياسيا ووطنيا فى صفوف الطيران .. ووافقنا أيضا .

وبهذا أصبحت « لجنة القيادة » مكونة من :

جمال عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - حسن إبراهيم - عبد المنعم عبد الرؤوف - صلاح سالم - عبد اللطيف بغدادى - كمال الدين حسين - خالد محيى الدين .

.. لكن العلاقات بدأت تتعثر مع عبد المنعم عبد الرؤوف ، فقد أخذ يلح علينا بضرورة الالتحاق بجماعة الإخوان المسلمين ، وكانت حجته فى ذلك أن حركتنا بحاجة إلى قوة دفع من جماعة سياسية قوية تساندها وتحمى ضباطها فى حالة وقوع أية عمليات قبض أو فصل من الخدمة أو ما إلى ذلك .

ورفضنا طلبه بالإجماع ، فبدأت علاقته بنا فى التعثر ، وانقطع تقريبا عن حضور اجتماعات « لجنة القيادة » ، وساعد على ذلك أنه نقل إلى غزة .

ثم طلب جمال ضم أنور السادات للحركة لما له من خبرة سابقة فى الأنشطة السياسية ربما نحتاج إليها ، وفعلا تم ضمه إلى الحركة وإلى « لجنة القيادة » .

والغريب فى الأمر أن جمال أسر لى بعد فترة وجيزة أنه يشك فى السادات وأنه كسول ، ولا يقدم للحركة شيئا ، فسألته : لماذا ضممته إذن ؟ فأجاب : لأنه مصدر مهم للمعلومات ، فهو على علاقة بيوسف رشاد وبمستر سمسون السكرتير بالسفارة

البريطانية ، وكان سمسون هذا ممثل المخابرات البريطانية فى مصر فى زمن الحرب العالمية الثانية ، وكان أنور يعرفه منذ حادثة القبض عليه هو وحسن عزت عام ١٩٤٢ .. وسألت عبد الناصر : ألا تخشى من السادات ؟

فقال : ربنا يستر ، بس لازم نبقى صاحيين .

ومع اتساع نشاطنا كان من الضرورى أن نعيد تنظيم أنفسنا ، وشكّلنا لجان مناطق .. القاهرة ، رفح ، الاسكندرية ، وكل لجنة تُمثل فيها الأسلحة المختلفة ، وفى نفس الوقت كانت هناك لجنة قيادية فى كل سلاح .

أى كان هناك محوران للقيادة : لجنة للمنطقة ولجنة للسلاح .

وفى هذه الأثناء خلال زيارة لإدارة الجيش قابلت حسين الشافعى وكان يعمل بها ، وكنت قد تعرفت عليه أثناء عملنا مع الإخوان المسلمين ، وفتح حسين معى موضوع منشورات « الضباط الأحرار » ، وأبدى إعجابه الشديد بها وبشجاعة الذين يصدرونها ، ولم أقل له شيئا خاصة أنه كان من الضباط الذين يهتمون كثيرا بالانضباط العسكرى ، وكان هو أعلى رتبة منى (كنت « يوزباشى » بينما كان « بكباشى ») ، وطلبت من جمال أن يفاتحه هو أو ثروت عكاشة ، خاصة وأن ثروت كان صديقا لحسين الشافعى ، وكان جارا له فى السكن .

وقبل حسين الشافعى الانضمام إلينا ، وأبلغه جمال أننى مسئول مجموعة سلاح الفرسان ، ولكننى حرصت طوال علاقتى به على منحه إحساسا بأنه ذو مكانة خاصة .

وهكذا تكونت قيادة سلاح الفرسان من : حسين الشافعى ، ثروت عكاشة ، عثمان فوزى ، وخالد محيى الدين .

ثم اختير حسين الشافعى ليمثل سلاح الفرسان فى لجنة منطقة القاهرة التى كانت تضم جمال عبد الناصر - زكريا محيى الدين (وكان عبد الناصر قد ضمه إلى الحركة قبل حوالى ثلاثة أشهر) - الطحاوى - مجدى حسنين - أمين شاكر - على مطاوع - حسين الشافعى وخالد محيى الدين .

وفى بعض الأحيان كان حسن إبراهيم يحضر اجتماعات هذه اللجنة .

ثم انضم رشاد مهنا إلى لجنة القاهرة بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وكان رشاد قد اتصل

بعبد الناصر الذى أحس أنه يمتلك تطلعات قيادية فلم يخبره بوجود « لجنة القيادة » ، واكتفى بضمه إلى لجنة القاهرة ، ولعل رشاد تصور لفترة أن هذه اللجنة هى قيادة الحركة .

وكان رشاد شخصية ذات احترام واسع في الجيش ، وله علاقات واسعة ، ومن ثم فقد كان هو وعبد الناصر كل منهما يتطلع إلى الآخر فى حذر بالغ ، وكان لرشاد نفوذ فى سلاح المدفعية ، ولهذا كان عبد الناصر حريصا على ضمه إلينا والتعاون معه دون أن يطلعه على مجمل نشاطنا .

□ □ □

نعود الآن إلى الجيش ، الذى كان يغلى بطبيعته مع غليان الشعب ، لنجد أن الملك قد واصل تصرفاته الحمقاء فى إثارة الضباط ضده . فقد عين أحد رجاله فى الجيش - اللواء حسين سرى عامر - مديرا لسلاح الحدود بدلا من اللواء محمد نجيب الذى نُقل إلى المشاة ، وكان نجيب شخصية محترمة ومحبوبة ومثقفة .. فهو حاصل على ليسانس الحقوق وعلى ماجستير ، وخريج كلية أركان حرب .

وكانت ثقافة نجيب وأخلاقه الطيبة وتاريخه المجيد فى حرب فلسطين تجعل منه موضع آمال « الضباط الأحرار » الذين كانوا يتطلعون إلى توثيق علاقتهم بأحد أصحاب الرتب الكبيرة ، فالضباط دوما يهتمون بالرتب العالية ، وكان عبد الحكيم عامر على علاقة بنجيب فزاره هو وعبد الناصر ليجداه فى حالة سخط بسبب نقله المفاجىء إلى المشاة ، وأبلغهما أنه يعتزم الاستقالة من الجيش ، وأقنعاه بأن هذه الاستقالة سوف تبعث السرور فى قلب الملك ، وطلبا منه الاستمرار ، وأن يحاول رد الصفعة إلى الملك بترشيح نفسه لرئاسة نادى الضباط . وهكذا ، وعلى خلاف ما يزعم البعض ، بدأت علاقتنا بنجيب وعرف بوجودنا منذ فترة مبكرة .

والحقيقة أن صاحب فكرة ترشيح نجيب لرئاسة مجلس إدارة نادى الضباط كان رشاد مهنا ، وقد عرضها علينا أثناء اجتماع لجنة القاهرة بمنزل مجدى حسنين ورحبنا بها أشد ترحيب ، وبناء على ذلك توجه عبد الناصر وعامر لمقابلته .

لقد كان الضباط يستعدون لانتخابات مجلس إدارة ناديهم ، وكانت هذه الانتخابات تجرى فى العادة بشكل روتيني ولا تثير اهتماما يذكر ، لكننا رأينا أن نجعل منها أداة لتحريك

أوسع دائرة ممكنة من الضباط ، ولفت أنظارهم إلى وجودنا وتأثيرنا ، وتلقين الضباط درسا فى أهمية الوحدة فيما بينهم وأهمية العمل الجماعى .

وخاض « الضباط الأحرار » معركة انتخابات النادى بقائمة تضم بعض « الضباط الأحرار » وعددا آخر من الضباط العاديين ، وعلى رأسها اللواء محمد نجيب .

.. وفاز نجيب ، وفازت قائمتنا ، ووقف نجيب فى مواجهة الملك كرمز لرفض الجيش للأوضاع السائدة وللفساد الذى يعم البلاد .

وأثناء المعركة الانتخابية أُثيرت مسألة تمثيل سلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى الذى كان بالضرورة يضم ممثلين للأسلحة المختلفة ، لكن سلاح الحدود لم يكن ممثلا فيه لأنه يضم هو أيضا ضباطا من مختلف الأسلحة . وطالب حسين سرى عامر بضرورة تمثيل سلاح الحدود ، ورفضنا ، وعُرض الأمر على الجمعية العمومية ، ولعب « الضباط الأحرار » دورا كبيرا فى إقناع الجمعية العمومية برفض تمثيل سلاح الحدود .

وثار حسين سرى عامر ، فقد شعر بأن « الضباط الأحرار » وراء هزيمته ، وكتب مقالا هاجم فيه « الضباط الأحرار » هجوما بذيئا ومليئا بالشتائم ، وهدد بأنه سيتخلص منهم فى ساعة واحدة ويدخلهم جميعا السجون .

والحقيقة أن « الضباط الأحرار » قد أكدوا وجودهم القيادى فى صفوف الجيش عبر انتخابات نادى الضباط ، وخرجوا من هذه المعركة وهم الأكثر جماهيرية والأكثر احتراما ، والأكثر مهابة فى الجيش .

فجاء مقال حسين سرى عامر بمثابة طعنة تحاول التهوين من شأننا ، الأمر الذى أثار عبد الناصر بصورة كبيرة .

وقرر عبد الناصر أن يرد على حسين سرى عامر بقوة .. ليحفظ « للأحرار » مكانتهم ومهابتهم ، ومن خلف ظهر « لجنة القيادة » اتفق هو وحسن إبراهيم وحسن التهامى وكمال رفعت على اغتيال حسين سرى عامر ، وأطلقوا عليه الرصاص وفشلت المحاولة .

.. وزادت هذه المحاولة من إصرار حسين سرى عامر على تحدى « الضباط الأحرار » ، فضغط على الملك حتى أصدر قرارا بتعيين ممثل لسلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى دون أن يكون له حق التصويت ، وذلك حتى تجتمع الجمعية العمومية غير العادية فى يونيو ١٩٥٢ لمناقشة الأمر من جديد ، وإذ رفض طلبه ، أصدر قرارا بحل مجلس إدارة النادى .

وبدأنا نشعر بمخاطر تحدينا المكشوف للملك ، وعقدت « لجنة القيادة » اجتماعا لوضع خطة لجمع معلومات عن احتمال وقوع حملة اعتقالات للضباط ، وكيفية مواجهة ذلك .. لكن هذا الاجتماع شهد انفجارا لم نكن نتوقعه .

□□□

كان جمال قد بدأ يكرس بالأمر الواقع رئاسته « للضباط الأحرار » ، وعندما قام بمحاولة اغتيال حسين سرى عامر دون التشاور معنا ، ثار صلاح سالم وكذلك بغدادى .

والحقيقة أن صلاح سالم كان غير راض عن الوضع المميز لعبد الناصر فى الحركة ، وكان يتساءل : لماذا جمال وليس غيره ؟ وانتهز فرصة قيام عبد الناصر بمحاولة الاغتيال دون عرض الأمر على « لجنة القيادة » ليفجر الموضوع بصورة عنيفة ، وتفجر الاجتماع فى مواجهة غاضبة كان أطرافها : جمال وصلاح وبغدادى .

وخرج صلاح من الاجتماع ليقابل ثروت عكاشة ليشكو له من أن جمال يفرض رئاسته على « لجنة القيادة » ، وأنه يظن نفسه كل شىء ، ويحاول أن يعطى لنفسه قدرا أكبر منا جميعا ، وأنه لهذا لن يحضر الجلسات ، وثار صلاح واحدة من ثوراته المعروفة وشتم جمال أمام ثروت ، بل وأبلغ ثروت بأسماء « لجنة القيادة » ، وقال إن أكثرهم يتبعون عبد الناصر فيما يقول ، وأبلغه فى نهاية الأمر أنه سيستقيل من اللجنة إذا لم يحصل على وضع مساو لوضع جمال ، بحيث يكون له أن يعرف كل أسماء « « الضباط الأحرار » مثل جمال عبد الناصر .

وحكى لى ثروت كل ما قاله صلاح سالم ، فأخذته إلى جمال وحكينا له ما حدث ، وطلبنا منه إيجاد تسوية مقبولة حفاظا على التنظيم ، واصطحبت جمال معى إلى بيت صلاح سالم ، وكان حظر التجول مفروضا منذ حريق القاهرة ، وكنا نتحرك بالزى الرسمى ليمكننا المرور أثناء حظر التجول .

وحتى الفجر استمرت المناقشات التى انتهت بصلح ظاهرى بين عبد الناصر وصلاح .

□□□

.. لكننا تحدثنا عن كل أسماء القيادة ما عدا شخص واحد .. جمال سالم . والحقيقة أن جمال لم يكن معنا ، بل قفز إلينا - كما قال البعض منا - من النافذة .

ففى أحد الاجتماعات بعد حريق القاهرة .. جاء بغدادى ومعه جمال سالم ، فوجئنا جميعا بذلك ، فلم يحدث هذا من قبل ، وجمال سالم لم تكن له أية علاقة بنا ، وربما فعلها بغدادى فى حالة تحد لعبد الناصر ، أو لتقوية مركزه فى القيادة ، المهم أنه فعلها ووضعنا جميعا أمام الأمر الواقع .

وأمام المفاجأة لم يعترض أحد منا واستمر جمال سالم حاضرا فى الاجتماع ، لكنه حاول الحديث فى اجتماع تال كان منعقدا فى منزل صلاح سالم ، فقاطعه عبد الناصر قائلا إنه ليس عضوا فى اللجنة ، وأن لهذه اللجنة نظاما يجب احترامه .

وتراجع جمال سالم معلنا استعداده للانسحاب .

لكن جمال عبد الناصر كان يسعى لمصالحة صلاح سالم ، وكان يعلم أن إخراج جمال سالم (شقيقه) سوف يعنى القطيعة ، ولهذا قال عبد الناصر بهدوء : لا داعى لخروجك ولتبق معنا ، وأصبح جمال سالم عضوا فى « لجنة القيادة » .

.. وبرغم الصلح بين عبد الناصر وصلاح سالم فإن عبد الناصر كان ساخطا فى أعماقه على صلاح ، والحقيقة أن هذه الواقعة قد كشفت لى بعض خفايا شخصية عبد الناصر ، فقد استطاع منذ الوهلة الأولى السيطرة على نفسه ، وحاول استرضاء صلاح سالم ، لكنه كان فى الحقيقة ، لا يغفر له ما فعل ولا ما قال .

ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الناصر يتحدث عن نفسه كثيرا وعن دوره فى تأسيس الحركة ، ولما كنت فى هذه الفترة أقرب أعضاء « لجنة القيادة » إلى عبد الناصر ، فقد عرض علىّ خطة لحل « لجنة القيادة » للتخلص من العناصر غير المرغوب فيها .

ولما أبديت دهشتى وسألته : كيف ؟ قال : لا ندعوها للاجتماع ، ونبدأ أنا وأنت فى مواصلة اجتماعاتنا بالضباط دون أن نشعر أعضاء « لجنة القيادة » الآخرين بذلك ، وبذلك تُحل اللجنة حلا واقعيا ودون أن يشعر أحد .

وأبديت ترددى إزاء هذه الفكرة لكن عبد الناصر ألح عليها .

غير أننا فوجئنا بعد قليل بعودة بغدادى وجمال سالم من العريش وهما مصممان على

تصفية الجو تصفية نهائية بانتخاب رئيس « للجنة القيادة » وإعداد لائحة داخلية تنظم عمل اللجنة .

.. وعقدت « لجنة القيادة » اجتماعا بمنزل كمال الدين حسين بمنشية البكرى لنجرى انتخابات الرئيس . جميعا منحنا صوتنا لجمال عبد الناصر - إلا .. أنور السادات ، كان غائبا وفوض عبد الحكيم عامر فى الإدلاء بصوته ، وطلب منه التصويت لحسن إبراهيم قائلا : إذا كنا نشكو من سيطرة جمال عبد الناصر فلننتخب شخصا لا يستطيع السيطرة علينا ويمكننا أن نتحكم فيه ، وطلب منه التصويت باسمه لحسن إبراهيم .

والغريب أن حسن إبراهيم نفسه كان قد منح صوته لجمال عبد الناصر .

وبدت الأمور وكأنها تسير سيرا حسنا ، وكأن الخلافات قد صفيت ، لكن الحقيقة أن عبد الناصر ظل غير مرتاح لجمال سالم وصلاح سالم وبغدادى والسادات .

أو هذا على الأقل ما أحسست به من مناقشاتى المنفردة معه .

٩ أكبر من موعد للحركة

* احترقت القاهرة .. فاستعاد الجيش مهابته .
* اتصلنا بالنحاس باشا فتهرب .
* وضعنا خطة للاغتيالات .. وتراجعنا .
* عندما طلب الإنجليز من جماعة الإخوان اغتيال فاروق .
* موعدنا الثانى من أغسطس .

وكما تحدى الملك الجيش بحماقة ، واصل أيضا تحديه للشعب ، وفجأة وفى أتون الصراع الملتهب مع الاستعمار قرر الملك تعيين ثلاثة من الأكثر صلة بالانجليز ، والأكثر رفضا من جانب الشعب فى مناصب رفيعة بالقصر الملكى :

حافظ عفيفى المشتهر بصداقته الوطيدة بالانجليز ، وعدائه للدستور ، والحريات ، عُين رئيسا للديوان . (ولابد لى هنا أن أشير إلى أن عفيفى برغم كل ما فعل لم يقدم للمحاكمة ، وليس يمسسه أحد بسوء بعد الثورة) .

وعبد الفتاح عمرو الذى اشتهر عنه أنه فتى الانجليز المدلل ، والذى ظل لزمن سفيرا لمصر لدى الحكومة البريطانية ، عُين مستشارا سياسيا للشئون الخارجية فى القصر الملكى .

وإلياس أندراوس عُين مستشارا للشئون الاقتصادية .

ومن جديد انفجرت مظاهرات الغضب ضد القصر الملكى ، وبدأت المظاهرات تهتف بسقوط الملك ، لكن حكومة الوفد وقفت عاجزة .

وفى نفس الوقت كان هناك مخطط استعمارى لمحاصرة حكومة الوفد ، ولعبت صحف دار أخبار اليوم الدور الأساسى فى تنفيذه ، فهى تركز على مظاهر الفساد المتفشية فى الحكومة ، وفى نفس الوقت تتهم الحكومة بالضعف والعجز إزاء الانجليز ، بل وتتهمها باعتقال الفدائيين وعرقلة نشاطهم .

وكان الانجليز يواصلون عملياتهم ضد المواطنين وضد البوليس المصرى بهدف إذلال حكومة الوفد وإظهار ضعفها وعجزها .. فمثلا عملية كفر أحمد عبده لم يكن لها أى مبرر من الناحية العسكرية لكن الانجليز فعلوها لضرب معنويات الناس وإضعاف ثقتهم فى حكومة الوفد .

.. وتوالت الأحداث ، ووقع الصدام غير المتكافىء بين الجيش الانجليزى وبعض قوات البوليس المصرى التى صمدت فى بسالة منقطعة النظير ، وقدمت شهداء كثيرين ألهبوا المشاعر المصرية التى كانت ملتهبة أصلا .

ووقعت أحداث حريق القاهرة المأساوية ، واشتعلت الحرائق فى كل مكان ، بينما الملك وكبار المسئولين مشغولون بالاحتفال بميلاد ولى العهد فى قصر عابدين .

وألحت حكومة الوفد على إنزال الجيش إلى الشوارع لإنقاذ القاهرة من الدمار ، وأصدر حيدر باشا أمرا بإعلان حالة الطوارىء فى قوات المنطقة المركزية ، وفعلا استعدت قوات الجيش للتحرك لكن حيدر ماطل فى إنزالها إلى الشوارع مستهدفا تحقيق أكبر إيذاء ممكن لحكومة الوفد .

وفقط فى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر صدرت الأوامر لقوات الجيش بالتحرك ، وأعلنت حكومة الوفد الأحكام العرفية ليطاح بها فى ذات الليلة ، وليأتى على ماهر لتحقيق هدف وحيد وهو إلقاء دش بارد على المشاعر الجماهيرية الملتهبة ، وليطفىء نيران الكفاح المسلح فى منطقة القناة .

والحقيقة أن حكومة الوفد قد أخطأت خطأ فادحا إذ ترددت إزاء الانجليز ، فلو أنها أعلنت مثلا قطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا لكان ذلك ردا كافيا ومرضيا للجماهير الشعبية ، لكن الوفد ظل يحاول المناورة بين الانجليز والقصر والشعب فى آن واحد .. فخسر الجميع معاً وفى آن واحد .

ونزل الجيش إلى الشارع .. ولعلها كانت الغلطة الأكبر التى وقع فيها الملك ، فالجيش استعاد ثقته بنفسه ، وبدلا من المهانة التى كان يتعرض لها لأنه لا يفعل شيئا ضد قوات الاحتلال ، بينما الشباب والطلاب ورجال البوليس يواجهونها ببسالة منقطعة النظير ، بدلا من هذه المهانة بدأ الجيش يتقدم كحام للوطن ، وبصفته القوة الوحيدة القادرة على فرض النظام وحماية الممتلكات .

وقد أثار نزول الجيش إلى الشارع عديدا من التساؤلات وسط « الضباط الأحرار » ، فما هو دورنا تحديدا ؟ هل نحن نحمى النظام الملكى أم نحمى مصر ؟ وإذا كان الجيش فى الشارع فهل نستطيع تحريكه فى الاتجاه الصحيح ؟

وحددت « لجنة القيادة » أهدافنا فى ضرورة فعل شىء لحماية الدستور والديمقراطية ، ولضمان استمرار البرلمان (الوفدى) فى أداء مهامه التشريعية .

فى هذه الأثناء كنت أعمل فى إدارة التدريب الجامعى بقشلاق قصر النيل ، وكان معى ضابط اسمه محمد النحاس وهو ابن أخ مصطفى النحاس ، وكان ضابطا محترما وعلى خلق ، ورتبنا الأمر بحيث يفاتحه جمال منصور (وكان معنا فى التدريب الجامعى) ويحّمله

رسالة إلى عمه مضمونها : « **إن ضباط الجيش مستعدين للوقوف معك إذا وعدت فى حال عودتك للحكم باستمرار المعركة ضد الانجليز ، وإن الضباط يتمسكون بالدستور والبرلمان .. »** .

وحمل محمد النحاس الرسالة وأبلغ الرد إلى جمال منصور ، وكان الرد وفق ما رواه جمال منصور وقتها : **إن الباشا قال إنه لا يستطيع أن يدخل لعبة الضباط ولا يريد ذلك ، كما أنه لا يريد أن يخسر أوراقه مع الأمريكان .**

وبدأنا نتابع الأحداث بقلق وتوتر ، ولم تكن مصادفة أن نشطت عملية إصدار المنشورات فى هذه الأيام ، فأصدرنا منشورا ندين فيه سياسة على ماهر الرامية لتصفية الكفاح المسلح ، وطالبنا بإلغاء الأحكام العرفية .

واستقال على ماهر بعد شهر ، وكُلف نجيب الهلالى بتشكيل الوزارة ، ونزل الخبر علينا كالصاعقة ، فنجيب الهلالى سيشن حملة على الوفد ، ومن ثم على البرلمان الوفدى ، ويعنى هذا استبعاد إمكانية عودة الكفاح المسلح فى منطقة القناة .

وقبل صدور خطاب تشكيل وزارة الهلالى ، زارنى فى بيتى جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين دون موعد سابق ، وجلس عبد الناصر متوترا ، وقبل أن يلتقط أنفاسه قال لى : الهلالى سيشكل الوزارة ، قلت : أعرف ، فقال : لابد من التحرك فورا .

وكانت توقعات عبد الناصر أن الهلالى سوف يعطل الدستور ويحل البرلمان ، وأنه سيحرف المعركة الوطنية إلى معركة ضد فساد الحكم ، وسوف يؤجل المواجهة مع الانجليز ، ومن ثم فلابد أن نتحرك فورا بعمل انقلاب ـ وكنا فى شهر فبراير ١٩٥٢ ـ أى فور استقالة وزارة على ماهر .

فقلت لجمال : قبل أن نقرر أى شيء لابد من استطلاع رأى الضباط ، وذهب جمال إلى ضباط مجموعة المدفعية مؤكدا أن قيامنا بعمل انقلاب الآن بهدف حماية الدستور وعودة البرلمان هو أكبر خدمة نقدمها للوطن ، ولكن ضباط المدفعية أكدوا أن عددهم غير كاف للتحرك .

أما أنا فقد جمعت قيادة مجموعة الفرسان وعرضت الأمر عليهم ، ووجدت أنهم غير متحمسين لعمل انقلاب يؤدى إلى عودة الوفد للحكم ، فقد كانت الأقاويل تتردد عن أن الوفد هو الذى أحرق البلد بسياسته الضعيفة ، بينما كان الضباط قد استعادوا ثقتهم فى أنفسهم فهم الذين أنقذوا البلد ، وإذا كان الجيش قد تحرك ليلة حريق القاهرة فى ٢٦ يناير لصالح الملك فلماذا لا يتحرك لصالح نفسه ؟

.. وهكذا نامت محاولة انقلاب « فبراير » إلى حين .

□ □ □

قلت إن هذه الأشهر كانت حافلة بالمنشورات ، وقد لاحقنا الأحداث واحدا إثر الآخر بمنشورات حماسية ..

وعندما ألف الهلالى وزارته أصدرنا منشورا قلنا فيه :

« توالت مؤامرات الاستعمار الأنجلو - أمريكى فى الفترة الأخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ، وصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال ، إلى المشاكل الداخلية فى القاهرة ، فبعد أن أعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات وإلغاء المعاهدة ، ورفض حلف الشرق الأوسط الرباعى الاستعمارى ، وتكوين الكتائب الوطنية ، وبعد أن اشتدت جذوة الوطنية فى البلاد حتى كادت مصر أن تصل إلى حقوقها كاملة ، دبر الاستعمار وأذنابه انقلاب ٢٦ يناير الماضى (حريق القاهرة) ، وجاءت حكومة على ماهر ، وبدأت المفاوضات من جديد ، وكان الاستعمار والخونة المصريون يؤملون كثيرا فى على ماهر ، وفى تسليمه تسليما كاملا بمطالبهم بقبول الحلف الرباعى ، وحل البرلمان واعتقال آلاف الوطنيين واستعمال الأحكام العرفية للتنكيل تنكيلا واسعا بالشعب ، ولكن خاب رجاؤهم ولم يجبهم على ماهر إلى كل مطالبهم فكان لابد من انقلاب جديد لتحقيق الأهداف الاستعمارية ، لابد من انقلاب جديد وتحويل الحركة إلى الداخل ، والقيام بحركة تطهير واسعة بحجة تقوية الصفوف قبل مجابهة الاستعمار . وهكذا وصل الهلالى إلى الحكم وأعلن بصراحة أن مهمة وزارته الرئيسية هى التطهير والقضاء على الفساد ، وقد تناسى أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار ، وأنه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى إلا إذا قُضى على أسبابه ومصدره .

إن من أهداف الضباط الأحرار الكفاح ضد الفساد بكل مظاهره ، وضد الرشوة وضد المحسوبية ، وضد استغلال النفوذ ، لكننا لا يجب أن نتجه إلى ذلك إلا بعد القضاء على الاستعمار . وإن أى اتجاه غير ذلك هو خيانة وطنية » .

والحقيقة أن الاستعمار كان يؤمل فى أن يتمكن الهلالى من القيام ببعض الاصلاحات الداخلية فى مواجهة الفساد ، وتحسين الأوضاع بهدف إعطاء دفعة للنظام ككل وتمكينه من مواصلة الحياة ، لكن الهلالى فشل فشلا ذريعا .

وفى هذه الأثناء كانت منشوراتنا تتوالى بصورة لافتة للنظر ، وكان الجميع يعلمون بوجود « الضباط الأحرار » ، وإزاء فشل الحكم فى إصلاح نفسه من داخله تطلع الانجليز والأمريكيون – فى اعتقادى – إلى محاولة الاتصال « بالضباط الأحرار » وإقامة علاقة ما معهم ، فهم إزاء حكم يتداعى ، ومن الناحية الأخرى هناك تنظيم قائم ونشيط فى القوات

المسلحة ويمكنه أن يصل إلى السلطة ، فلم لا يتصلون به ليضمنوا حماية مصالحهم ، أو حتى قدرا منها ؟

والحقيقة أن أحداث ما بعد حريق القاهرة ، وهذه الأشهر القليلة الفاصلة بين نهاية يناير وأوائل يوليو ١٩٥٢ ، قد شهدت نشاطا مكثفا « للضباط الأحرار » ، وانضم إلينا عدد كبير من الضباط فى هذه الفترة بحيث أصبحنا تنظيما قويا فعلا ، يمكنه أن يثير اهتمام القوى الخارجية المهتمة باستمرار نفوذها فى مصر وحماية مصالحها فيها .

□ □ □

ولابد لى من الوقوف ولو قليلا عند تطور توجهاتنا السياسية ، ولابد لى من الإشارة إلى أن وجود جمال سالم معنا فى « لجنة القيادة » قد أضاف عنصرا جديدا ، فجمال سالم بطبيعته كان معجبا بأمريكا ، وقد قضى فى أمريكا فترة للعلاج على نفقة الدولة بعد إصابته فى حادث سقوط طائرة ، وعاد من أمريكا معجبا ومبشرا بنظام الحياة فيها ، وبدأ جمال سالم ينتقد الإشارة فى منشوراتنا إلى الاستعمار الأنجلو - أمريكى ، وطالب باستبعاد « الأمريكى » والاكتفاء بمهاجمة الانجليز ، فلا فائدة لنا فى مناصبة الأمريكان العداء ، وسانده عبد الناصر فى ذلك ، ثم طالب بأن نرفض فى منشوراتنا « الشيوعية » باعتبارها خطرا يهدد مصر أيضا ، ورفضت ذلك بشدة ، وبصعوبة أقنعتهم بأن نستمر كما نحن ، **لكننى بدأت ألاحظ متغيرات هامة فى فكر عبد الناصر ، فقد بدأ فى أحاديثه معنا ينتقد الشيوعية ، ويقول إن نظريتها القائلة بأن العوامل الاقتصادية هى المحرك الأساسى للأحداث السياسية هى نظرية خاطئة ، وأن الصراع السياسى فى جوهره هو صراع على السلطة .**

.. ولتأذن لى عزيزى القارىء بأن أخطو بك عدة خطوات عبر الأحداث التاريخية لأكمل لك صورة العلاقة مع الأمريكان ..

فعندما تحركنا تحركا فعليا من أجل الإعداد للانقلاب كانت تساورنى أنا وعديد من ضباط الفرسان مخاوف حقيقية من إمكانية تدخل القوات الانجليزية ضدنا ، وكنا نناقش هذا الأمر بجدية ، وكان ثروت عكاشة هو أكثر من توقف عند هذا الموضوع طالبا التأنى فى فعل أى شىء خوفا من أن نتحرك فتؤدى حركتنا إلى عودة الانجليز لاحتلال كامل البلاد من جديد ، **لكن عبد الناصر كان يتلقى هذه المخاوف بهدوء غريب .**

وعندما اجتمعنا لإنجاز خطط التحرك الفعلى كنا فى منزل حسن إبراهيم ، وتحدثت طويلا عن مخاوف ثروت عكاشة من تدخل الانجليز ، وكان عبد الناصر هادئا

وعلق على كلامى بكلمة واحدة هى : طيب . ثم قال : إذا كان ثروت قلقان بلاش يشتغل ، ثم التفت إلى بغدادى وسأله : إيه أخبار على صبرى ؟ .. كانت المرة الأولى التى أسمع فيها هذا الاسم ، وسألت : من هو على صبرى ؟ وأجاب بغدادى : إنه مدير مخابرات الطيران وهو معنا وقد أخذ بعثة فى أمريكا وهو على علاقة حسنة بالأمريكان ، وأنه من خلال علاقته بالملحق الجوى فى السفارة الأمريكية سمع منه تلميحات بأنه فى حالة تحرك الجيش فإنهم سيطلبون من الانجليز عدم التدخل إذا كانت الحركة غير شيوعية ولا تهدد مصالحهم .

وانتهز بغدادى الفرصة ليعود إلى المطالبة بعدم مهاجمة الأمريكان ، ذلك أنه لا داعى لإثارة عداء الأمريكان ، وعندما حاولت الرد عليه ، قال عبد الناصر : معلهش ، بلاش حكاية الأمريكان دى حتى تنجح حركتنا وبعدها نقول ما نريد ونفعل ما نريد .

ثم ألقى عبد الناصر فى الاجتماع بقنبلة جديدة ..

فقال إن حسن عشماوى من قادة الإخوان عاود الاتصال به ، وأبلغه أن الانجليز يريدون التخلص من الملك فقد أصبح مكشوفا ومكروها من الشعب ، ولم يعد قادرا على ضمان مصالحهم ، وأنهم يرون أن الشعب لن يقبل باستمرار هذا الملك المنحل والضعيف ، ثم قال إن عشماوى أكد له أن الانجليز طلبوا من الإخوان اغتيال الملك ، لكن الإخوان رفضوا خوفا من عواقب ذلك ضدهم .

.. لقد كان حقا يوم المفاجآت بالنسبة لى .

□ □ □

لكن مسيرتنا تواصلت ، وفى كل يوم كنا نقترب من نقطة التصادم . ففى أوائل أبريل ١٩٥٢ وزع مصطفى كمال صدقى وعبد القادر طه منشورا هاجما فيه الملك فاروق وشبهاه بأنه مثل الخديوى توفيق الخائن ، وشبها حريق القاهرة بمذبحة الاسكندرية أيام الثورة العرابية ، وكان مصطفى كمال صدقى معروفا لدى الملك ، فقد كان لفترة من الوقت محسوبا من رجاله ، وقرر الملك قتل عبد القادر طه ، واغتاله شخص يدعى على حسنين .

وأصدرنا فى ١٨ أبريل منشورا نتهم فيه حسين سرى عامر صراحة بأنه مسئول عن اغتيال عبد القادر طه ، واتهمنا مرتضى المراغى وزير الداخلية بالتستر على الجريمة .



□ عبد القادر طه .

.. وفى هذه الأثناء حاول الوفد أن يمد يده داخل الجيش ، فقد قُبض على ضابط وفدى هو حسن علام وهو يطبع منشورات لحساب الوفد فى مدرسة المعادى للأسلحة والمهمات ، وكان رد الحكم صاعقا فقد حُددت إقامة كل من فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن .

أما نحن فقد بدأت علينا ضغوط عديدة كى نفعل شيئا ، والحقيقة أن خيطا ما بدأ يتسلل إلى نفوسنا جميعا ليقنعنا بضرورة أن نفعل شيئا مباشرا وحاسما ، وإلا فإن الملك سوف يوجه لنا ضربة قاصمة .

وفى مايو عقدنا اجتماعا فى بيت عبد الحكيم عامر بالعباسية ، وكان بغدادى متغيبا عن الاجتماعات منذ مدة احتجاجا على أننا لا نفعل شيئا ، لكنه حضر هذا الاجتماع قائلا : لقد أتيت لأنكم قررتم عمل شىء .

وفى هذا الاجتماع وضعنا خطا فاصلا فى العلاقة مع عبد المنعم عبد الرؤوف ، فقد عاود الإلحاح على ضرورة الارتباط بالإخوان ، ولما رفضنا قال : بالعربى أنا مرتبط بالإخوان ولن أتركهم ، وقررنا إبعاده .

وفى هذا اليوم سرى بيننا تصميم على تحديد موعد نهائى لتحركنا ، واتفقنا على نوفمبر ١٩٥٢ .

.. إنه الموعد الأول .

وكان السر فى اختيار نوفمبر هو شائعات تواترت إلينا مفادها أن النواب الوفديين ينوون اقتحام البرلمان وعقد جلساتهم عنوة إعمالا لأحكام الدستور ، معيدين بذلك تجربة سابقة فى العشرينات .

وتبدى الأمر بشكل مبهر أمام عينى ، فها نحن نستعد للتحرك ليس وحدنا كضباط جيش ، وإنما فى إطار حركة جماهيرية معادية للملك ومدافعة عن الدستور ، واستقر فى وجدانى أن هذا هو أفضل الحلول .

وللحقيقة كان عبد الناصر وعامر هما صاحبا هذا الاقتراح .

□ □ □

لكن الملك كان يدفع الأمور للتصادم بصورة خالية من أى ذكاء ، فعندما عقدت الجمعية العمومية الطارئة لنادى الضباط ، كان الضباط مشحونين تماما ضد الملك ، وبناء على اقتراح الضابط جمال علام (عضو حدتو ، وعضو الضباط الأحرار) وقف المجتمعون خمس دقائق حدادا على الشهيد عبد القادر طه ، وكان ذلك تحديا صارخا للملك ، ثم واصل الضباط التحدى فصدر قرار بالإجماع برفض تمثيل سلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى .

وهكذا وجه الضباط صفعتين للملك فى وقت واحد .

واستقال الهلالى وجاءت حكومة حسين سرى وتوقع الناس تكرار ما حدث فى ١٩٤٩ حيث أجرى « سرى » انتخابات انتهت بمجىء حكومة للوفد .

.. ولكن وفى مساء ١٧ يوليو اتصل بى حسن إبراهيم تليفونيا قائلا : تعالى فورا ، وفهمت إن هناك اجتماعا طارئا « للجنة القيادة » ، وبالفعل كانت اللجنة مجتمعة فيما عدا السادات وصلاح سالم ، وفوجئت بخبر حل مجلس إدارة نادى الضباط ، وأن محمد نجيب

معرض للاعتقال والطرد من الخدمة ، وساد صمت مرير وحزين قطعه صوت عبد الحكيم عامر قائلا : **لقد وجه لنا الملك صفعة شديدة ، وما لم نرد عليه بصفعة مماثلة فإن تنظيمنا سيفقد ثقة الضباط ولن يقبل أحد الانضمام إلينا ، خاصة وأن أخبارا تسربت إلينا بأن هناك قرارا باعتقال أى ضابط يعارض قرار حل النادى .**

خيل إلينا أن الخيارات أمامنا محدودة : فإما أن نفعل شيئا وفورا ، يكون ردا كافيا على صفعة الملك لنا ، وإما أن نتقهقر بما يعنى من احتمال ذبول حركتنا ، واحتمال اعتقالنا .

وتقدم عبد الناصر باقتراح مؤداه أن نقوم بسلسلة اغتيالات تستهدف هز أركان النظام ، واقترح أن نغتال حسين سرى عامر وحسين فريد وحيدر باشا وحسن حشمت (قائد القوة المدرعة الذى كان رأس الرمح فى الهجوم علينا فى مجلس إدارة النادى ، وأحد قادة الجيش المشهورين بولائهم للسراى) .

واتفقنا أن يجهز كل منا مجموعته للبدء فى التنفيذ ، واتفقنا على أن نجتمع فى الغد بمنزلى ٢١ شارع فوزى المطيعى بمصر الجديدة .

طوال الليل لم أنم .. الشكوك والقلق يحيطان بى من كل جانب ، فماذا نفعل إزاء المخاطر المحدقة ؟ وهل الاغتيالات وسفك الدماء هى الرد الوحيد ؟ أم أنها ستكون بداية لدورة العنف المتبادل الذى قد يؤدى إلى اعتقالات وإرهاب تزيد من ضعفنا ؟

.. وفى اليوم التالى اجتمعنا فى بيتى .. وجاء جمال سالم باقتراح أن نغتال الملك ، ورفضنا جميعا لصعوبة التنفيذ ، فحتى لو نجحنا فإن الأمير محمد على سيتولى الحكم بصفته وصيا على الملك الطفل ، وسوف يبدأ فى شهر حملة إرهاب ضدنا .

وتحدثت أنا وقلت إننى فكرت طوال الليل فى موضوع الاغتيالات ووجدت فيها عيوبا كثيرة ، منها أننا نفتح باب العنف المتبادل ، ومنها احتمال اعتقال عدد كبير منا سواء أثناء التنفيذ أو بعده ، ومع الإرهاب سوف تضعف حركتنا وتعجز عن تحقيق مهامها الأساسية .

ويبدو أننى لم أكن وحدى الذى قضيت الليل مسهدا ، فالجميع كانوا قد فكروا فى ذات الشىء . **وتحدث جمال عبد الناصر قائلا : الآن أنا اقتنعت بعدم جدوى الاغتيالات ، وأنا لدىّ مشروع آخر هو أن نسيطر على القوات المسلحة ، ومن خلال السيطرة على القوات المسلحة نملى شروطنا .**

وأحب هنا أن أحدد أن الفكرة كانت السيطرة على القوات المسلحة وليس السيطرة على السلطة ، ففكرة استيلائنا على السلطة لم تكن واردة بعد .

وحدد عبد الناصر الهدف بالسيطرة على المنطقة العسكرية وبعدها نقدم طلباتنا ، ووافقنا على الخطة ، وتقرر أن يقوم كل منا بدراسة الوضع فى سلاحه ، والوحدات التى يمكن تحريكها إلى خارج القشلاقات ، والوحدات التى لا يمكن السيطرة عليها ، على أن نجتمع بعد يومين بمنزل حسن إبراهيم .

واتفقت مع جمال على أن نلتقى فى الغد مع حسين الشافعى وثروت عكاشة فى منزلى ، وكان الغد يوم جمعة ، وحضر جمال وشرح لنا فكرة السيطرة على القوات المسلحة ، وأفهمنا أنه بالنسبة للمشاة فإنه يضمن فقط إمكانية تحرك الكتيبة ١٣ بواسطة أحمد شوقى وصلاح نصر ، وقال إن الوضع فى المدفعية لا بأس به ، وقال إنه يطلب من سلاح الفرسان توفير بعض الوحدات المتحركة لاحتلال بعض النقط .

وتركنا عبد الناصر لنبدأ فى دراسة خريطة الفرسان ..

واكتشفنا أن لدينا وحدات كافية يمكن تحريكها تحت سيطرتنا .. فهناك الآلاى الأول سيارات مدرعة (حسين الشافعى) ، والآلاى الأول مدرع (توفيق عبده إسماعيل) ، والكتيبة الميكانيكية (خالد محيى الدين) ، وكنت قد طلبت نقلى من إدارة التدريب الجامعى فى فبراير بعد أن حصلت على بكالوريوس التجارة ، وبعد أن أصبح من الضرورى وجودى فى صفوف الفرسان ، ونُقلت فعلا لأتولى قائد ثانى الكتيبة الميكانيكية ، وهى كتيبة من عربات نصف مجنزرة محملة بالمشاة ، وكان هناك أيضا آلاى الخيالة (عثمان فوزى) ، وفى الاحتياطى المباشر الآلاى الثانى سيارات مدرعة وكان كفافى يعمل به ، لكننا لم نتمكن من العثور عليه لأنه كان فى أجازة ، وكان معه أيضا أمال المرصفى وهو ضابط يسارى شجاع لم نستطع أيضا الاتصال به ، وإن كان من حسن الحظ أنه كان نوبتجيا ليلة الحركة فأخرجه ثروت عكاشة .

وكان بإمكاننا أيضا السيطرة على مركز تدريب الفرسان ، فقد كان لنا به ضباط عديدون مثل بهاء الحينى وإبراهيم عطية ومحمود التهامى ، وكذلك كان يمكن السيطرة على أساس الفرسان حيث كان لنا ضباط منهم حسن إبراهيم حسانين ومصطفى حمزة ، وكذلك مدرسة الفرسان فقد كان لنا بها حلمى إبراهيم ، لكن قوات مدرسة الفرسان كانت محدودة وليس بها سوى عدة دبابات سينتورين وكان يمكن منعها من الخروج .

ولم يتبق سوى الآلاى الثانى المدرع وكان لنا به رؤوف أسعد ، واتفقنا معه على أن يمنع خروج قوات هذا الآلاى بأى وسيلة .

والحقيقة أن هذا البحث الدقيق قد كشف لنا أننا نمتلك قوة حقيقية فى سلاح الفرسان ، وأننا قادرون على السيطرة على السلاح بشكل شبه كامل ، وبدأنا فى إعداد كشف بالضباط الذين يتعين اعتقالهم ومنعهم دخول القشلاقات ، وبهذا أعددنا كل شىء .

وعقدنا اجتماع « لجنة القيادة » بعد يومين وقدم كل منا تقريره ، وبعد مناقشات مطولة حددنا موعدا مبدئيا للحركة يوم ٢ أو ٣ أغسطس .

.. وكان هذا هو الموعد الثانى .

أما لماذا احترنا هذا الموعد ، فلأننا كنا نخشى من أية تداعيات أو فشل ، وبالتالى يكون الضباط والجنود قد قبضوا مرتباتهم وتركوها لأسرهم ، كذلك اخترنا هذا الموعد لتكون بقية الكتيبة الأولى مدافع ماكينة قد وصلت من العريش ، وكانت طلائع هذه الكتيبة قد وصلت بالفعل إلى الهايكستب تحت قيادة القائمقام يوسف صديق (البكباشى فى ذلك الوقت) وهذه الكتيبة تتميز بأنها تمتلك قوة نيران كبيرة ، فقد كان لديها ٤٨ مدفعا رشاشا فى كفاءة عالية يطلق حوالى ١٠٠٠ طلقة فى الدقيقة .

وفى الاجتماع أحضر جمال عبد الناصر يوسف صديق معه ، كان يوسف يريد أن يطمئن على وجود قوات كافية ، وكان لدى ضباط المشاة شكوك فى أن ضباط الفرسان المهتمين بمظهرهم يمكن أن يتحركوا فى عمل ثورى كهذا .

وكان يوسف صديق شخصا محترما ، وقد عمل مدرسا فى الكلية الحربية لمدة طويلة ، وتتلمذ على يديه العديد من الضباط ، ولم أكن أعرف حتى ذلك الحين أنه شيوعى وأنه عضو فى « حدتو » ، وأعتقد أن عبد الناصر لم يكن يعرف ذلك ، فبعد الثورة دهش عبد الناصر عندما عرف أن يوسف صديق شيوعى ، وانتابته حالة شك عميق فى أن « حدتو » تحتفظ سرا بتنظيم لها فى الجيش .

.. وعلى موعد الثانى أو الثالث من أغسطس انتهى اجتماعنا ، وبدأنا جميعا فى تحرك واسع بين الضباط استعدادا للعمل الذى عشنا من أجله طويلا ، وعملنا من أجله كثيرا .. ولم نبلغ الضباط بالموعد ، ولكن طلبنا منهم تحسين علاقاتهم بالجنود وبزملائهم الضباط ، وتحديد إمكانيات وسبل السيطرة على الوحدات ، وطلبنا من كل منهم أن يترك أرقام تليفوناته وأماكن وجوده حتى يمكن الاتصال به فى أية لحظة .

.. إنها اللمسات الأخيرة للاستعداد للعمل الحاسم .

١٠ اللمسات الأخيرة

* خبران .. عجّلا بتحركنا .
* الموعد ليلة ٢٢ يوليو .
* ثم تأجل الموعد .
* عبد الناصر أبلغ الإخوان والشيوعيين .

وهكذا توالت الأحداث سريعا دون أن تعطينا أية فرصة لالتقاط الأنفاس . ولنحاول معا أن نتابع التواريخ وأن ندققها ، ذلك أن البعض من الزملاء الذين كتبوا مذكراتهم قد أوردوا بعض التواريخ بشكل غير دقيق ..

لندقق معا :

- □ ١٦ **يوليو** : قرار حل نادى الضباط وما تبعه من تهديد باعتقال الضباط المخالفين .
- □ ١٧ **يوليو** : اجتماع « لجنة القيادة » واتخاذ قرار بشن حملة اغتيالات واسعة .
- □ ١٨ **يوليو** : اجتماع « لجنة القيادة » ، وإلغاء فكرة الاغتيالات ، واتخاذ قرار بالسيطرة على القوات المسلحة يوم ٢ أو ٣ أغسطس لإملاء شروطنا .
- □ ١٩ **يوليو** : اجتماع قيادات المجموعة للإعداد للتحرك وحصر القوات وتحديد الإمكانات .

ويمضى يوم ١٩ يوليو ونحن نحسب كل حساباتنا على أوائل شهر أغسطس ، ولكن حدثت واقعتان غيرتا من مجريات الأمور ، وقررنا البدء فورا فى التنفيذ .

كان محمد نجيب قد استُدعى لمقابلة الوزير محمد هاشم (وهو صهر حسين سرى رئيس الوزراء) وفى هذه المقابلة سأل هاشم عن أسباب تذمر الضباط وموقفهم العدائى من النظام ، وتحدث نجيب عن الحكم غير الديمقراطى وغير المعبر عن إرادة الشعب ، وعن الخضوع لإرادة الاحتلال . وخلال الحديث فاجأه هاشم بسؤال لم يكن يتوقعه .. **هل يكون تعيينك وزيرا للحربية كافيا لإزالة أسباب التذمر وخلق حالة من الرضاء لدى الضباط ؟** فوجىء نجيب بالسؤال لكنه وبلا تردد رفض المنصب ، وقال إنه يفضل أن يبقى فى موقعه بالجيش ، وأنه سبق أن عُرض عليه منصب وكيل وزارة الحربية ورفضه ، والحقيقة أن نجيب قد أدرك بوعى أن الهدف هو استقطابه بعيدا عن حركة الضباط الشبان ، بهدف إجهاض هذه الحركة .

وبينما استمر النقاش بين الوزير محمد هاشم واللواء محمد نجيب ، أفلت هاشم عبارة بحيث تبدو وكأنها زلة لسان أو آتية عن غير قصد ، **فقال : إن السراى لديها قائمة بأسماء ١٢ ضابطا هم المسئولون عن تحريك وقيادة « الضباط الأحرار » .**

لم يبد نجيب اهتماما بالأمر ، وقال إن موجة التذمر عامة ، وأن الكثيرين متذمرون بحيث لا يمكن حصرهم ، لكن نجيب لم ينم طوال الليل ، وكان يتعجل عودة النهار ليبلغنا بهذا الخبر .

وفى الصباح كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يطرقان باب بيت نجيب ، ولكن ليجدا هناك اثنين من الصحفيين من أخبار اليوم .. هما محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة ، وجلال ندا . أما كيف أمسكت أخبار اليوم بخيط محمد نجيب ، فقد عرفنا فيما بعد أن مصطفى أمين كان جالسا مع محمد هاشم أثناء مكالمته التليفونية مع نجيب ليدعوه إلى مقابلته ، فتوقع بحسه الصحفى أن يكون نجيب مفتاحا لبعض الأخبار ، فأرسل له هيكل الذى اصطحب معه جلال ندا ، وكان ضابطا بالجيش وأصيب وخرج من الخدمة وعمل كصحفى فى أخبار اليوم .

فوجىء هيكل بوافدين جديدين ، وتحركت شهيته الصحفية ليطلب إلى نجيب أن يقدم إليه زائريه ، لكن نجيب كان منشغلا بشىء واحد .. أن يبلغ جمال قصة قائمة الضباط الاثنى عشر ، وانفرد نجيب بجمال ليهمس فى أذنه بالخبر الصاعق .

وقبل أن أستطرد أود أن أسجل أننا بعد الثورة حاولنا كثيرا البحث عن قائمة الاثنى عشر ضابطا فلم نجدها ، وقيل إنها كانت مسجلة فى مفكرة صغيرة لدى حسين فريد ، وقيلت أشياء أخرى ، لكننا وعلى أية حال لم نعثر على القائمة ، ولم نعرف على وجه اليقين إن كانت هذه القصة حقيقية أم كانت غير صحيحة ، وأن هاشم قد أوردها لتخويف نجيب والضباط ، لكن الشىء المؤكد أن هذه الرواية قد حفزتنا إلى شيئين غيرا مسار الحركة ومسار مصر كلها .

ففور سماع هذا الخبر دُعيت « لجنة القيادة » إلى اجتماع لتقرير التحرك الفورى ، كما تقرر أن العملية التى سنقوم بها هى عملية « **انقلاب** » ، أى استيلاء على السلطة ، وليس مجرد سيطرة على المنطقة العسكرية لإملاء مطالبنا .

وعقد الاجتماع يوم ٢٠ يوليو .

وحكى جمال ما قاله له نجيب عن قصة قائمة الاثنى عشر ضابطا ، ثم حكى حكاية

أخرى ، وهى أن ثروت عكاشة أبلغه أن أحمد أبو الفتح اتصل به من الاسكندرية ليبلغه تليفونيا أن حكومة حسين سرى ستُقصى عن الحكم ، وأن الهلالى سوف يشكل وزارة جديدة وسيكون وزير الحربية فيها حسين سرى عامر العدو اللدود لحركتنا ، وأفهمه بصورة ملتوية بضرورة عمل شيء قبل أن يقبضوا علينا .

تطابقت الروايتان وعززت كل منهما الأخرى ، فتولى حسين سرى عامر وزارة الحربية يعنى الهجوم المباشر علينا وفورا ..

وقررنا أن نتحرك فورا خلال ٤٨ ساعة .. وتحددت ليلة ٢٢ يوليو موعدا للعملية .

وأسرعنا إلى ضباطنا لنبلغهم بالاستعداد للتحرك ليلة ٢٢ يوليو ، وكم دهشت إذ تفجرت مشاعرهم بحماس دافق ، وروح لا تهاب المخاطر .

ولكن يأتى يوم ٢١ يوليو ليبلغنا عبد الناصر أنه يرى التأجيل ليلة أخرى انتظارا لحشد قوات أكبر .

أحسست بما انتاب الضباط من فتور عندما أبلغتهم بالتأجيل ، وقررت فى دخيلة نفسى أن يكون هذا هو آخر تأجيل .

وتحددت ليلة ٢٣ يوليو كموعد نهائى .

□ □ □

وفى الساعة الثانية بعد ظهر ٢٢ يوليو عقدت « لجنة القيادة » اجتماعها الأخير ، فى بيتى التقينا : جمال عبد الناصر ، حسن إبراهيم ، عبد الحكيم عامر ، كمال الدين حسين ، عبد اللطيف بغدادى وخالد محيى الدين .

وتغيب جمال سالم ، صلاح سالم ، وأنور السادات ، وحضر معنا زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين وإبراهيم الطحاوى .. وكان حضورهم مبررا ومنطقيا ، وإن كان جمال قد دعاهم للحضور بمبادرة منه ، فزكريا شارك فى إعداد خطة التحرك ، ومن الطبيعى أن يحضر ليشرحها لنا ، والطحاوى كان سيقود تحرك سلاح خدمة الجيش ، والشافعى سيقود تحرك الفرسان - صحيح أننى كنت مسئول مجموعة الفرسان لكن الشافعى كانت رتبته أعلى ، فقد كان « بكباشى » - وعبد المنعم سيقود تحرك المدفعية .

عندما تحدثنا عن خطة التحرك التفت بغدادى إلى زكريا محيى الدين وقال له : اقرأ الخطة ..

وعرض زكريا محيى الدين الخطة .

وكانت الخطة بسيطة للغاية ، ويمكن القول إنها اكتسبت عناصر نجاحها من بساطتها ، وكانت تنقسم إلى مراحل ثلاث :

□ **المرحلة الأولى** : السيطرة على القوات المسلحة ، وتحريك بعض القوات إلى مبنى القيادة فى كوبرى القبة ، وأن يتم اقتحامه والاستيلاء عليه ، على أن يتم فى نفس الوقت اعتقال بعض كبار ضباط الجيش والطيران وقادة الأسلحة المختلفة حتى نضمن عدم تحريك أية قوات عسكرية للتصدى لنا .

وحددت الخطة فى مرحلتها الأولى مهام الأسلحة المختلفة :

فالفرسان تحملوا مسئولية إغلاق المنطقة عند شارع الخليفة المأمون بجوار محطة البنزين ، وإغلاق المنطقة عند المستشفى العسكرى وعند باب ستة بالعباسية وباب العباسية .

والمدفعية كانت مهمتها عزل منطقتى ألماظة والهايكستب والطرق المؤدية لمبنى القيادة بكوبرى القبة ، والطرق المؤدية لوحدات الجيش المختلفة .

وتقرر أن يعاون المدفعية فى هذه المهمة وحدات من الفرسان بدبابات وعربات مصفحة ، وتحدد المسئولون عن تحريك القوات فى المرحلة الأولى كما يلى :

- **الفرسان** : حسين الشافعى - خالد محيى الدين - ثروت عكاشة

- **المدفعية** : كمال الدين حسين - عبد المنعم أمين

- **الطيران** : حسن إبراهيم - عبد اللطيف بغدادى

وكانت مهمة الطيران تالية لتحركنا فى المرحلة الأولى ، وكُلفت مجموعة من المدرعات بالسيطرة على مطارات ألماظة - مصر الجديدة - غرب القاهرة ، وتحددت مهمة الطيران بعد ذلك فى طلعات استكشاف للتأكد من عدم تحرك قوات بريطانية من قاعدة القناة ، وطلعات استكشاف فوق القاهرة والاسكندرية ، ومنع الملك فاروق من الهرب سواء عن طريق الجو أو البحر .

□ أما **المرحلة الثانية** فكانت تتمثل فى إنزال قوات إلى الشوارع للسيطرة على عدد من المواقع المدنية : الإذاعة – التليفونات – قصر عابدين .. الخ .

□ **أما المرحلة الثالثة** فهى التحرك لعزل الملك .

وكانت الخطة منطقية ، فأنت لا تنزل إلى الشارع إلا بعد التأكد من السيطرة الكاملة على القوات المسلحه ، ولا تقوم بمواجهة فعلية مع رأس النظام ، إلا إذا تأكدت من تجاوب الجماهير معك عبر نزولك إلى الشارع .

تحدث حسين الشافعى فى الاجتماع وأعلن أن سلاح الفرسان جاهز ، وأن لدينا ٣٢ ضابطا جاهزين لتحريك قواتهم ، وأننا نسيطر على ٤٨ دبابة و ٤٨ سيارة مدرعة ، وعلى الكتيبة الميكانيكية وآلاى الخيالة .. وتحدثت أنا لأقرر أن قوات الفرسان كفيلة بإنجاح الحركة ، دونما حاجة لانتظار وحدات مشاة ، أو انتظار وصول بقية كتيبة يوسف صديق .

وتحدث عبد الناصر عن المدفعية والمشاة ، وقال إنه مسئول عن تدبير وحدات منها .

وعندما انتهى الاجتماع كانت الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، وتقرر ألا نتصل مع بعضنا تليفونيا .. وأن تعد كل مجموعة نفسها للتحرك . واتفقنا أن تكون كلمة السر « نصر » .

□ □ □

وانصرف الزملاء الأربعة : زكريا والطحاوى وعبد المنعم أمين وحسين الشافعى وتركونا لتواصل « لجنة القيادة » آخر اجتماع لها .

وأول ما فعله جمال عبد الناصر أنه عاتب بغدادى بشدة لأنه طلب من زكريا محيى الدين أن يقرأ خطة التحرك ، وقال جمال : لقد وضعت الخطة وساعدنى زكريا فى ذلك ، فلماذا يقرأها هو .

أتذكر هذه الواقعة البسيطة لأوضح أن جمال كان حساسا للغاية ، حتى فى الأوقات الصعبة ، إزاء مكانته كمسئول عن الحركة .

وحتى فى واقعة كهذه كان بإمكانها إذا فشلت الحركة أن تضيف مسئولية خطيرة واتهاما أكبر إلى من « قرأ الخطة » ، ومع ذلك كان جمال حريصا على ألاّ يترك أية فرصة للشك لدى أى من الضباط المشاركين فى الحركة حول زعامته ودوره .

اعتذر بغدادى .. وانتهى الأمر .

والتفت جمال ليسألنى أين سأكون فى المساء وقبل ساعة الصفر ، قلت : سأذهب أنا وحسين الشافعى إلى بيت ثروت ، قال : قد أمر عليكم .. وأضاف : ثروت عاطفى خلّيه يحتى باله .

ربما كان جمال يلمح إلى تكرار ثروت لمخاوفه من تدخل الانجليز ، لكن الحقيقة أن ثروت كان رجلا شجاعا ، وكانت مخاوفه مبنية على حقائق واقعية ، ولكن عندما قررنا التحرك نسى كل مخاوفه وكان حاسما وتصرف بشجاعة تستحق الإعجاب ، وعندما أتى اللواء حشمت إلى القشلاق قبل تحركنا أصبح كل شىء مهددا لولا أن ثروت اندفع نحوه حاملا مدفعا رشاشا وألقى القبض عليه .

إنها ليست مسألة سهلة أن يقوم ضابط برتبة صاغ داخل القشلاق بالقبض على لواء .

لكن ثروت فعلها .. وبعدها اكتشف أن مدفعه الرشاش كان خاليا من الطلقات .

□ □ □

كان الحماس يملؤنا جميعا .. إلى درجة أن مشاعر الحزن قد انتابت الضباط عندما أبلغتهم فى اليوم السابق (٢١ يوليو) بتأجيل التحرك ٢٤ ساعة ، بل إن بعض الضباط قد هدد بأنه سوف يتحرك منفصلا إذا لم نتحرك نحن .

وهكذا لم يعد هناك مجال للتردد .

وأعود بذاكرتى إلى هذه اللحظات الصعبة **وأسأل نفسى : هل كنت خائفا ؟**

وتأتى الإجابة سريعة وبلا تردد : ولا قطرة واحدة من خوف ، ولو للحظة واحدة . الحماس لفنا جميعا ، ونسينا مخاوفنا من احتمالات تدخل الانجليز ، وبدأنا فى استعداد متعجل لإنجاز كل شىء .

كذلك حسين الشافعى وثروت عكاشة كان كل منهما ثابتا دون أى اهتزاز ، وتحركا ببساطة وكأن الأمر عادى .

وأذكر لحسين الشافعى وكان أعلى رتبة منا جميعا فى الفرسان ، أنه كان أحد أهم عوامل نجاحنا .. باحترام الضباط له ومقدرته القيادية الفائقة ، وأذكر كيف كان راسخ اليقين والوجدان ، هادئا تماما ، قادرا على أن يصدر القرار الحازم فى هدوء وثبات .

وفى الساعات الأخيرة من عملية الاستعداد الختامى ذهبت لحسين الشافعى لأبلغه بأن كتيبتى ليس بها ذخيرة كافية ، فقد كانت تحت الإنشاء ، ولم يكن مع كل عسكرى سوى خمسين طلقة .

ووعدنى حسين الشافعى بأن تصلنى ذخيرة كافية قبل تحرك قوانى ، وقد أنجز وعده .

وفى هذه الأثناء كان جمال عبد الناصر منشغلا بعدد من القضايا ، فقد اتصل بالإخوان ليبلغهم بالحركة وليطلب مساعدتهم فى حالة تحرك الانجليز ضدنا ، وقبل التحرك أبلغنى عبد الناصر أنه أبلغ الإخوان باستعدادنا للتحرك ، فسألته هل ردهم إيجابى ؟ فهز رأسه بالموافقة ، ولكنه أضاف : إنهم متعبين جدا وعلينا أن نعيد الحسابات بالنسبة لهم ، ففهمت من كلامه أنهم واجهوه بمطالب كثيرة ، ولكن الظروف الحرجة أملت على عبد الناصر عدم مجابهتهم . كما أرسل شقيقاه عز العرب وشوقى لمقابلة أحمد حمروش ، وكان أحد المسئولين عن قسم الضباط فى منظمة « حدتو » ، ليطلبا منه السفر إلى القاهرة لمقابلة جمال .

وحضر حمروش ليقابل جمال عصر يوم ٢٢ يوليو ، وأبلغه جمال بأن « الضباط الأحرار » سيتحركون الليلة ، وطلب منه الاتصال « بالضباط الأحرار » فى الاسكندرية بهدف تأمين المنطقة هناك ، وكنا نستشعر خطرا من وجود الملك هناك ومعه قوات من الحرس الملكى ، وخشينا من أن يجمع حوله قوات أخرى ليستقوى بها كما فعل الخديوى توفيق إبان الثورة العرابية .

ولابد أن نتساءل : لماذا اختار عبد الناصر حمروش بالذات ؟ ولعل الإجابة الأكثر منطقية هى أن عبد الناصر قد أراد أن يبلغ « حدتو » بموعد الحركة ، كما أبلغ الإخوان ، ليضمن إمكانية مساندتها له .

وبالفعل أسرع حمروش إلى أحمد فؤاد ، وأسرع الاثنان لمقابلتى ، ثم توجه حمروش ليبلغ النبأ إلى الرفيق بدر سكرتير عام « حدتو » .

وهكذا أتم عبد الناصر تحصين الحركة سياسيا .

□ □ □

أصبح المسرح الآن مستعدا .

وتهيأ الإعداد للحدث الكبير .

الضباط يمتلكون حماسا دافقا للقضية التى يتحركون من أجلها ، كانت المخاطر جسيمة ، فإذا فشلت حركتنا فإن رد فعل النظام سيكون عنيفا وقاسيا ، لكن أحدا منا لم يتوقف ولو لحظة واحدة ليفكر فى هذه المخاطر .

كنا كضباط قريبين جدا من بعضنا البعض ، نعرف بعضنا جيدا ، نعيش معا فى القشلاق ، نخدم معا فى بلاد بعيدة عن سكننا ، نقيم معا أكثر مما نقيم مع أسرنا ، ولهذا كان من السهل علينا أن نفرز من سيكون فى لحظة الجد معنا ، ومن سيتردد ، ومن سيكون ضدنا .

ويكفى أن يصدر « القومندان » أمرا بالتحرك ، حتى يتحرك الضباط الأقل رتبة ومعهم الجنود ..

ثمة مثل عسكرى فى صيغة سؤال غريب ، وإجابة أكثر غرابة :

« والدك أقرب إليك أم قومندانك ؟ وأجيب : قومندانى ، ليه ؟ لأن والدى أعيش معاه أما قومندانى فأنا أموت معاه » .

هذا المثل يقدم لك – عزيزى القارىء – صورة عن العلاقة الحميمة التى كانت تربطنا نحن الضباط ببعضنا البعض ، الأمر الذى هيأ لنا قدرا من الطمأنينة فى الساعات الأخيرة ، والتى كان من المفترض أن تكون مشحونة بالتوتر والترقب .

لم أزل أعود بذاكرتى إلى هذه الساعات ، لقد مضت هادئة كغيرها ، ربما أكثر هدوءا من غيرها ، كل شىء تم إعداده ، ولم يبق سوى أن يتحرك الزمن عدة ساعات لنبدأ .

عند الظهر توجهت للبيت وتناولت الغداء . وبلا مقدمات أبلغت سميرة زوجتى بالأمر وكانت تعرف علاقتى « بالضباط الأحرار » ، وتحمل معها برنامج الجماعة وتتحمل المخاطرة دون أن تسأل عن أية تفاصيل ، ودون أن تحاول إشعارى بقدر القلق الذى يغمرها كلما تجمعت « لجنة القيادة » فى البيت ، أو شاهدتنى وأنا أسرع خارجا عقب مكالمة تليفونية تدعونى لاجتماع .

.. كانت تعرف أن المخاطر جسيمة لكنها تقبلت الوضع لأننى تقبلته ، ولأنها كانت لا تريد أن تقف – ولو بأقل قدر – عقبة أمام ما أنوى فعله ، وما أعتقد أنه فى صالح الوطن .

وكانت ابنتى سميحة مريضة ، وكانت تحتاج إلى رعاية خاصة وإلى التردد على الطبيب ، ولم أكن امتلك من الوقت ما يكفى لذلك ، وتحملت زوجتى أيضا عبء هذه المسئولية . ولكن منذ ٢٠ يوليو كانت تلاحظ شرودى وانعدام شهيتى للأكل ، حتى كوب الشاى الثقيل الذى أحبه فى العصر لم أعد اهتم به ، كانت تلاحظ ذلك كله دون أن تضغط علىّ أو تسألنى . وبعد الغداء ، وبلا مقدمات قلت لسميرة : **أنا سأخرج فى الساعة الثامنة وإذا لم أعد فى الصباح يكون شيئا خطيرا قد حدث ، فإما سأموت أو سأعود منتصرا .**

كانت تعرف ما أنا مقبل عليه ، وتقبلت عبارتى الثقيلة ، بل وغير الحصيفة ، فى هدوء ، وقالت : إن شاء الله حترجع بالسلامة . والحقيقة إننى كنت قد قررت بينى وبين نفسى ألا أستسلم فى حالة فشلنا ، كان الإعدام مصيرا واضحا ، ولهذا قررت ألا استسلم .. وأن أقاتل حتى النهاية .

.. خرجت إلى بيت ثروت عكاشة حيث تناولنا عشاءنا بهدوء .

ونزلنا فى التاسعة والنصف ، ثروت توجه إلى قواته ، واتجهت أنا إلى الكتيبة الميكانيكية .. ولأنها كانت كتيبة تحت الإنشاء فقد كان الضابط النوبتجى « باشجاويش » وكنت أنا ضابط عظيم المنطقة .

ناديت الباشجاويش آمرا بإعداد الكتيبة للطوارئ ، وتجهيز كل شيء للتحرك فى تمام الساعة الثانية عشرة ، وكان حاضرا معى الملازم وجيه رشدى وهو ضابط مشاة نقل حديثا إلى الفرسان للعمل مع الكتيبة الميكانيكية (وهى مشاة المدرعات) وكان من « الضباط الأحرار » ، وكان عبد الحكيم عامر قد أبلغنى باسمه ، وهو ضابط ممتاز . وبدأ وجيه رشدى التفتيش على الجنود والتأكد من الأسلحة والذخيرة ، وكانت مهمته أن يأخذ ثلث القوة ليسد بها الطريق والكوبرى الذى يفصل المستشفى العسكرى عن منطقة كوبرى القبة والحدائق ، ومن هذه المنطقة عبر محمد نجيب وأنور السادات بعد حضورهما لأن هذه المنطقة كانت تمثل نقطة حاكمة فى المنطقة العسكرية .

وقبل أن أتحرك بقليل أتانى عثمان فوزى مسرعا ، وقال إن اللواء حشمت قائد اللواء المدرع قد حضر إلى السلاح ، وأنه من الضرورى أن أتحرك دون انتظار لساعة الصفر .

كان العساكر قد تم إيقاظهم فى الساعة العاشرة والنصف وجُهزت اللوارى والأسلحة والذخيرة ، وفيما أشعر بحيرة بسبب نقص الذخيرة ، كان حسين الشافعى يحقق وعده لى .. ففى الساعة الحادية عشرة تقريبا حضر الضابط ممدوح إسماعيل ومعه الذخيرة المطلوبة ، وقال بالانجليزية حتى لا يفهم الجنود : « **اللواء حشمت تم القبض عليه** » .

وشعرت بارتياح ، وأحسست أن ثمة توفيقا من الله يحل بنا وبحركتنا .

وأصدرت الأمر .. تحرك .

وما أن سمعت صوت الموتورات حتى انتظمت معه دقات قلبى وكأنها تتحرك معه .. ومعها دقات قلوب أربعمائة جندى هم قوتى التى أتحرك بها .

ومن بعيد أتى صوت طلقات رصاص ..

كان يوسف صديق قد تحرك مبكرا واقتحم مقر قيادة الجيش فى كوبرى القبة وألقى القبض على قيادات الجيش المجتمعة هناك .

وتحركت القوة ومعى وجيه رشدى ، وانفصلنا عن بعضنا فى شارع الخليفة المأمون كل فى اتجاهه ، ووصلت القوة التى أرأسها إلى مدخل مصر الجديدة أمام محطة بنزين « موبيل أويل » بمحازاة خط المترو لتسد الطريق القادم من مصر الجديدة الذى يمر أمام نادى سبورتنج بوحدات الكتيبة الميكانيكية وعربتين مصفحتين من الآلاى الأول سيارات مصفحة وفصيلة خيالة .

وبعد وصولنا بحوالى نصف ساعة واستقرار الوضع وانقطاع المواصلات وعزل المنطقة العسكرية عن مصر الجديدة ، **قلت للجنود : أنتم عارفين احنا بنعمل إيه ؟ فأجابوا : احنا طوارىء يا أفندم ، قلت : لا .. هى حركة عسكرية ضد قادة الجيش ومن أجل الوطن والشعب .**

وتقبل الجنود كلماتى بارتياح ، فلقد عملنا نحن « الضباط الأحرار » ولأمد طويل على كسب احترام وحب جنودنا .. ولهذا أحس جنودى جميعا أننى بالقطع أقودهم من أجل شىء جيد ومفيد ..

وبدأت أحداث الليلة العظيمة .

١١ وانتصـــرت «نصر»

* كيف تسرب موعد تحركنا إلى القصر الملكى !
* أخطأ يوسف صديق .. فأنقذنا وأنقذ الحركة .
* عندما تصور أحمد حلمى أن الانقلاب « شيوعى » .
* شهادتى حول وقائع ثلاث :
- السادات ودوره .
- نجيب ودوره .
- عبد الناصر وعامر ولماذا تجولا بملابس مدنية .

بماذا يمكن أن نصف هذا الذى حدث فأخرج يوسف صديق مبكرا ساعة ونصف الساعة قبل الموعد ، ودفعنى إلى القشلاق ساعتين قبل الموعد لأتحرك بقواتى مبكرا ، وقبل ساعة الصفر أيضا ؟

هل هو توفيق من الله الذى لم يتخل عنا طوال تحركنا المثابر منذ الأيام الأولى ؟ أم هو الاندفاع عشقا كالمحب الولهان يسارع إلى موعد لقاء محبوبته قبل أوانه بأمد طويل مستعجلا لقياها ، مؤملا فى أن تسرع عقارب الساعة ؟

لعله الاثنين معا ..

توفيق الله ورعايته لنا ، واندفاعنا فى حب الوطن والشعب .

وهكذا أمكننا أن نتوقى الخطر الداهم الذى أوشك أن يطيح بنا وبحركتنا بعد أن تسربت للقصر الملكى أخبار اعتزامنا التحرك .

ولكن كيف كان ذلك ؟

فى الفصل السابق حددت أسماء كل من عرفوا ساعة الصفر : « لجنة القيادة » ومعها الضباط الأربعة زكريا والشافعى وعبد المنعم أمين والطحاوى ، والمؤكد أن أحدا من هؤلاء لم يتسرب منه شىء ، وإلا لكان الإعدام نصيبنا جميعا ولما انتظرونا حتى المساء ، أو حتى قبضوا علينا ونحن مجتمعون فى غرفة الصالون فى منزلى .

ثم سرّب عبد الناصر الخبر بطريقة محسوبة تماما باتجاهين سياسيين :

إلى الإخوان المسلمين عن طريق حسن عشماوى ..

وإلى « حدتو » عن طريق حمروش الذى أبلغ أحمد فؤاد والرفيق بدر (سيد سليمان رفاعى) ..

وإلى هنا والخبر مؤمن تماما ولم تتسرب عبر هاتين القناتين أية معلومات .

ثم ذهب الضابط أحمد أنور ليبلغ شيخا من كلية الشريعة اسمه الشيخ محمد الأودن وكان يتبرك به ، ونال بركته وأبلغه بتحركنا ، لكن السر أيضا ظل مصانا ، وظلت « **نصر** » وهى مفتاح تحرك القوات ، فى مأمن من الخصوم .

مرة أخرى كيف تسرب الخبر ؟

الحقيقة أنه تسرب من مصدرين وليس من مصدر واحد :

أحد الضباط الأحرار ، وهو الملازم أول حسن محمود صالح ، ذهب مسرعا إلى زملائه فى سلاح المدفعية ليبلغهم أنه ذهب فى المساء إلى بيته ليرتدى زيه العسكرى ، فشكت والدته فى الأمر ، وكانت تعلم أنه ليس لديه خدمة فى هذا اليوم وأنه على علاقة بحركة ما ، فأسرعت بإبلاغ أخيه اللواء جوى متقاعد صالح محمود صالح بشكوكها ، ليقوم بدوره بالاتصال بحيدر باشا فى الاسكندرية ليبلغه باعتقاده أن بعض الضباط ينوون عمل شىء ما « الليلة » .

عرف ضباط المدفعية بهذا النبأ الصاعق فى الساعة السابعة مساء ، ولم يكن هناك أى مجال لتغيير أى خطط ، فقد سبق أن تقرر عدم الاتصال التليفونى بأى شخص ، وكان الجميع قد تفرقوا استعدادا لتحريك قواتهم ، وكل ما فعلوه هو أنهم أعادوا الضابط حسن صالح إلى بيته لعله يطمئن والدته ، ولعل هذه الطمأنينة تنتقل عبرها إلى أخيه ، ومنه إلى حيدر باشا .

لكن الشك الذى دخل إلى قلب حيدر باشا لم يكن هناك من سبيل لانتزاعه ، خاصة وأن معلومة أخرى من مصدر آخر قد عززت الشك لديه حتى أوشك أن يصبح يقينا ..

فالضابط ممدوح شوقى (وهو ابن خالة ثروت عكاشة) وكان معنا ، حاول أن يكسب فى هذا الوقت الحرج ضابطا آخر هو اليوزباشى فؤاد كراره ، فأبلغه بأن الجيش سيتحرك الليلة ، وأسرع كرارة ليبلغ اللواء أحمد طلعت حكمدار بوليس العاصمة الذى سارع بدوره بإبلاغ القصر .

□ □ □

وهكذا بدأت ماكينتان فى الدوران ..

كل منهما تريد أن توقف الأخرى ، وأن تشل فعاليتها ، ومن ثم تسيطر على القوات المسلحة ، ومن خلالها على مجمل الوطن ومستقبله ..

« **نصر** » خطتنا التى كانت محمولة فى قلوب رجال قرروا أن يهبوها حياتهم ..

و « **الملك** » ورجاله وكبار ضباطه يتحركون هم أيضا .

اللواء حسين فريد استُدعى إلى قصر عابدين على الفور ، وكُلف باستدعاء قيادات الجيش وتكليفهم بالتوجه إلى مواقعهم لفرض سيطرتهم عليها .

ويعقد اجتماع لأركان حرب الجيش فى قيادة الأركان بكوبرى القبة ، وقد وجهت الدعوة إلى قيادات الأسلحة والمناطق لحضور مؤتمر فى الساعة العاشرة ، ولم يدع اللواء محمد نجيب إلى هذا المؤتمر بما يعزز الاعتقاد بأن السراى كانت تعتقد أن اللواء محمد نجيب يقف خلف عملية التمرد الجارية ، لكن الدعوة وجهت إلى أخيه اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة ، وعرف محمد نجيب من شقيقه بموعد المؤتمر والهدف من انعقاده .

كانت عدم دعوة محمد نجيب إلى المؤتمر مفيدة جدا لنا .. ألم أقل إن توفيق الله كان يحيط بنا بل ويلاحقنا ، فقد تناسب ذلك مع خطتنا التى ترمى إلى إبقائه فى منزله دون أية شبهة تحيط به إلى أن ننجح ثم نستدعيه لتولى القيادة .

كما كانت عدم دعوته فرصة لبقائه بالمنزل كى يمتلك حرية الاتصال والإبلاغ عن المعلومات التى حصل عليها من شقيقه على نجيب .

وبالفعل نجح محمد نجيب فى الاتصال بعبد الحكيم عامر ليبلغه بما حصل عليه من معلومات ، **وكان نجيب صاحب فكرة الإسراع باعتقال القادة المجتمعين بكوبرى القبة أثناء خروجهم لشل سيطرتهم وإفشال أية خطة للتحرك المعاكس .**

كان الوقت متأخرا لتغيير أية خطط ، وكان إيقاف التحرك غير وارد على الإطلاق مهما كانت الأخطار . بل إن إيقاف التحرك سيجلب أخطارا مؤكدة بمحاكمتنا جميعا ، أما استمرار التحرك فهو الفرصة الوحيدة لتحقيق الانتصار .

ولكن كيف يمكن اللحاق بهؤلاء القادة العسكريين الذين التقوا فى العاشرة مساء بكوبرى القبة ، والذين لابد أنهم سيتلقون تعليمات عاجلة بالإسراع إلى معسكراتهم للسيطرة عليها قبل تحرك رجالنا ؟

أسرع عبد الحكيم عامر إلى جمال وخرجا معا بملابسهما المدنية فى سيارة جمال الصغيرة ، بأمل أن يلتقطا أى خيط من قواتنا ليدفعاه إلى الإسراع نحو كوبرى القبة واعتقال الضباط الكبار قبل إفسادهم لخطتنا .

□ □ □

ونحن الذين دفعنا عشقنا لمحبوبتنا مصر إلى الذهاب للقياها مبكرين عن الموعد بساعتين أو أكثر كنا نستعد كى ندير موتورات سياراتنا ومدرعاتنا عندما بدأت قيادات الجيش فى دخول المعسكرات .. لتقع فى أيدينا ونعتقلها .

لو أننا تأخرنا نصف ساعة أو أقل ، أو بالدقة لو أننا لم نذهب مبكرين لكانوا قد سبقونا ، وسيطروا على القوات ، وسقطنا نحن فى مصيدة الاعتقال .

إنه توفيق الله سبحانه وتعالى ..

دارت موتورات السيارات المدرعة لقواتى ، وكانت تضم ٤٠٠ جندى بسلاحهم ، وذخيرتهم – التى استكملتها بفضل معونة حسين الشافعى – أما بقية القوات التابعة لى وهى حوالى ٦٠٠ جندى آخرين غير مسلحين – لأن كتيبتى كانت تحت التشكيل – فقد تركتهم فى القشلاق واستفدنا منهم فى خدمات معاونة .

.. دارت موتورات السيارات المدرعة وتعالى هديرها وهى تنطلق ، ومن بعيد أتى صوت طلقات الرصاص .

كانت هذه الطلقات مثارا لحيرتى ، فهل هى طلقاتنا التى تؤكد تمكننا من فعل شيء ما ، أم هى موجهة ضدنا لتوقف مسيرتنا ؟ لكن الذى أثار حيرتى أكثر هو أن ساعة الصفر لم تكن قد حانت بعد ، **فلماذا هذا الرصاص ؟**

ولم يكن ثمة مجال لأى تردد ، دارت موتورات السيارات المدرعة .. وتوكلت على الله .

قمت بتقسيم القوة إلى مجموعتين : مجموعة تحت قيادتى ، وقمت بواسطتها بإغلاق الطريق المؤدى إلى شارع الخليفة المأمون من عند محطة البنزين ، ومجموعة أُخرى وجهتها تحت قيادة الملازم وجيه رشدى ليغلق المنطقة أمام مدخل المستشفى العسكرى (عند مسجد جمال عبد الناصر الآن) .. وبعض قواتى توجهت تحت قيادة ضباط آخرين من الفرسان لتغلق المنطقة عند باب ستة بالعباسية .. كان لدىّ جنود فائضين فأعطيتهم لضباط آخرين ، فقد كانت هناك كتائب أخرى من الفرسان لديها « ضباط أحرار » بلا جنود .

وقبل الثانية عشرة بوقت كاف كنا قد أحكمنا إغلاق هذه المنطقة تماما ، ومنعنا العديد من الضباط الكبار الذين تم استدعاؤهم على عجل من المرور إلى قواتهم ، وهكذا بدأت الخطة « نصر » تتفوق على خطة القصر الملكى ، ولعل الفضل الأول فى نجاحنا يرجع

إلى تحركنا فى الحادية عشرة ، وليس كما قررنا من قبل ، أى فى الثانية عشرة ، هذا الخطأ الذى قد يؤدى فى أية عملية عسكرية أخرى إلى كارثة حقيقية أنقذنا ومنحنا فرصة النجاح ، ولعله كان إلهاما من الله لا حيلة لأحد فيه .. ساعة كاملة كسبناها وكانت كافية تماما لإفشال تحرك الخصوم وتساقطهم فى أيدينا ..

حوالى العاشرة والنصف أعلن يوسف صـ ـيق الطوارىء فى قوات مقدمة كتيبة مدافع ماكينة ، وكان قائدا ثانيا لها ، وكان معه الضابطان عبد المجيد شديد ومحمد السقا ، وقبل ساعة الصفر وقف فى قواته خطيبا ، لم يخف شيئا ، فقد ألقى خطابا ناريا مؤكدا أنهم وأولادهم سوف يفخرون بما ينجزون هذه الليلة .

كانت هذه الكتيبة معسكرة فى الهايكستب أبعد معسكرات ضواحى القاهرة ، ولم تكن تعلم شيئا عما يجرى فى قيادة الجيش .

تحرك طابور الكتيبة التى تملك قوة نيران شديدة ومدافع رشاشة ثقيلة عالية الكفاءة ، وفى مقدمته سيارة جيب بها القائمقام (البكباشى فى ذلك الوقت) يوسف صديق ، ولدى خروجه المبكر فوجىء بالقرب من أبواب المعسكر باللواء عبد الرحمن مكى قائد فرقة المشاة الثانية فقام باعتقاله ، وعند مدخل المعسكر كان هناك الأميرالاى عبد الرؤوف عابدين يسرع بعربته إلى الهايكستب فاعتقله أيضا .. وسار موكب غريب جدا : سيارة جيب بها بكباشى ، ثم سيارة أخرى ترفع بيرق اللواء وبداخلها سجينان : لواء وأميرالاى ، ثم طابور سيارات مدافع ماكينة .

كان الموكب يسرع نحو هدفه ، وفيما هو يهز شوارع مصر الجديدة مقتربا من كوبرى القبة مبكرا بحوالى ساعة ، قرر يوسف صديق أن يوقف القوة قليلا حتى تقترب ساعة الصفر .

.. فى هذه الأثناء اقترب شخصان يرتديان ملابس مدنية ويركبان سيارة صغيرة من هذا الطابور الغريب والمريب ، سيارة اللواء التى تحمل البيرق أثارت مخاوفهما ودهشتهما معا ، وتقدم عبد الحكيم عامر بصورة لافتة للنظر محاولا أن يتعرف أية قوات هذه ، وأى بيرق هذا ، وإلى أين تتجه ؟ وتحت قيادة من ؟ ولحساب من تتحرك ؟ وارتاب الجنود فى هذين الشخصين وقاما بالقبض عليهما ، وثارت ضوضاء وتوقفت السيارة الجيب وخرج يوسف صديق ليسأل عما جرى .. فوجد أمامه جمال عبد الناصر مقبوضا عليه هو وعبد الحكيم عامر ، أمر على الفور بإطلاق سراحهما ، كانت كلمات جمال عبد الناصر أسرع

مما يجب ، وعرف يوسف صديق ما حدث ، واتفقوا فى سرعة قياسية على احتلال مبنى قيادة الجيش والقبض على من فيه .

كانت الخطة الأصلية أن يذهب يوسف صديق بقواته إلى مبنى قيادة الجيش دون اقتحامه ، فقط يحاصره من الخارج .. والآن تقرر اقتحام المبنى .

وأسرع جمال وعبد الحكيم إلى منزليهما ليلبسا ملابسهما العسكرية ، وأسرع يوسف صديق ليوزع قواته لتصبح فى وضع الاقتحام ، فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش ، وفصيلة أخرى تقطع الطريق عند كوبرى السيوفى أمام سلاح خدمة الجيش ، وبقية الجنود للاقتحام . وفى هذه الأثناء وصلت فصيلة سيارات مصفحة بقيادة فاروق عزت الأنصارى لتحتشد عند مدخل قيادة الجيش لمساعدة قوات يوسف صديق فى عملية الاقتحام ، وقدمت عونا إيجابيا فى إنجاز هذه المهمة التاريخية . وعند نزول القوات من سياراتهم فوجىء يوسف صديق أمامه بالأميرالاى أحمد سيف اليزل خليفة فاعتقله ، وترك سائقه حارسا على ثلاثة من أكبر ضباط الجيش ، وأمره بإطلاق النار عليهم لدى أى محاولة منهم للهرب .

واقتحم بقواته وقوات فاروق الأنصارى مبنى قيادة الجيش .

□ □ □

فى هذه الأثناء كانت قواتنا الأخرى تعتقل كبار القادة الذين أسرعوا إلى معسكراتهم بأوامر من حسين فريد للسيطرة عليها .

كمال الدين حسين وأبو الفضل الجيزاوى فى المدفعية اعتقلا اللواء حافظ بكرى قائد المدفعية والبكباشى عبد الفتاح كاظم أركان حرب سلاح المدفعية .

وكما قلت ، ثروت عكاشة قبض على اللواء حشمت قائد سلاح الفرسان .

وسيطرت أنا بقواتى على قلب المنطقة العسكرية ، والمدفعية سيطرت على ألماظة ، ومجموعة أخرى من المدفعية تحركت تحت قيادة اليوزباشية فتح الله رفعت وكمال لطفى وأحمد شهيب للتعرض لمحاولة قام بها صاغ اسمه معتز حاول تحريك قوات البوليس الحربى ضدنا ، وقد اعتقل الصاغ معتز وأحبطت حركته ، وتمت السيطرة على مقر البوليس الحربى ، كما تحركت قوات مشاة بقيادة شمس بدران من أساس المشاة للسيطرة على مقر قسم القاهرة الذى يقوده اللواء على نجيب ، وقام مجدى حسنين فى سلاح خدمة الجيش بإرسال سيارات بنزين للوحدات المتحركة ، والأهم من هذا أنه أوقف أية إمدادات لأية قوات معادية .

وهكذا تأتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل لتجد كل المنطقة العسكرية من ألماظة إلى الهايكستب إلى العباسية تحت سيطرتنا ، ولتجدنا أيضا وقد اعتقلنا العديد من قيادات الجيش من بكباشى فما فوق .

□ □ □

أما أنا فكنت لم أزل مسيطرا على الموقع الحاكم فى شارع الخليفة المأمون ، وهناك تساقط فى يدى عديد من قيادات الجيش الذين تركوا منازلهم مسرعين بناء على أوامر من حسين فريد بهدف الوصول إلى قواتهم للسيطرة عليها ، لكننى منعتهم وأعدتهم من حيث أتوا .

كان بعض الضباط الكبار يحضرون سيرا على أقدامهم ، فسياراتهم لم تكن قادرة على التحرك ، بينما لديهم تعليمات من حسين فريد بالذهاب فورا إلى معسكراتهم .. كانوا يأتون سيرا على الأقدام يحاولون المرور من الحصار المضروب بواسطة قواتى ، لكننا كنا نمنعهم ونطلب منهم العودة إلى بيوتهم . **مازلت أذكر أن واحدا منهم اندفع نحوى قائلا : يا حضرة الضابط من فضلك عربية توصلنى للسلاح لأن هناك تمرد ، فقلت باسما : آسف أصل احنا التمرد ، وطلبت منه أن يعود إلى بيته ، فعاد .**

لم نكن نريد اعتقال عديد من الضباط ، فقط كنا نعتقل من يتصدى لنا والقيادات الأساسية ، وهكذا ففى بعض الأحيان وعندما أجد سيارة جيب لا ضرورة ملحة لها ، كنت أرسلها بالضابط الكبير إلى بيته ، وبذا نأمن شره حتى نؤمن حركتنا تماما .

وبعد وصولى إلى موقعى بفترة وجيزة تقدم طابور مدفعية نحوى ، كانت قوات مدفعية مضادة للدبابات بأعداد كبيرة بقيادة الصاغ ربيع عبد الغنى ، ولم أكن أعرفه فى ذلك الحين .

لا شك أن هذه القوات أكبر حجما وتمتلك كثافة نيران أكبر من قواتى ذلك أن تسليحها قوى ، وبدأت استشعر خطرا حقيقيا ، فماذا لو أنها قوات معادية ؟ أحسست بمشاعر غريبة ، فأنا ثابت عند قرارى بأننى لن أستسلم أبدا ، إذن لو كانت قوات معادية فهى معركة ، صحيح أنها لن تكون معركة متكافئة ولكن لابد من خوضها فلا سبيل آخر ، ولثوان بدأت أتخيل نتائج معركة شرسة كهذه وسط مبان سكنية ومواطنين آمنين ، ولثوان بدأت أستعد لإصدار أمر بفتح النار إن كان ذلك ضروريا ، توجهت إلى قائد الطابور المتقدم سائلا بحزم : « كلمة السر » .. وأنت كلمة « **نصر** » كأحلى كلمة سمعتها فى حياتى ، أحسست أن حلمنا يتحقق ، وأنه لا مبرر لإراقة دماء ، حتى الآن على الأقل .

سمعت كلمة « نصر » وقلت فى نشوة : « تقدم » ، وفتحت قواتى الطريق المدفعية لتتقدم وتحتل مواقعها عند قيادة الجيش .

□ □ □

ونعود إلى يوسف صديق على أبواب مقر قيادة الجيش ، فقد اقتحم بقو الأرضى وقام بتفتيشه ، ولم يكن به أحد ، وأرادوا الصعود للطابق الثانى فاعترض جندى برتبة جاويش وحاول منعهم من الصعود ، حذره يوسف صديق فلم يستم فأخرج مسدسه وأطلق طلقة على ساقه ، وصعد هو وجنوده ، حاول أن يفتح ب رئيس الأركان لكن الباب كان مغلقا ، وكان البعض من الداخل يحاول منعهم من فت أمر يوسف صديق جنوده بإطلاق رصاصهم على الباب ، واقتحموا الغرفة ليج حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش واللواء حمدى هيبه وضابط آخر ير أبيض .

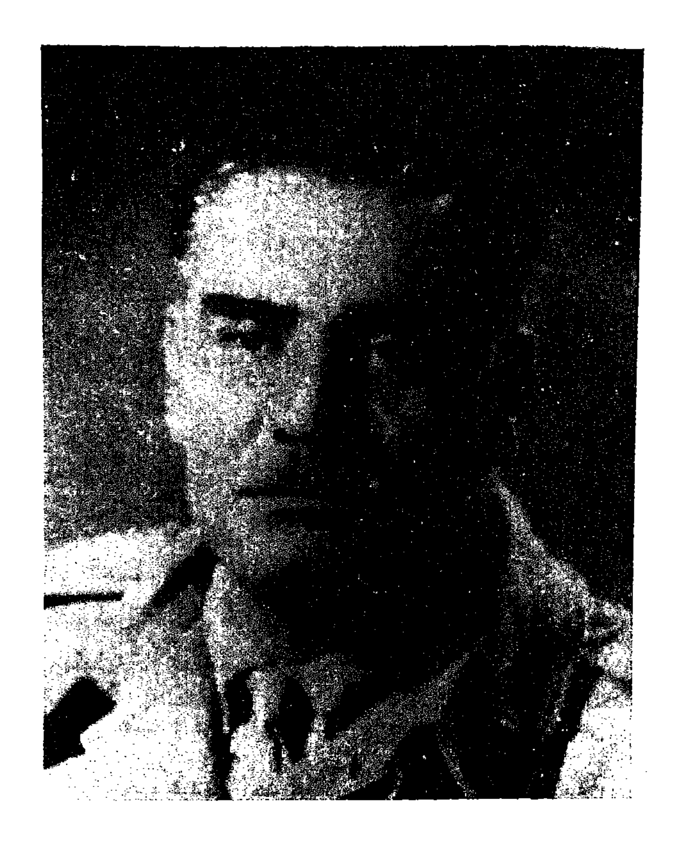
كان حسين فريد رابط الجأش وشجاعا ، **وقال يوسف صديق مازحا : ا أن أقابلك يا سيادة اللواء منذ مدة ، ولم نتقابل ، وآسف أن نلتقى فى هذه ال ثم طلب إليهم التحرك وسلمهم لليوزباشى عبد المجيد شديد الذى اصط والمعتقلين الآخرين الذين تركهم يوسف صديق مع سائقه إلى معسكر الاعتقا حسب الخطة فى مقر الكلية الحربية .**

.. ووقع فى هذه اللحظة حادث مثير للاهتمام . فقد وصل إلى المبنى خمس تحت قيادة ضابط ، وكل منهم يحمل مائة طلقة ، كانت رئاسة الجيش قد استدعته الحراسة على المبنى ، فتأخر وصولهم لعدة دقائق ، وسبقهم يوسف صديق .

دخل الضابط ليجد يوسف صديق مسيطرا بقواته على المبنى ، طلب إلي صديق بطريقته المباشرة والآمرة فى آن واحد ، أن ينضم إلى الثورة ، وانضم بجنوده الخمسين إلينا .

وجلس يوسف صديق .. على مقعد رئيس أركان حرب الجيش ، وبدأ يصدر من هناك . ولعل جلسته هذه كانت تعنى الكثير ، صحيح أنها لم تكن تعنى أننا قد فعلا ، وإنما كانت تعنى – على الأقل – أن أخطر مركز للسلطة قد سقط فى أيدي لم يعد فى القاهرة مركز آخر يستطيع أن يعطى أوامر مضادة لحركتنا .

وبهذا المعيار يمكن القول إن يوسف صديق قد حقق عملا تاريخيا هاما ،



□ **يوسف صديق .**

أسهم بشكل كبير ومباشر فى إنجاح حركتنا . وقد كانت شجاعته الحاسمة والآسرة فى آن واحد عاملا من عوامل نجاحنا .

وفى السادسة صباحا طارت طائراتنا معلنة ليس فقط سيطرتنا على المطارات ، وعلى سلاح الطيران ، وإنما سيطرتنا على سماء مصر .

وارتفعت معنوياتنا إلى عنان السماء ، ربما أعلى من طائراتنا هناك .

.. فجأة تذكرت زوجتى ، وكيف أننى تركتها كل هذا الوقت نهبا للقلق ، أسرعت إلى محطة البنزين وأدرت قرص التليفون وعندما سمعت صوتها **قلت : « مبروك » .. كانت تقول فى ذات اللحظة ذات الكلمة « مبروك » فقد سمعت البيان من الإذاعة .**

.. بعد فترة تركت مكانى ، وتم تغيير القوات بقوات غيرها .

لقد سيطرنا تماما على القوات المسلحة ، وأصبح الجيش تحت أيدينا .

ولم يمض وقت طويل حتى جاءت قرارات تأييد ومساندة من قوات رفح والعريش والاسكندرية والبحرية .

الجيش معنا .

ومع الاستيلاء على الإذاعة ، وإذاعة البيان الأول للثورة بدأت البشائر توحى بأن الجيش معنا ..

□ □ □

ولم تزل فى الذاكرة بعض ملامح تفصيلية للصورة .. عندما عدت إلى سلاح الفرسان فى المساء قابلنى البكباشى لطفى منصور ، وكان قائد الكتيبة الميكانيكية التى كنت أنا قائدا ثانيا لها ، وكان خال ضابط الأحرار أحمد حمودة ، وعاتبنى : مش كنت تقول لى ، يعنى معقول أنا أقف ضدكم ؟

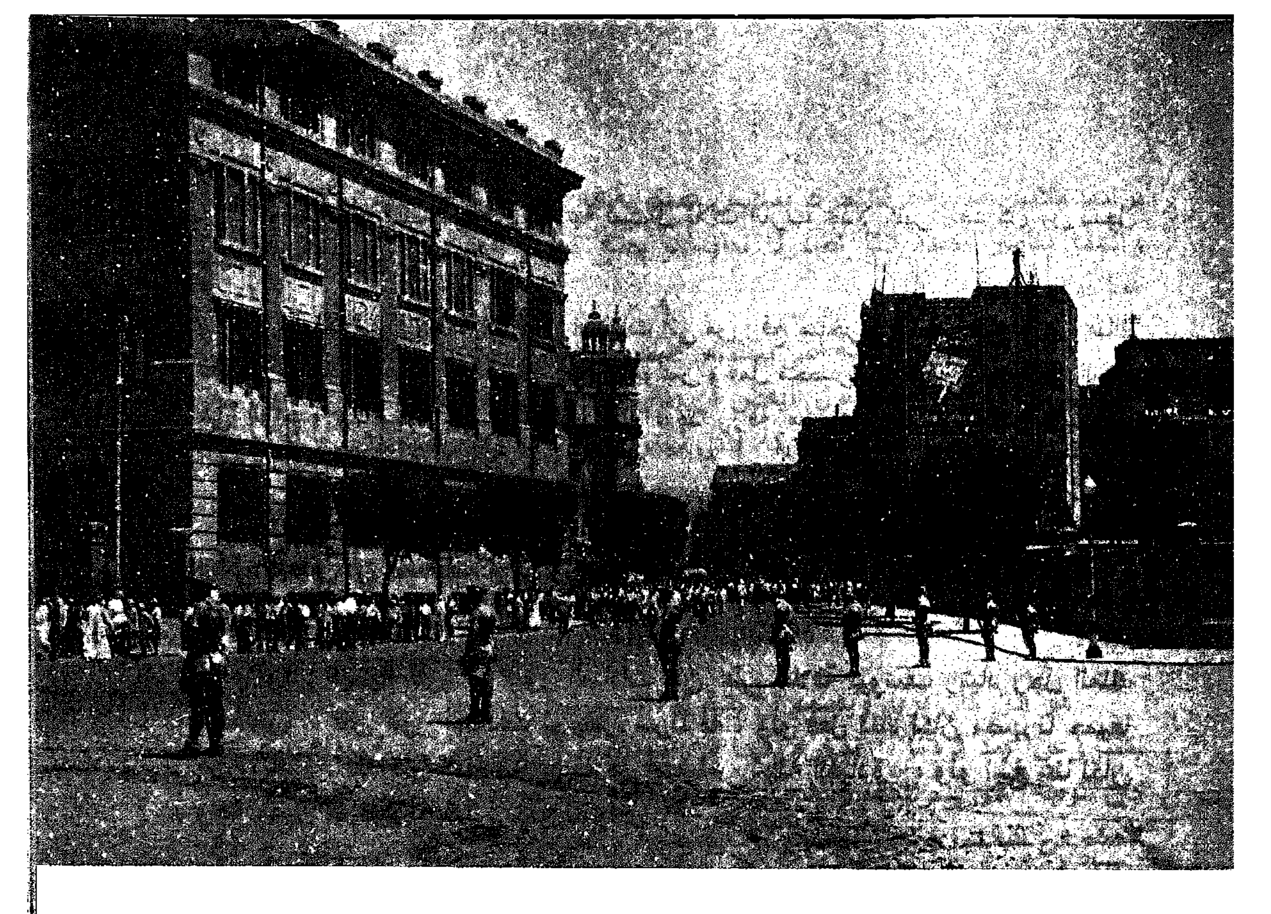
قلت : نحن لم نحب أن نضعك فى وضع حرج .

.. وعبد الواحد عمار قائد كتيبة اللواء السابع فاتحناه ليلة الثورة ، وقال : أنا رجل عسكرى ومن الصعب علىّ القيام بعمل كهذا ، لكن إذا نجحت حركتكم فأنا سأنضم إليكم بقواتى .

وهناك عديد من الضباط انضموا إلينا ليلة الثورة ، أى فاتحناهم قبل التحرك مباشرة ، وقبلوا وتحملوا المخاطرة معنا ، وشاركونا العمل .. والبعض وجدونا منهمكين فى الإعداد للتحرك فى سلاح الفرسان فسألوا : بتعملوا إيه يا أولاد ؟ قلنا : نستعد لعمل انقلاب ، فقالوا : معاكم ..

.. وهكذا ، فقد كانت الإمكانات الثورية تمتلك دائرة واسعة ومتزايدة الاتساع بأكثر مما توقعنا ، وبأكثر مما طالت أيدينا خلال فترة التحضير ، وتكمن كفاءتنا وقدرتنا الأساسية فى أننا فى هذه اللحظات الحاسمة كنا واسعى الأفق ، مفتوحى الصدر لكل من يريد أن ينضم إلينا .

وثمة واقعة طريفة وقعت ليلة الثورة أيضا ، كان أحمد حلمى ضابط



□ حصار قصر عابدين فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

البوليس السياسى الشهير عائدا إلى بيته ، ومر عند كوبرى القبة فوجد وضعا غير طبيعى ، فنزل من سيارته وبدأ يستطلع الأمر .. إنها عقلية ضابط المباحث التى لم تفارقه ، لكنه اعتُقل بواسطة جنودنا ، وعندما سئل قال : أنا ضابط بالبوليس السياسى ، ولكن ومن سوء حظه أنه كان قد وقع فى قبضة الضابط كمال الحناوى ، وكان أحمد حلمى قد سبق له القبض على كمال الحناوى فى قضية شيوعية ، وما أن رأى أحمد حلمى أن كمال الحناوى بين قوات الانقلاب حتى تخيل أنه انقلاب شيوعى ، وأحس أنه قد قُضى عليه ، فقد اشتهر عنه عداوُه الشديد للشيوعية وتعقبه لرجالها ، واقتادوه إلى المعتقل حيث قضى ليلة عصيبة ، حتى أفرج عنه فى اليوم التالى .

وتبقى بعد ذلك شهادتى بالنسبة لمسائل ثلاث أثارت جدلا كثيرا عند كل من سجل شهادته حول يوليو :

□ **الأولى** : واقعة أن أنور السادات أتى من رفح متأخرا ثم ذهب للسينما ، وهناك تشاجر مع أحد الأفراد ، وذهب إلى قسم البوليس وعمل محضرا بالخناقة ، وعاد إلى البيت فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ليجد ورقة من عبد الناصر تبلغه بضرورة الحضور .. فقد بدأت الحركة .

ويحاول البعض إلقاء بعض الظلال والشكوك على دور السادات فى الحركة ، وقال البعض إن السادات أراد أن يثبت بمحضر بوليس أنه لا علاقة له بالحركة .. وتحليلات أخرى كثيرة .

وفى البداية أقرر أن أنور السادات كان على علاقة بيوسف رشاد رجل الملك المخلص .. لكن أنور السادات لم يفش سرنا له ، ولو فعل ذلك لكان مصيرنا جميعا هو الإعدام ، فقد كان السادات يعرف كل أعضاء « لجنة القيادة » ، ولو أبلغ عنا لكان وجه مصر قد تغير تماما ، لكنه لم يفعل .

أما أنه قد حرص على تسجيل واقعة مشاجرته فى محضر للبوليس ، فلعل هذا مرتبط بخبرة سابقة للسادات فقد حوكم أكثر من مرة ، وفُصل من الجيش ، ولعله أراد تحصين موقفه بعض الشيء إن فشلت الحركة ، ولا بأس فى ذلك ، خاصة وأنه فعلا لم يتخلف كثيرا ، وأسرع ليسهم مع الآخرين فيما يفعلون ، ثم تلا بيان الحركة فى الإذاعة .

□ **والمسألة الثانية** هى أن جمال وعبد الحكيم كانا وحتى لحظة القبض عليهما بواسطة قوات يوسف صديق يرتديان الملابس المدنية ، ويحاول البعض أن يستنتج من هذا أنهما كانا يريدان التخلص من المسئولية فى حالة فشل الحركة والقبض عليهما .

وردى على ذلك .. أنه بالنسبة لأى من أعضاء « لجنة القيادة » لم يكن هناك أى مجال للتخلص من المسئولية فى حالة الفشل ، وخاصة بالنسبة لشخص كجمال عبد الناصر الذى تورط أمام أعداد كبيرة من الضباط بصفته المسئول الأول عن الحركة ، أما ارتداء الملابس المدنية فيمكن فهمه وفهم مبرراته ، فعبد الناصر وعامر لم يكن لديهما قوات ليتحركا بها ، ورغبة منهما فى التحرك بحرية ولضمان الاتصال بأية قوات ، وإبلاغها بضرورة مهاجمة مبنى قيادة الجيش فقد كان من الطبيعى أن

يرتديا ملابس مدنية ، فالتحرك بملابس عسكرية كان مستحيلا فى ليلة كهذه ، خاصة وأنهما يعلمان جيدا أننا أصدرنا تعليمات بمنع تحرك الضابط من رتبة بكباشى فما فوق .

□ أما المسألة الثالثة التى يستشعر ضميرى ضرورة أن أدلى بشهادتى فيها فهى دور محمد نجيب ، وقد حاول البعض أن يقلل من دور محمد نجيب ، وأن يدّعى أنه ظل فى بيته حتى انتصرت الحركة فأتى لينتزعها ، والحقيقة غير ذلك .

لقد رغب نجيب فى أن يشاركنا التحرك منذ اللحظة الأولى ، وعندما علم أننا وضعنا خطة التحرك طالب بالمشاركة فى تنفيذها ، لكننا كنا نريد أن نبعده عن أى مشاركة فعلية عن عمد لنضمن سلامته حتى يمكنه فى لحظة انتصارنا أن يتولى القيادة .

هو إذن كان يريد ويصمم أن يشاركنا المسئولية والمخاطرة ولم يبخل بشىء ، لكننا وعن عمد قررنا أن ندخره بعيدا عن المخاطرة ، وكنا على حق فى ذلك ، ثم إنه كان الوجه الذى قُدم للعالم وللشعب المصرى كقائد للحركة العسكرية التى استولت على الحكم فى البلاد ، وتحمل المسئولية العسكرية والسياسية أمام الجميع ، وأى تراجع أو نكسة ليوليو فى أيامها الأولى أو ساعاتها الأولى كان سيضع على عاتق نجيب المسئولية الأولى التى لا مجال للتخلص منها ، خاصة وأن صحف يوم ٢٤ يوليو قد صدرت بعناوين كبيرة تقول : محمد نجيب يقوم بحركة عسكرية .

.. إنها شهادتى للتاريخ فى الوقائع الثلاث ، أقدمها مستندا إلى الحقائق المجردة عن الهوى ، وأقررها بضمير مرتاح تماما لأنه لا يجد مبررا للتلاعب بأحداث التاريخ فى محاولة لتصفية حسابات سياسية ..

□ □ □

كان صباح ٢٣ يوليو قد أشرق ليجدنا نحن أعضاء « لجنة القيادة » فى وضع غريب ، فلسنا ضباطا عاديين كما كنا .. كما أننا لم نصبح حكاما بعد .

١٢ لم نعد ضباطا.. ولسنا حكاما بعد

* أمى .. لم تكن تحب عبد الناصر .
* وألح جمال سالم على إعدام الملك .
* استقال جمال .. ثم رجع عن استقالته .
* وبكيت لأول مرة .
* وبدأت لعبة .. الحكم .

كم هى المسافة بين لحظة تحركى مع قواتى خارجا من القشلاق ، حتى تلك اللحظة التى أذيع فيها بياننا الأول بالراديو وطائراتنا تحلق فى السماء ؟

هل يمكن حسابها بالساعات أم بالدقائق ؟

أعتقد لا .

هل يمكن القول إنها « وهلة » أو « لحظة » فى عمر التاريخ امتدت فيها يدنا لتقلب صفحة ولتبدأ صفحة جديدة ؟

جرب معى .. أن نقلب صفحة فى هذا الكتاب الآن ، كم من الزمن تستغرق ؟ لا شىء تقريبا لكنها تقدم إليك شيئا جديدا ، فما بالك وأنت تقدم شيئا جديدا لوطنك وشعبك ، شيئا ظللت تحلم به سنين طويلة ، حلما ظللت تنسجه خيطا خيطا ، وتتأنى فى نسجه إلى حد الملل .

وأحاول الآن أن أستعيد وقفتى هناك متحكما فى مفترق الطرق الحاكم لكل من يريد الاتجاه نحو قلب المنطقة العسكرية ، أو نحو مبنى هيئة أركان حرب .

كان نسيم الليل منعشا ، قليلة هى اللحظات التى استطاع التفكير فى أسرتى أن ينتزعنى فيها من بين براثن الزمن الممتد طويلا ومديدا وكأنه يرفض أن يتحرك .

كان طيف زوجتى ، ابنى ، ابنتى المريضة يغلف محاولاتى أن أتناسى كل شىء إلا إنجاح حركتنا ، وكان من الصعب أن أبتعد عن هذا الطيف ، لكنه كان من المستحيل أن أنغمس فيه ، فلو فعلت .. لكان من الصعب أن أتصدى لكل قوة قادمة سائلا بحزم عن « كلمة السر » ، فمع كل سؤال كان هناك احتمال ألا ينطق القادم الجديد بكلمة « نصر » وساعتها سيكون علىّ أن اتخذ القرار الصعب .. أن نتحارب معا .

كان هناك أيضا أمى وأبى ..

أمى كانت تعرف أن ابنها منغمس فى شىء ما ..

كانت الشمس لا تأتى بيتنا فى مصر الجديدة إلا نادرا ، ولهذا كنت أصطحب أسرتى إلى بيت أمى فى المنيل كل شتاء حيث الشمس وفيرة ، وكان قلبها يحدثها أننا نفعل شيئا ، ضباط كثيرون يأتون ، يغلق باب غرفة الصالون .. نتهامس ، نصمت عندما يدق الباب معلنا أن الشاى جاهز ، ولم يكن قلبها مرتاحا لما يجرى لكنها أبدا لم تعترض ، فقط لم نكن نبدى حبا لهذا الضابط الطويل ، المتجهم دائما ، الصامت لدى دخوله وخروجه .. جمال عبد الناصر .

كان ثمة شيء يحدثها أن هذا الرجل يرتب شيئا ما مع ابنها ، وكانت تخاف منه ومن هذا الشيء .

ثم أتت حركتنا وهى فى منتصف رحلتها بالبحر إلى تركيا ، تناقل الركاب نبأ الانقلاب الذى سمعوه بالراديو ، أبدت هلعا فى البداية ، ثم بدأت تلح على التفاصيل : **هل نجحوا ؟ كيف ؟ ومن هم ؟**

كان ثمة إحساس يغمرها أننى هناك ، مع هؤلاء الذين فعلوها ، استعادت كل هفواتنا الصغيرة التى يمكن أن يتجمع منها خيط يوحى بأننا كنا نرتب لشيء ما .

والركاب المحيطون بها أرستقراطيون ، لم يستطيعوا إخفاء عدائهم للحركة ، هاجمونا بشدة وانتقدوا بشدة حنينها لأن نعرف هل نجحت الحركة ، وارتياحها لدى سماعها أنباء النجاح .

كانت واثقة فى أعماقها أننى ضمن هذا الفريق ، ولم تهمها نظرات الغضب الاستفزازية من المحيطين بها من الأرستقراطيين .

أما أبى فقد أيقظوه من النوم وهو فى كفر شكر .. « اصحى يا أمين ده الجيش عمل انقلاب » .

انتفض فزعا وصاح : « وخالد إيه أخباره ؟ » سألوه : « هو خالد بيه معاهم ؟ » .

عاد الأب إلى حرصه فلعل شيئا سيئا يقع فهل يفشى هكذا سر ابنه .. فلاشك أن الأم قد همست فى أذنه بملاحظاتها .

لكن الغريب أن أحدا منهما لم يقف فى طريقى ، ولم يعترض على ما أفعل ، تماما كما فعلت زوجتى .

□ □ □

فى السادسة صباحا كان انتصارنا الأول قد تأكد ، قطاعات الجيش المختلفة كانت تعلن ولاءها للحركة ، كمال رفعت وأمال المرصفى كانا يواصلان اعتقال قيادات الجيش وفق الكشوف المعدة مسبقا ، التعليمات صدرت إلى كل الضباط من رتبة بكباشى فما فوق أن يلزموا منازلهم لحين صدور أوامر لهم .

كل شيء فى الجيش أصبح تحت سيطرتنا ، وآن لى أن استريح قليلا ، ولكن هل استريح قبل أن يستريح جنودى ؟ عدت بهم إلى الفشلاق بعد أن حلت محلهم قوات جديدة .

وعدت إلى البيت لأنام قليلا ..

وأعود بعد الظهر إلى مبنى أركان حرب ، حيث كان نجيب جالسا فى موقع القائد .

.. كان المكان كخلية نحل ، والأخبار تتوالى ، قوات رفح تمت السيطرة عليها وأعلنت انضمامها إلى الحركة ، كذلك قوات العريش ، وقوات السويس ، لكن الخبر الأكثر أهمية كان السيطرة على قوات الجيش بالاسكندرية وإعلانها الانضمام للحركة ، « ففاروق » كان هناك ، ولعل جزءا من حساباته كان الاعتماد على قوات الاسكندرية فى مقاومتنا .

لكن مصر كانت ناضجة تماما للتحرك ، وكذلك الجيش فلم يكن بإمكان أحد أن يقف مع « فاروق » .

الجماهير فى الشارع نهتف للحركة ، وبدأت برقيات التأييد فى الوصول : برقية من هيئة التدريس فى جامعة الاسكندرية ، وبرقيات من عديد من النقابات ، وازددنا شعورا بالثقة .

الضابط طيار مصطفى صادق - عم الملكة ناريمان - اتصل بنجيب يسأل عن طلباتنا ، وتقدمنا بأول طلب : عزل قائد الجيش وتعيين قائد جديد منا ، وأسرع الملك المنهار بإصدار مرسوم بترقية محمد نجيب إلى رتبة فريق وتعيينه قائدا للجيش ، وعاد مصطفى صادق ليسأل : ماذا نريدون أيضاً ؟ طلبنا إقالة وزارة الهلالى وتشكيل وزارة برئاسة على ماهر ، فوافق على الفور ، ثم طالبنا بإبعاد حاشية الملك : كريم ثابت أندراوس ، محمد حسن .. وبولى ، وكان الرد بالموافقه ما عدا بولى .

وأصبح واضحا لنا تماما أن الملك مستسلم ومنهار ، وأنه يفتقد أى سند داخلى أو خارجى ، وانضح أن حساباتنا بشأن التدخل الأجنبى كانت صائبة ، فلا الانجليز ولا الأمريكان كانوا راغبين فى التورط فى مساندة ملك يكرهه الناس جميعا .

وطوال يوم ٢٣ ونهار ٢٤ يوليو كان التأييد الشعبى يتعاظم بصورة لم نكن نتوقعها ولم يكن يتوقعها أحد ، وفى مساء ٢٤ يوليو اجتمعنا فى لقاء سريع .

ها نحن نجتمع كحكام ، لكننا فى واقع الأمر لم نصبح حكاما بعد ، ليس فقط لأن القرارات كانت لم تزل تصدر باسم الملك ، وإنما أيضا لأننا لم نكن نعرف وعلى وجه التحديد كيف سنمارس الحكم ؟

□ □ □

.. وسيطر علينا سؤال كبير : كيف نتصرف إزاء الملك ؟ وسيطرت أيضاً إجابة حاسمة صنعها إصرارنا القديم على ضرورة الخلاص منه ومن فساده ، وزادها يقيننا هذا الحماس الدافق المؤيد لنا فى كل مكان ، ومنحها الشجاعة الكافية هذا الانهيار الذى اتسمت به تصرفات الملك واستعداده للموافقة على أى شيء .

« فلنتخلص من هذا الملك ، ولنخلص البلد منه ومن فساده » ، كانت هذه هى الإجابة الحاسمة التى صدرت بالإجماع .

وقررنا أن يسافر إلى الاسكندرية لتنفيذ هذه العملية : زكريا محيى الدين ، حسين الشافعى ، عبد المنعم أمين ، يوسف صديق ، وجمال سالم (الذى عاد من العريش يوم ٢٤ يوليو) ..

وتحركت إلى الاسكندرية قوات كبيرة بالقطار والسيارات لتعزيز الموقف هناك ، ولإثبات إصرارنا على مطلبنا .

كما تم إيفاد البكباشى عبد الرؤوف نافع من « الضباط الأحرار » إلى الاسكندرية لضمان تأييد البحرية ، فقد كانت له صداقات عديدة فى البحرية .

أما أنا فقد عدت إلى « الفرسان » ، لم أطلب منصبا ، طلبت فقط أن أبقى مع رجالى وزملائى وتقرر أن أعمل كضابط مخابرات سلاح الفرسان ، وكان مفهوما منذ البداية أننى لن أعمل كضابط مخابرات تقليدى ، وإنما سأمارس نشاطا سياسيا فى السلاح من خلال تفرغى لهذا الموقع ، وكان هذا طبيعيا فقد كان حسين الشافعى أعلى رتبة منى ، ولم يكن بالإمكان أن أتولى فى « الفرسان » موقعا أعلى منه أو أدنى منه بينما انا عضو فى « لجنة القيادة » ، التى أصبحت بشكل أو بآخر تمثل سلطة السيادة فى مصر .

واختير الضابط عبد الفتاح على أحمد ليعمل كمساعد لى .

قضيت طوال يوم ٢٥ يوليو متنقلا بين السلاح وبين قيادة الجيش ، وفى المساء عدت إلى البيت لأمر هام ، ولكن اتصل بى مساعدى ليبلغنى أن جمال عبد الناصر يطلب منى التوجه إلى القيادة .

توجهت إلى القيادة مسرعا (الآن أصبح لدىّ سيارة جيب ، وكانت كل ما طرأ على وضعى من تغيير) . هناك كان جمال سالم متحمسا كعادته ، كان قد عاد من الاسكندرية بالطائرة ، فقد اختلف مع زملائه الذين سافروا معه لإنجاز مهمة إبعاد الملك ، فجمال سالم بشخصيته المتفجرة ما لبث أن اشتعل حماسا عندما رأى التأييد الجارف للحركة فى الاسكندرية ووسط القوات المسلحة هناك وطالب بإعدام الملك فورا ، وعندما رفض زملاؤه المسافرون معه هذا الاقتراح أتى إلى القاهرة ليطرح الأمر علينا . وبدون تردد أعلنت رفضى لقتل الملك ، وقلت إن القتل سيفتح الطريق إلى العنف ، ولقد نجحنا فى إنجاز حركتنا بلا دماء ، فكيف نصبغها بالدم بعد نجاحها ، وقلت إن الملك لم يعد يساوى شيئا فلنتركه يرحل .

وكان جمال عبد الناصر أيضا ضد إعدام الملك . وتجمعت أصوات كافية لإحباط اقتراح جمال سالم ، وعاد فى نفس الليلة إلى الاسكندرية ليجرى تنفيذ القرار السابق .. عزل الملك عن العرش ، وإبعاده إلى خارج البلاد .

□ □ □

وفى تمام الساعة السابعة صباحا من يوم ٢٦ يوليو كانت قواتنا تحاصر قصرى المنتزه ورأس التين بهدف إظهار القوة والضغط على الملك ، وكانت هذه القوات تحت القيادة الفعلية لزملائنا ، أما نحن الذين بقينا فى القاهرة فقد كانت مهمتنا ضمان استمرار السيطرة على القوات المسلحة .

طارت طائراتنا فوق الاسكندرية لتروع الملك ، ولتستكشف البحر خوفا من أن يهرب الملك على ظهر يخته « المحروسة » أو أية سفينة أخرى قبل أن يتنازل عن العرش ، فيضعنا فى مأزق دستورى .

وبعد أن تمت السيطرة الكاملة على المدينة ، وعلى قواتها المسلحة ، وإتمام الحصار على قصرى المنتزه ورأس التين ، بدأت الخطوة التنفيذية لطلب تنازل الملك عن العرش .

وكنا قد استدعينا سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة وكان قريبا من الحزب الوطنى ، وصديقا لمحمد نجيب ، لكننى لا أتذكر من الذى اقترح اسمه علينا ، فمنذ اللحظة الأولى



□ دبابة خفيفة أمام قصر المنتزه يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .

التى أصبحنا فيها مؤهلين لإصدار قرارات أحسسنا بالحاجة إلى شخص ما يصوغ هذه القرارات بشكل قانونى ، ويضمن لنا دستورية ما نصدره من قرارات ، ولعل هذا كان موقفا حكيما منا ، فكم كان من السهل علينا أن نصدر ما نريد من قرارات حتى ولو بدت فى أعين رجال القانون غير دقيقة أو غير قانونية .

وقدم لنا سليمان حافظ صيغة التنازل عن العرش المطلوب من الملك أن يوقع عليها قبل الثانية عشرة ظهرا ، وأن يتعهد بمغادرة البلاد قبل السادسة مساء مصطحبا معه حاجياته الشخصية وأفراد عائلته ، وكان د . عبد الرازق السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة هو الذى أعد هذه الصياغة .

والحقيقة أننا أعددنا وثيقتين وليس وثيقة واحدة : إنذارا ، وصيغة وثيقة التنازل .

أما الإنذار فكان عنيفا وحادا :

« من الفريق أركان حرب محمد نجيب ..

باسم ضباط الجيش ورجاله إلى جلالة الملك فاروق الأول

إنه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة ، عمت جميع المرافق نتيجة لسوء تصرفكم وعبثكم بالدستور ، وامتهانكم لإرادة الشعب ، حتى أصبح كل فرد لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته وقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم لتماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون ينعمون فى ظلكم بالحماية والثراء الفاحش .. »

ويمضى الإنذار منددا بتدخل الملك فى تحقيقات قضية الأسلحة الفاسدة .. « مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة ، وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فأثرى من أثرى ، وفجر من فجر ، وكيف لا والناس على دين ملوكهم ..

لذلك فقد فوضنى الجيش الممثل لقوى الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة .. من ظهر يوم السبت الموافق ٢٦ يوليو ٥٢ والرابع من ذى القعدة ١٣٧١ هجرية ، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه . والجيش يحمّل جلالتكم ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج .

توقيع : فريق أركان حرب

محمد نجيب »

أما وثيقة التنازل عن العرش فقد أعدها السنهورى باشا فى صيغة أمر ملكى يستند فى عباراته إلى الدستور .. وكانت الصياغة موجزة ومحكمة :

« أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول

ملك مصر والسودان

لما كنا نطلب الخير دائما لأمتنا ، ونرتجى سعادتها ورقيها ، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ، ونزولا على إرادة الشعب ، قررنا

النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد ، وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء لعمل اللازم .

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة ١٣٧١ هـ - ٢٦ يوليو ٥٢ »

.. وذهب ممثلو الحركة إلى على ماهر وكان بالاسكندرية ، وطلبوا إليه أن يحمل الوثيقتين إلى الملك وأن يطلب إليه التوقيع على وثيقة التنازل .

صعق على ماهر وامتقع وجهه وأصبح شديد الاصفرار ، ورفض أن ينقل إلى الملك الوثيقتين ، ووعد بأن ينقل طلب التنازل إلى الملك شفويا ، وبعدها يقوم شخص آخر بالحصول على توقيع الملك على التنازل ، ويبدو أن على ماهر قد فوجىء بهذا الأمر مفاجأة تامة ، شلت قدرته على التصرف وهو السياسى المحنك .

ذهب على ماهر إلى قصر رأس التين ، وعاد ، وبعدها توجه سليمان حافظ يحمل الإنذار بيد ووثيقة التنازل باليد الأخرى .

قرأ الملك ويده ترتعش وثيقة التنازل وقال : أنا أريد إضافة كلمة واحدة .. فالوثيقة تقول : « ونزولا على إرادة الشعب » واقترح أن أضيف كلمة « وإرادتنا » ، لكن سليمان حافظ - وكان جافا بطبعه - نصحه بأن يوقّع على الوثيقة كما هى ودون أى تعديل ، وألمح إلى وجود وثيقة أخرى أشد لهجة ، فقال فاروق : أفهم من هذا أن هناك وثيقة أخرى .. فهل يمكن أن أطلع عليها ؟ لكن سليمان حافظ قال إنه شخصيا لم يطلع عليها وأنها ليست معه .

أخيرا أمسك الملك القلم بيد شديدة الارتعاش ليوقع على وثيقة تنازله عن العرش ، كانت يده تهتز بما هو أكثر من الارتعاش فجاء توقيعه مهتزا ، واعتذر سليمان حافظ طالبا من الملك أن يوقع بشكل أكثر ثباتا ، تماسك فاروق ووقع ثانية توقيعا أكثر ثباتا .

وهكذا وربما فى حدث تاريخى لم يسبق له مثيل ، فإن وثيقة تنازل فاروق عن العرش تحمل توقيعين وليس توقيعا واحدا .

كنت فى هذه الأثناء اتنقل بين القشلاق ومقر القيادة ، وعلمت أن الملك قد وقّع على وثيقة التنازل ، وطلب إلىّ جمال عبد الناصر أن أسافر إلى الاسكندرية قبل السادسة لأحضر عملية رحيل الملك ، لكننى اعتذرت فقد كان المرض يشتد على ابنتى ، وكان موعدنا مع طبيبها فى السادسة والنصف .

أسرعت إلى البيت ، تناولت طعامى هادئا ولم أقل لزوجتى أى شىء ، نزلنا قبل السادسة بقليل ، وركبت سيارتى التى اشتريتها فور مرض ابنتى ، أى قبل حركتنا بأيام ، فقد كنا فى حاجة إلى الذهاب للطبيب كثيرا ولا مفر من شراء سيارة ، واشتريت سيارة صغيرة وقديمة بمائة وخمسين جنيها .. نعم مائة وخمسون جنيها !

ركبنا السيارة وعندما اقتربت الساعة من السادسة قلت لزوجتى : سأسمعك خبرا ، وفتحت راديو السيارة وبدأ المذيع يهدى إلى مصر كلها نبأ تنازل الملك عن العرش .

انسابت الدموع من عينى وفيما كانت زوجتى تتفجر فرحا فوجئت بدموعى ، وسألتنى فى دهشة : **هل كنت تعرف الخبر ؟ قلت : نعم ، فقالت : لماذا الدموع إذن ؟**

وكانت الإجابة صعبة للغاية ، هل أحكى لها قصة الحلم الذى عشنا على أمل أن يتحقق ، أم أحكى لها قصة كفاح طويل خاضه شعب مصر حتى تحقق له هذا الحلم ، أم أتحدث عن طموحات المستقبل والعبء الثقيل الذى ينتظرنى ؟

ولم أجب ، فقط قلت لها : أصل أنا فرحان قوى .

□ □ □

وكنت قبل الدخول فى مرحلة الإعداد النهائى لحركتنا قد استأجرت شقة فى الاسكندرية لنقضى أجازة الصيف فيها ، وكان صاحب الشقة قد طلب أن أذهب يوم ٢٨ يوليو لأستلم الشقة ، واصطحبت أسرتى إلى الاسكندرية وقضيت يوما واحدا معهم وعدت مسرعا إلى القاهرة لأجد « الدنيا مقلوبة رأسا على عقب » ، كنت قد سمعت وأنا فى طريق عودتى نبأ تشكيل مجلس الوصاية ، وفيما أنا متجه لمقابلة جمال عبد الناصر كان الجميع يسألوننى : أنت كنت فين احنا قلبنا الدنيا عليك (ولم نكن قد تعلمنا بعد أصول لعبة كبار المسئولين حيث يتعين أن يبلغ كل منا بمكان وجوده حتى يمكن الاتصال به فى أية لحظة) .

سألنى جمال نفس السؤال : « انت كنت فين ؟ » وقال نفس العبارة : « احنا قلبنا الدنيا عليك ».وبدأ جمال يحكى لى قصة أول خلاف حقيقى بين رجال الثورة ، وقصة أول تلويح له بالاستقالة .

.. القصة بدأت عندما دخل الضباط إلى دهاليز الحكم المعقدة ، وتعقيدات المشاكل الدستورية والفقهية ، فقد اتضح أن الدستور لا يتضمن أى نص يفيد إمكانية تنازل الملك عن العرش ، فقد أورد الدستور حالتين فقط ، أوردهما حصرا ، هما المرض والوفاة ..

ووقع الجميع فى المأزق ، فقد كان من الضرورى أن يدعى مجلس النواب ليصادق على قرار التنازل ، وعلى تشكيل مجلس الوصاية على العرش ، واقترح البعض دعوة مجلس النواب لإنجاز هذه المهمة ثم يحل على الفور ، ذلك أن استمراره سوف يعنى عودة حكومة الوفد فورا .

لكن وحيد رأفت أفهم الضباط أن دعوة مجلس النواب ثم حله ، سيعنى وفق أحكام الدستور ضرورة إجراء انتخابات نيابية فى ظرف ستين يوماً .

وكان رأى وحيد رأفت بمفرده أمام مستشارى مجلس الدولة أن التنازل مثل الوفاة والمرض لأن الدستور ملكى لا يمكن أن يأتى فيه التنازل ، ولذلك كان لابد من تطبيق حالة التنازل مثلها مثل المرض والوفاة ، أى دعوة مجلس النواب لإقرار الوصاية ، أما باقى المستشارين فقد كان رأيهم أنها حالة جديدة تستدعى وضعا جديدا يمكن فيه اعتبار مجلس الوزراء هو السلطة التشريعية ، وهو الذى يعين مجلس الوصاية نيابة عن مجلس النواب .

.. وأسقط فى يد البعض .

عبد الناصر قال إنه يوافق على دعوة مجلس النواب ثم حله ، ودعوة الناخبين لانتخاب مجلس جديد وفق أحكام الدستور خلال ستين يوما ، ولكن ضباط المدفعية والطيران وقفوا ضد هذه الفكرة بشدة ، وقالوا بصراحة إنهم قاموا بالحركة ولن يسلموها للآخرين جاهزة .

حاول عبد الناصر أن يفهمهم أننا التزمنا أمام أنفسنا ، وأمام ضباط الجيش ، وأمام الشعب ، باحترام الدستور ، واحترام الحياة النيابية ، لكنهم تكاتفوا ضده ، ووجد عبد الناصر نفسه وحيدا فى مواجهة ما يشبه الإجماع .

وكان يعرف أننى سأقف معه بالقطع ، ولهذا قلب الدنيا بحثا عنى .

وعندما وجد عبد الناصر نفسه وحيدا أعلن أنه سيستقيل وترك الاجتماع إلى بيته ، وأسرعوا خلفه ، وعاد عبد الناصر لكنه عاد متنازلا عن فكرته .

وسألت عبد الناصر فى دهشة : ولماذا تراجعت عن وجهة نظرك ، فهى وجهة النظر الصحيحة ؟ قال : أصل الحقيقة وجدت أن المسألة لا تستحق أن ننقسم بشأنها ، ومش ضرورى نعمل انتخابات بعد شهرين ممكن بعد ثلاثة أو أربعة ، وقال : لاحظ أن احنا عندنا مشاكل ، فرشاد مهنا بدأ يرجّع المدفعية ويكتلها وراءه ، وعبد المنعم أمين

(مدفعية أيضا) « لسه جديد معانا ومش مضمون » ، فأنا قلت أتراجع حتى نعيد الإمساك بالخيوط فى أيدينا .

وأراد عبد الناصر أن يتخلص من نفوذ رشاد مهنا فى المدفعية وفى الجيش عموما ، فقرر أن يعينه فى مجلس الوصاية على العرش ، وكان بذلك يرضى غرورا مشحونا ومتأججا عند رشاد مهنا ، لكنهم اكتشفوا أن الدستور يشترط أن يكون عضو مجلس الوصاية وزيرا ، فعُين وزيرا ثم عينه مجلس الوزراء فى مجلس الوصاية .

وهكذا بدأت حسابات السلطة تتدخل فيما بيننا ..

تلك الحسابات التى كان جمال عبد الناصر أول من مارسها ، وأكثر من أتقنها .

١٣ من «لجنة القيادة» إلى «مجلس القيادة»

* وضبطنا نجيب ونحن مجتمعون ..
* كيف تشكل مجلس القيادة .
* وتصور رشاد مهنا أنه ملك فعلا .
* السنهورى وسليمان حافظ وعلى ماهر ضد الانتخابات .

.. وكان لابد أن نجتمع معا لنقرر خطواتنا المقبلة .

فى الماضى .. كنا نجتمع فى منازلنا ، ولم يعد هذا ملائما . ولكن كيف نجتمع ؟ وأين ؟ وبأية صفة ؟

رتب جمال عبد الناصر الأمر ، أخلى غرفة فى مقر قيادة الجيش ، وأوقف عليها حراسا من « الضباط الأحرار » ، واجتمعنا .

قليلون هم الذين كانوا يعرفون أسماء « لجنة القيادة » ، وكثيرون هم الذين كانوا يتطلعون إلى الجلوس الآن فى « مجلس القيادة » ، البعض عن حق بسبب ما أداه للحركة ، أو ما أداه ليلة الحركة ، والبعض تعبيرا عن تطلع ذاتى ، ومن ثم كان اجتماعنا يشكل حرجا شديدا لنا إزاء الآخرين .

وأول مظاهر هذا الحرج كان العلاقة بالقائد الجديد للجيش والذى برز أمام الجميع كقائد للحركة : الفريق محمد نجيب (وبالمناسبة تنازل الفريق نجيب عن رتبته الجديدة واكتفى برتبة اللواء) .. فكيف ستكون العلاقة معه ؟ وهل سنجتمع لنتخذ قرارات ثم نبلغها له ؟ وهل سيقبل منا ذلك ؟ المهم عند اجتماعنا الأول فاجأنا جمال عبد الناصر بحركة رومانسية غير متوقعة أعلن فيها استقالته من قيادة اللجنة ، قال : لقد نجحت الحركة ، وسيطرنا على الجيش ، وطردنا الملك ، ولهذا فإننى أقدم استقالتى كى تنتخبوا قائدا جديدا . وكان طبيعيا أن نعيد انتخابه .. وبالإجماع .

وبدأت تواجهنا مشاكل عديدة . لعلها لم تكن فى حسباننا عندما أطلقنا العنان لقواتنا قبل منتصف ليلة ٢٣ يوليو .

هل ستبقى « لجنة القيادة » كما هى ؟ أم نوسعها .. ؟ وبمن ؟

وبينما كنا مجتمعين فتح الباب ودخل محمد نجيب ، كان يبحث عن صلاح سالم فوجدنا معا ، كان الموقف بالغ الحرج للجميع ، طلبنا منه أن يجلس معنا وواصلنا الاجتماع .

ثم عقدنا جلسة مغلقة حضرناها نحن التسعة أعضاء « لجنة القيادة » ، وطرح جمال فكرة ضم بعض الضباط إلى اللجنة ..

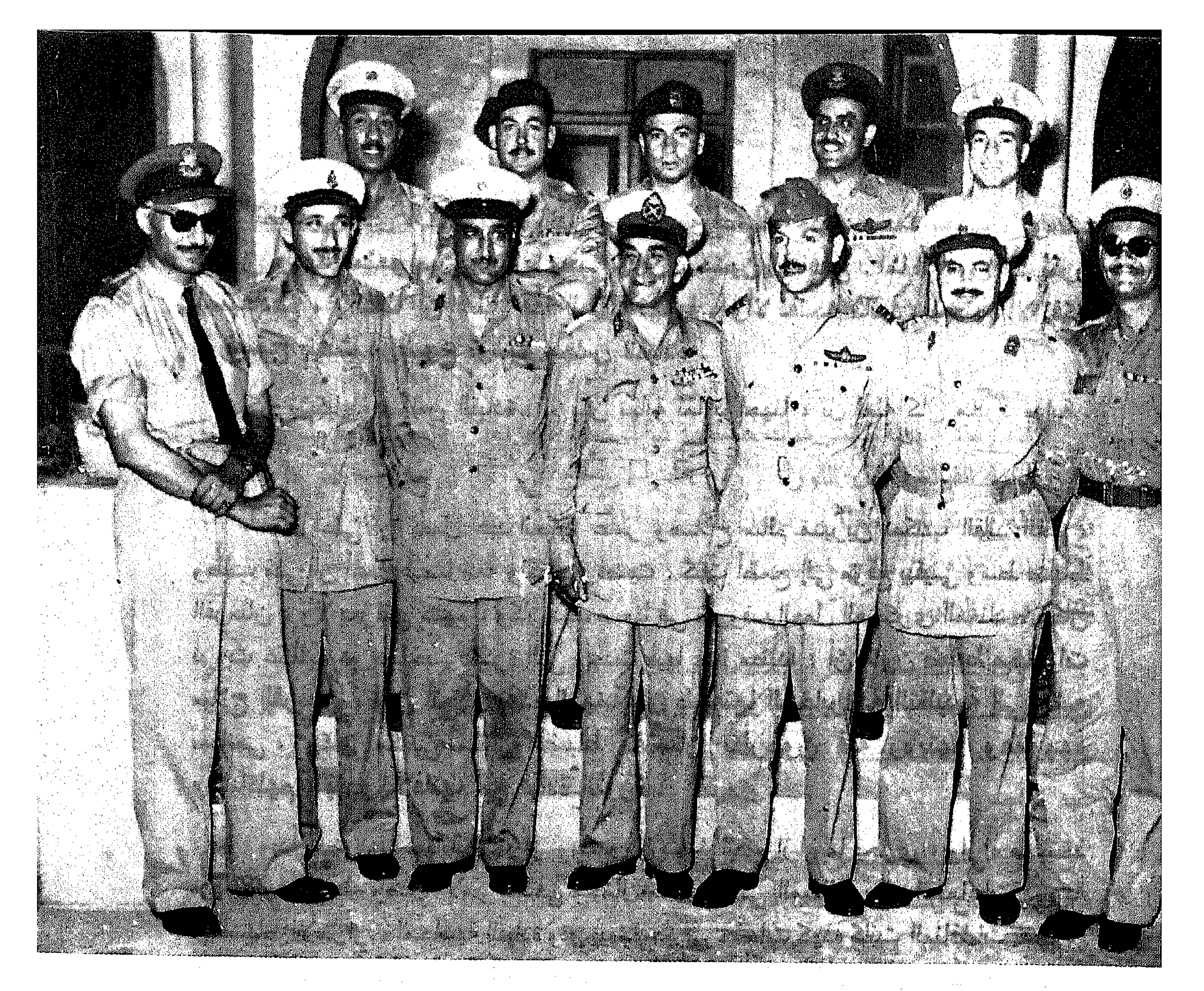
كان هناك محمد نجيب ووجوده معنا ضرورى . واقترح جمال ضم يوسف صديق ، فهو الذى لعب دورا هاما ليلة الثورة ، وأبدى شجاعة فائقة (وأود هنا أن أقرر أن يوسف صديق قد ضُم إلى مجلس القيادة بسبب دوره الشخصى ، وليس لأسباب سياسية أو بسبب كونه شيوعيا ، بل لعل جمال لم يكن يعرف حتى ذلك الحين أن يوسف صديق شيوعى) .. وكان جمال يقول : مش معقول الراجل عمل هذا العمل المجيد وكل يوم يشوفنا ندخل غرفة ونقفل علينا .. ولا ندعوه ، وكان هناك أيضا زكريا محيى الدين ، وقد لعب دورا هاما هو الآخر ، وهناك أيضا حسين الشافعى ، فقد كان صاحب دور هام فى تحريك سلاح الفرسان ، وكان وجوده خارج القيادة يسبب حرجا شديدا لى سواء من الناحية الشخصية أو على المستوى العسكرى ، ذلك أنه كان أعلى رتبة منى .. وكان هناك أيضا عبد المنعم أمين ، وثروت عكاشة بدوره البارز فى التنظيم منذ قيامه ، وآخرون كانوا يتطلعون إلى مقعد فى القيادة بسبب ما أدوه من دور ليلة الثورة . ولم يكن واضحا فى ذهن الكثيرين أن ثمة « قيادة » قديمة قامت بتشكيل التنظيم والتخطيط للحركة ، كانوا ينظرون إلى أدوار البعض ليلة الثورة وحسب .. ومن هؤلاء الذين لعبوا دورا بارزا ليلة الثورة : إبراهيم الطحاوى ومجدى حسنين وآخرون غيرهما ، ومن ثم طُرحت أسماؤهم أيضا .

وبلغ بنا الحرج مبلغه ، فنحن زملاء وأصدقاء ، كذلك كان هناك الكثيرون الذين قاموا بدور شجاع ليلة الثورة ولا يمكن ضمهم جميعا .

وكان وضع ثروت عكاشه يشكل حرجا بالغا لنا ، ولى شخصيا ، فقد شاركنا منذ الأيام الأولى وأسهم فى بناء التنظيم بحماس وفعالية ، ولعب دورا بارزا ليلة الثورة ، وقال جمال : أنا سأعالج الأمر معه ، وبالفعل ناقشه جمال بطريقة ملتوية مؤكدا أنه يستحق أن يكون فى القيادة ، وأنه واثق من إخلاصه للثورة ، وأن هذا الإخلاص يدفعه بالطبع إلى عدم التمسك بالمناصب ..

وهكذا ظل جمال يحاوره حتى انتزع منه كلمة « اعتذار » عن قبول موقع فى القيادة ، واكتفى جمال بالكلمة وتمسك بها ، بينما ندم عليها ثروت فيما بعد .

وأخيرا توصلنا إلى تشكيل جديد « لمجلس القيادة » راعينا فيه دور بعض الضباط



□ مجلس قيادة الثورة
فى الصف الأول : من اليمين لليسار:صلاح سالم ، كمال حسين ، عبد اللطيف بغدادى ، محمد نجيب ، جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، جمال سالم .
فى الصف الثانى من اليمين : زكريا محيى الدين ، حسن إبراهيم ، خالد محيى الدين ، حسين الشافعى ، أنور السادات .

البارز فى الحركة ، ودورهم المقبل فى أسلحتهم ، وراعينا أيضا تمثيل الأسلحة المهمة .

وتكون « مجلس القيادة » من ١٤ عضوا :

الأعضاء التسعة للجنة القيادة القديمة : جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، صلاح سالم ، جمال سالم ، أنور السادات ، كمال الدين حسين ، حسن إبراهيم ،

عبد اللطيف بغدادى ، خالد محيى الدين - وخمسة أعضاء جدد : **محمد نجيب ، يوسف صديق ، عبد المنعم أمين ، زكريا محيى الدين ، حسين الشافعى . أما الباقون فقد تقرر استبعادهم ، واتفقنا أن نغلق هذا الملف نهائيا ، وألا نفتحه ثانيا ، بمعنى ألا نفكر أو نسمح ببحث موضوع توسيع مجلس القيادة .**

لكن تشكيل « مجلس القيادة » لم يكن نهاية لما يواجهنا ، بل لعله كان مجرد بداية .

□ □ □

اتفقنا على أن يعمل عبد الحكيم عامر وصلاح سالم مديرين لمكتب القائد العام ، وطُلب منى أن أعمل أيضا معه ولكننى رفضت ، كنت أطمح إلى موقع يبقينى وسط ضباط الفرسان ، ولا يعزلنى عنهم ، وكان ذلك صعبا فى ظروف العمل العسكرى المعتاد ، وكان ثروت عكاشه هو صاحب الفكرة التى وجدت فيها حلا سعيدا : **أن أكون ضابط مخابرات سلاح الفرسان ، وأن أتحول بهذه المهمة من طبيعتها المخابراتية التقليدية إلى طابع سياسى ، وكان مكتبى ملتقى لضباط الفرسان يطرحون فيه رؤيتهم وهمومهم ومشاكلهم ، بل وخلافاتهم مع قيادة الثورة .**

وبدأ بعض « الضباط الأحرار » يشعرون بمسئوليتهم إزاء ما يجرى ، وإزاء ما نتخذ من قرارات ، بل وصل الأمر بكفافى وجمال منصور إلى المطالبة بعقد اجتماعات دورية « للضباط الأحرار » لمحاسبة القيادة وتوجيهها ، وفى جلسات كهذه كانت المناقشات تتطرق إلى موضوعات حساسة وربما تجاوزت الحدود المفترضة ، الأمر الذى سبب لى حرجا شديدا مع زملائى فى « مجلس القيادة » ، وكان بداية لحساسيات ، تفاقمت فيما بعد . **بالمناسبة لم يشترك جمال منصور وكفافى ونصير فى ليلة الثورة ، فقد كانوا فى أجازة ولم أستدعهم للاشتراك معنا ، وكان صاحب فكرة عدم استدعائهم جمال عبد الناصر الذى أكد أنهم سوف يثيرون كثيرا من الأسئلة والاستفسارات عن الاستعدادات والترتيبات ومدى ملاءمتهاوكفايتها .. الخ ، وقال إن الوضع لا يحتمل مثل هذه الأسئلة وهذا الجدل من أناس يريدون أن يكون كل شىء مثاليا قبل التحرك - وكان حسين الشافعى حاضرا المناقشة ـ ووافقت على ذلك . وهكذا تركتهم فى الأجازة ولم أستدعهم للمشاركة .**

والحقيقة أننى وبسبب تكوينى الشخصى كنت راغبا فى الاستمرار مع الضباط ، وطبعا كنت أحمل شكاواهم وطلباتهم ، وحتى طلبات أقاربهم ، وطلبات بعض أبناء كفر شكر لمحاولة إيجاد حلول لها فى الوزارات المختلفة ، وغضب عبد الناصر وكان يعاتبنى

مؤكدا أن وضعى كعضو فى « مجلس القيادة » لا يسمح لى بذلك ، لكننى كنت أعتقد أنه لا قيمة لوضعى هذا إذا لم أوظفه لحل مشكلات زملائى الضباط ، وخاصة الذين خاضوا معى الأيام الأولى لحركتنا .

□ □ □

.. ومنذ البداية كانت هناك حساسية بدأت تتفاقم فيما بعد ، فمحمد نجيب لم يكن معنا فى « لجنة القيادة » قبل الثورة (وإن كنت لا أزال أقرر أن الرجل قد قدم لنا اسمه ، ومستقبله ، وتضامن معنا ، وتحمل المسئولية عن عمل لم يعرف تفاصيله ، ولم يبال بما قد يترتب عليه من نتائج خطيرة) ، لكن الحساسية تبقى ، خاصة عندما يحاول نجيب أن يلعب دور الرئيس .

وبدأت الحساسية تتزايد عندما كتب أنور السادات مقالا فى « الأخبار » عن « سر الضباط التسعة » ، وبدأ الحديث عن قدامى القيادة والوافدين إليها ، وكان الأكثر حساسية هو نجيب ، خاصة عندما كتب مصطفى أمين عن القائد الخفى لحركة الضباط ملمحا إلى عبد الناصر .

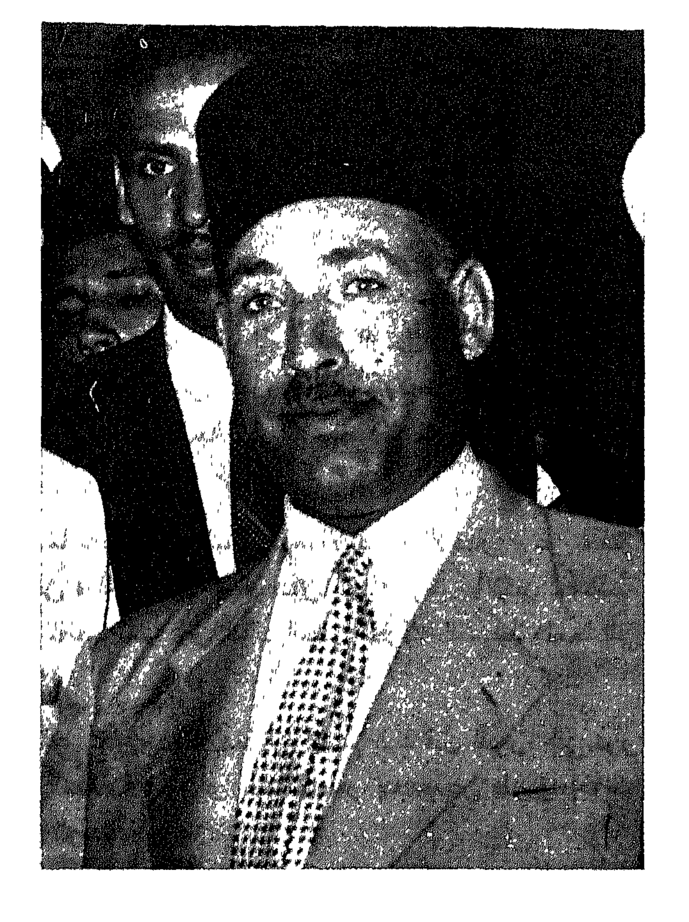
وكان هناك أيضا رشاد مهنا ، وكان يتطلع منذ أن انضم إلينا قبل الثورة إلى دور قيادى ، وكان يمتلك ثقلا هاما فى المدفعية ، ورأى عبد الناصر إبعاده عن طريق إغرائه بمنصب رفيع هو « عضو مجلس الوصاية » .

وكانت مسألة « مجلس الوصاية » هذه مسألة بالغة التعقيد دستوريا ، كما قلت من قبل ، فوفق القواعد الدستورية لم يكن أمامنا إلا دعوة البرلمان الوفدى ، أو إجراء انتخابات لبرلمان جديد خلال شهرين .

والمثير للدهشة أن أكثر منَ حذرنا من دعوة البرلمان الوفدى أو إجراء انتخابات جديدة كان د . عبد الرازق السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة ، وسليمان حافظ وكيل مجلس الدولة ، كما كان على ماهر رئيس الوزراء ضد دعوة البرلمان وضد إجراء انتخابات جديدة .

وأجهد الفقهاء الدستوريون أنفسهم لإيجاد مخرج ، لم أكن أنا راضيا عنه ، فقد كنت راغبا فى دعوة البرلمان للاجتماع .

وأستعيد هذه الفترة ، وأستشعر لا معقولية موقفى هذا ، فكيف يمكن للضباط أن يتخلوا بمثل هذه السهولة عن الحكم لحكومة وفدية ، خاصة وأن سمعة حكومة الوفد الأخيرة



□ رشاد مهنا

لم تكن فوق مستوى الشبهات ، لكنه حماس الشباب .. ربما ، أو ربما التمسك بالموقف المبدئى فى مواجهة تيار واقعى ينتسب إلى حقائق الحياة .

المهم وصل الفقهاء الدستوريون إلى حل ، وهو أن يعلن أن الانتخابات ستجرى فى فبراير ، وأن مجلس الوزراء بصفته ممثلا للسلطة التنفيذية وللسلطة التشريعية فى غيبة البرلمان ، يعين « مجلس الوصاية المؤقت » .

واتضح أن عضوية مجلس الوصاية يشترط لها أن يكون العضو أميرا من الأسرة المالكة أو وزيرا . وتشكل مجلس الوصاية من الأمير عبد المنعم وبهى الدين بركات ، أما رشاد مهنا فقد عُين وزيرا للمواصلات لأربع وعشرين ساعة ، ثم عُين عضوا فى مجلس الوصاية .

وكم كان رشاد ممتنا ، لقد جاء ليشكرنا والدموع تملأ عينيه ، لكن امتنانه هذا لم يدم طويلا فقد بدأ يستشعر أننا قد قذفنا به إلى أعلى ، إلى منصب لا قيمة فعلية له ، وحاول أن يواجهنا بأن مجلس الوصاية يمتلك سلطة السيادة المخولة للملك ، وعارض الكثير من مواقفنا ، لكنه فى واقع الأمر كان يحارب معركة خاسرة .

كذلك واجهتنا مشكلة السيطرة على القوات المسلحة ..

وقررنا كسبيل لتأمين القوات المسلحة ، إحالة عدد من الضباط إلى المعاش ، أو نقلهم إلى وظائف مدنية .

وكان هذا الأمر طبيعيا ، فقد وجدنا أنفسنا فجأة حكاما لهذا البلد ، واقتنعنا بأن الخطوة الأولى والحاسمة لضمان نجاحنا هى تأمين القوات المسلحة ، وبدأت حركة تغيير ونقل شاملة فى المواقع القيادية فى الجيش .

وقد تابعت هذه العملية فى سلاح الفرسان ، والحقيقة أننا حاولنا أن نكون موضوعيين قدر الإمكان ، ولكن كانت تحكمنا قضية أساسية ، فإذا كان حسين الشافعى قد أصبح قائدا لسلاح الفرسان فلا بد أن نبعد كل الرتب الأعلى منه عن السلاح ، وبطبيعة الحال كان هناك ضباط ممتازون مثل عبد المنعم صالح الذى كان قائدا للآلاى المدرع الذى شارك به حسين الشافعى فى ليلة الثورة ، والحقيقة أن عبد المنعم صالح كان ضابطا وطنيا ممتازا ، وكان يشعر بأننا سنفعل شيئا ما ، وربما أغمض عينيه عنا عمدا ، ولكنه كان من الضرورى أن يترك سلاح الفرسان ، فعُين فيما بعد قائدا للحرس الجمهورى . كما نُقل بعض الضباط إلى قيادة الجيش ، والبعض الآخر إلى العمليات ، وضباط آخرون نُقلوا إلى خفر السواحل ، والجيش المرابط ، والبعض نُقل إلى وظائف مدنية ، والبعض الآخر أحيل إلى المعاش بعد ترقيته إلى رتبة أعلى .

وعلى أية حال تم تأمين سلاح الفرسان تماما بأقل قدر ممكن من الجراح ، فقد راعينا أن نريح الناس قدر الإمكان .

أما فى الأسلحة الأخرى فقد علمت فيما بعد أن الكثيرين قد أضيروا ، وربما كانت هناك عوامل شخصية فى عمليات الإبعاد أو الاستبعاد .

ومن الطبيعى أن يترتب على عملية تأمين القوات المسلحة التى أدت إلى استبعاد العديد من القيادات ، حركة ترقيات واسعة لم تشهد لها القوات المسلحة مثيلا .

لكننى أود أن أتوقف هنا لأوضح مسألة هامة ، فقد كان عبد الناصر يرغب فى تطهير الجيش من الخصوم ، لكنه لم يكن يرغب فى إعطاء أى مساحة جديدة للأصدقاء ، وتحديدا « للضباط الأحرار » ..

ذلك أن عبد الناصر ومنذ البداية بدأ يستشعر حساسية خاصة إزاء « الضباط الأحرار » الذين يتدخلون فى كل شىء ، ويتحدثون بصفتهم أصحاب « الحركة » وصناعها ، وربما كان عبد الناصر يخشى من هؤلاء الضباط أكثر من غيرهم ، فقد تدربوا بشكل أو بآخر على العمل السرى المنظم ، وعلى القيام بانقلاب متقن إلى حد ما ، ومن ثم فإنه لم يحرص على تسليم أى منهم موقعا قياديا فى الجيش ، وإنما اختار القيادات الجديدة على أساس الكفاءة والوطنية ، ولم يكن الانتساب « للضباط الأحرار » واحدا من المعايير المطلوبة عند الاختيار ، وبهذا نجح عبد الناصر فى تأمين الجيش من خصومه .. ومن أصدقائه معا .

□ □ □

وفى هذه الأثناء كان الضابط ذو الثلاثين عاما ، خالد محيى الدين ، لم يزل يتمسك بالمبادىء التى قامت على أساسها حركة « الضباط الأحرار » : **الديمقراطية .. الانتخابات .. البرلمان .. سيادة الشعب .**

ودهش الضابط الشاب إذ وجد أن أساطين القانون الدستورى ، والذين طالما تحدثوا عن الدستور والبرلمان كانوا يستحثون الضباط ويحرضونهم على تأجيل الانتخابات ورفض اجتماع مجلس النواب ، ومن ثم تأجيل قضية الديمقراطية .

وللتاريخ أسجل أن الدكتور عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ وعلى ماهر كانوا جميعا يحرضون الضباط على تجاهل البرلمان والدستور ، وطبعا كانت هناك الكثرة الغالبة من الضباط الذين يستجيبون لذلك ويتقبلونه بحماس ، بحكم أنهم يستشعرون مصلحتهم فى الاستمرار فى حكم البلاد بأنفسهم .

وفى هذه الأثناء ، رتبت زيارة لعدد من أعضاء « مجلس القيادة » لفؤاد سراج الدين ، وذهبنا .. جمال عبد الناصر وجمال سالم وبغدادى وعامر وأنا ، والتقينا فى بيت واحد من أقاربه فى جاردن سيتى ، تحدث سراج الدين ليستحثنا على تقنين الأوضاع بدعوة مجلس النواب إلى الاجتماع ، وإعطاء مجلس الوصاية كامل سلطاته الدستورية ، وإعطاء المؤسسات دورها المحدد دستوريا ، **ولم يبد ارتياحا للأحاديث المتداولة عن قانون الاصلاح الزراعى .**

وبطبيعة الحال يمكن القول إن زملائى لم يهتموا كثيرا بحديث سراج الدين عن تقنين الأوضاع ، خاصة وأنه **أفسد الحديث كله بإعلان تحفظه على قانون الاصلاح الزراعى ، فأعطى الآخرين الفرصة للربط بين الموقفين : الديمقراطية والدستور ، ورفض قانون الإصلاح الزراعى .**

وأصبح وضعى مع زملائى أكثر حرجا خلال هذه المناقشة .

□ □ □

وفى هذه الأثناء أثار كل من الدكتور راشد البراوى (وهو أستاذ اقتصاد شهير ومترجم لعدد من الكتب الاشتراكية - وكان على علاقة بعبد الناصر) وأحمد فؤاد (وكان لم يزل على علاقة حميمة بعبد الناصر أيضا) أهمية أن تبادر الحركة بتقديم شىء ما للشعب ، تلف به الجماهير حولها وتكتسب تأييدها ..

وكان الاثنان يلحان فى اتخاذ إجراء اجتماعى ما ، كانا يقولان إن كل الحكام السابقين كانوا يتحدثون بحماس عن قضية الجلاء ، وأن الجديد الذى يشد الجماهير ويحشدها خلف الثورة هو موقف اجتماعى يتعلق بأغلبية الشعب .. أى الفلاحين ، ومشروع آخر يهتم بتصنيع البلاد وتطويرها .

وطلبنا إليهما إعداد مشروع قانون للإصلاح الزراعى . وما أن طرحت الفكرة حتى أثارت مشاكل عديدة ، فعلى ماهر رئيس الوزراء كان فى دخيلة نفسه ضد الإصلاح الزراعى أصلا ، وبدأ يثير العقبات ، اقترح فكرة الضرائب التصاعدية بتصاعد الملكية الزراعية ، وانتهى به الأمر بأن طالب برفع الحد الأقصى للملكية إلى خمسمائة فدان بدلا من مائتين .. وكانت حجة على ماهر أن ملاّك الأرض هم الفئة المستنيرة والمثقفة فى المجتمع ، وأنه من الصعب تحدى هذه الفئة وضرب مصالحها .

أما أعضاء مجلس الوصاية ، فقد عارض بهى الدين بركات بشدة فى مبدأ إصدار هذا القانون ، وقال إن هذه الطبقة قد اعتادت على مستوى معين من المعيشة وأنه من الصعب المساس بهذا المستوى ، وربما كانت معارضته هذه طبيعية ، لكن الشىء الغريب حقا هو أن رشاد مهنا قد حاول أن يضع العديد من العراقيل أمام الموضوع ، وأن يعرقل إصدار القانون بأى شكل .

أما المثير للدهشة حقا فهو أن السنهورى باشا اتخذ من قانون الإصلاح الزراعى ذريعة لضرب أى توجه ديمقراطى ..

فقد قال : إذا كنتم تريدون كسب الشعب من خلال قانون الإصلاح الزراعى ، فإن آثار هذا القانون لن تظهر قبل خمس أو ست سنوات ، فكيف تسارعون بإجراء الانتخابات فى فبراير ؟ وبدأ يستحثنا على ضرورة تأجيل الانتخابات لفترة تكفى لضمان اكتساب جماهيرية حقيقية .

ومرة أخرى أصدم .. فها هو كبير الفقهاء الدستوريين يستخدم قانون الإصلاح الزراعى ذريعة لضرب التوجه الديمقراطى ، وطبعا كان يجد آذانا صاغية ، ونفوسا تتقبل ما يقول بصدر رحب وترحيب شديد .

وبرغم ذلك ، وبرغم أن الكثيرين من الزملاء فى مجلس القيادة كانوا يتباعدون رويدا رويدا عن فكرة الانتخابات وفكرة الديمقراطية إلا أنهم استخدموا موضوع الانتخابات سبيلا لإكراه على ماهر على الاستقالة .

فقد أصدر على ماهر بصفته رئيسا للوزراء بيانا لم يتحدث فيه عن الانتخابات ، ولم يتوافق مع وجهة نظرنا فى قانون الإصلاح الزراعى .

واجتمع « مجلس القيادة » وأصدر بيانا ضد على ماهر انتقد فيه عدم وضوح موقفه من قضية الانتخابات فى فبراير ، ومن قانون الإصلاح الزراعى ، كما انتقد قيام حكومة على ماهر بفرض ضرائب جديدة ورفع أسعار بعض السلع .

وكان الموقف غريبا .. « مجلس القيادة » يصدر بيانا ضد رئيس الوزراء ، ووقعت الصحف فى حيرة ، وأذكر أن أحد الصحفيين قال لى وأنا أمليه البيان : هذا البيان ضد رئيس الوزراء ، قلت له : أعرف .. وانشره على مسئوليتنا .

ووقع على ماهر فى مأزق حرج ، بل غاية فى الحرج ، وقرر أن يستقيل ثم تراجع عن الاستقالة ، ثم عاد إليها بعد أن أيقن أن ثمة قوة أخرى غير مجلس الوزراء هى التى تملك مفاتيح السلطة .

وفى هذه الأثناء وقعت أحداث كفر الدوار . أيقظونى من النوم ليبلغونى أن حركة مضادة للثورة قد نشبت فى كفر الدوار وأن العمال يشعلون الحرائق ، والحقيقة أن رأيا عاما قد تكون سريعا ضد إضراب كفر الدوار ، وشُكلت محكمة عسكرية برئاسة عبد المنعم أمين ، وأصدر قرار تشكيلها محمد نجيب بصفته قائدا للجيش ، وأصدرت المحكمة حكما بالإعدام على عاملين هما : خميس والبقرى .

وأذكر أن نجيب كان أكثر الجميع حماسا لإعدامهما . وانقسم « مجلس



□ عبد الرازق السنهورى .

القيادة » : نجيب ومعه الأغلبية يطالبون بالضرب بيد من حديد حتى يرتدع الجميع ، وكانوا يتكلمون من منطلق أن الإضراب هو جزء من حركة معادية للثورة ، وأننا لو تساهلنا إزاء هذا الأمر لضاعت الثورة وضاع البلد . وأنا وعبد الناصر ويوسف صديق وزكريا كنا ضد الإعدام ، وحجتنا أن الإعدام سيفتح الباب أمام إراقة الدماء ، وأنه لا مبرر لأن تصطبغ حركتنا بالدماء .

والحقيقة التى أود أن أسطرها هنا هى أن أحدا منا ـ نحن « أعضاء القيادة » – مؤيدين للإعدام أو معارضين له ، لم يكن قد تعرف بعد على مبادىء العلاقات الاجتماعية ، ولا على الحقوق العمالية فى الإضراب والاعتصام وما إلى ذلك ، أما المحيطون بنا من أمثال السنهورى وسليمان حافظ والبراوى فقد كانوا يتسمون بروح برجوازية محافظة بل ومعادية لحقوق العمال . وجماعة الإخوان بدأت فى شن حملة عاتية ضد عمال كفر الدوار المضربين واتهمتهم بالخيانة . وحتى « حدتو » نظرت إلى الإضراب نظرة مستريبة ، وربطت بين الإضراب وبين حافظ عفيفى عضو مجلس الإدارة المنتدب فى شركة كفر الدوار ، وإن كانت

قد عارضت بشدة حكم الإعدام . لكن الغريب أيضا أن أيا من النقابيين المصريين أو النقابات العمالية لم يبد أى تأييد للإضراب ، وصمت الجميع صمتا مريبا أفسح المجال للتأويلات والأوهام ، صحيح أن بعض المنظمات الشيوعية الصغيرة قد أعلنت تأييدها للعمال - وهو ما علمت به فيما بعد -إلا أن صوت هذه المنظمات كان خافتا بحيث لم يصل إلى أسماعنا ، وهكذا فإن أحدا فى « مجلس القيادة » لم يناقش الحق المبدئى للعمال فى الإضراب بل انحصر النقاش فى أمر واحد : إعدام أم لا .

وصممت الأغلبية فى المجلس على موقفها ، رغم سيل البرقيات الهائل الذى انهمر علينا من الخارج مطالبا بعدم تنفيذ حكم الإعدام .

.. ولعب البعض لعبة التوازن ، فضخم من قضية لملوم(*) ، ولكننى أيضا وقفت ضد الحكم عليه بالإعدام . ونُفذ حكم الإعدام فى خميس والبقرى وسط صيحات الاستنكار العالمية ، ومع شعور عميق لدىّ بالضيق والغيظ لتورط الثورة فى إعدام مواطنين ، والأخطر لأن هذين المواطنين من العمال . وكنت ومنذ البداية قد حسمت أمرا بينى وبين نفسى هو ألا أوافق على إعدام أى شخص لأسباب سياسية .

وفى هذه المرة كان عبد الحكيم عامر ضد الإعدام ، ونظر فى الجلسة وكأنه يسأل عن موقفى ، فقلت بصوت سمعه الجميع : « إن معارضتى للإعدام لأسباب سياسية محسومة بشكل نهائى ، فأنا ضد إعدام عدلى لملوم كما كنت ضد إعدام خميس والبقرى » .

ونجحنا فى إيقاف مسلسل الإعدامات .

(*) بعد عدة أشهر من إعدام خميس والبقرى وقعت حادثة عدلى لملوم ، وهو شاب من أسرة إقطاعية حاول أن يستخدم القوة لمنع تنفيذ قانون الإصلاح الزراعى ، وصمم بعض أعضاء القيادة على إعدامه أيضا ، ولعل هذا البعض خيل إليه أن يلعب لعبة التوازن بأن يُعدم شاب من أسرة إقطاعية مقابل إعدام اثنين من العمال .

١٤ نحـــو الحكم ..

خطـوة خطـوة

* اعترض كافرى على السنهورى لأنه شيوعى .
* بقرار من عبد الناصر .. الاتصال بإسرائيل .
* وقال سليمان حافظ .. حيرتونى ، فضحك المجلس .
* الإخوان من المشاركة .. إلى العداء .
* وبدأ التمايز فى المواقف ..

وكان إعدام خميس والبقرى درسا كافيا اقنع جمال عبد الناصر بضرورة الكف عن استخدام سلاح الإعدام ، ذلك أن الحكم سوف يواصل مواجهة خصوم عديدين ، وليس من المعقول أن يغرق فى مستنقع العنف بإعدام كل معارضيه ، وعندما وقعت حادثة لملوم اعترضت أيضا على حكم الإعدام ووافق الزملاء هذه المرة فبدا الأمر وكأنه تحيز للأغنياء وانحياز ضد العمال .

وهكذا لم تكن الأمور سهلة ونحن نخطو خطوة خطوة نحو ارتقاء موقع الحكام ، وأربكتنا كثيرا قضية التعامل مع خصومنا السياسيين ، وأربكنا بوجه خاص محاولة البعض القفز مباشرة إلى « إعدام » هؤلاء المعارضين ، كذلك كانت هناك مسألة العلاقة مع رئيس الوزراء ، الذى اخترناه بأنفسنا ، على ماهر .

فبعد حادثة إصدار البيان المضاد لعلي ماهر ، أعلن أنه سيقدم استقالته ، ثم تراجع عنها ، لكنه ما لبث أن اكتشف وبوضوح تام أنه ليس فى مركز السلطة الحقيقى ، وأن هناك مركزا آخر للسلطة هو « مجلس القيادة » ، واكتشف أن كل أصحاب المصالح لا يتوجهون إليه ولا إلى وزرائه وإنما إلى الضباط و « مجلس القيادة » .

وذات صباح استيقظ على ماهر ليقرأ فى الصحف نبأ اعتقال كل قيادات الأحزاب السياسية (ماعدا الإخوان) ، وفوجىء الرجل ، فكيف لا يستشار وهو رئيس الوزراء ، أو حتى كيف لا يبلغ بالخبر قبل أن يطالعه الناس فى الصحف ، وقرر على ماهر الاستقالة ، وقررنا قبول استقالته ، لكننا اتفقنا معه على انسحاب كريم ، أو بمعنى أدق أن نفترق ونحن أصدقاء ، وأقمنا له حفل تكريم . وبدأنا رحلة البحث عن رئيس وزراء جديد ..

وكان أول المرشحين هو الدكتور عبد الرازق السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة ، لكن قصة السنهورى تجرنا إلى موضوع خطير هو علاقتنا بأمريكا والسفير الأمريكى « مستر كافرى » ، والحقيقة أن جمال عبد الناصر كان قد رتب - كما قلت - قبل الثورة علاقة مع الأمريكيين - عن طريق على صبرى ، ومنحهم قدرا من التطمينات من أن الثورة القادمة لن تقف ضدهم .

والحقيقة أيضا أن « كافرى » كان يتصرف – بالحق أو بالباطل – على أساس أنه يمتلك نفوذا فى صفوف الثورة .. ولقد أدهشنى أن طالعت فيما بعد فى بعض وثائق وزارتى الخارجية البريطانية والفرنسية أن « كافرى » كان يزهو أمام السفراء الغربيين موحيا إليهم بأنه على علاقة خاصة جدا مع الثورة ، بل لقد كان يتحدث عنا قائلا : ''My boys'' (أى أولادى) والحقيقة أنه كان مبالغا فى ذلك أشد المبالغة ، فلم نكن « أولاده » ، ولم يكن يمارس علينا نفوذا حقيقيا ، لكنه استفاد من غموض الموقف ، ومن بعض العلاقات ليتظاهر بأنه يمتلك نفوذا ما .

وبعد أيام من الإطاحة بالملك قيل لى أننا مدعوون على العشاء فى بيت عبد المنعم أمين مع السفير الأمريكى .. وذهبنا : نجيب وعبد الناصر وبغدادى وعبد الحكيم وصلاح سالم وأنا ، وأتى السفير الأمريكى ومعه المستشار السياسى .

جلست على يسار السفير وجلس إلى جوارى المستشار السياسى ، وفيما كان نجيب وجمال يتحدثان مع « كافرى » عن فكرة إصدار قانون للإصلاح الزراعى ، بدأ المستشار السياسى – وكان اسمه « ايفانز » فيما أعتقد – يتحدث معى عن موضوع مثير ، فقد أشار إلى تعاوننا مع بعض العناصر ذات التوجه الوطنى الراديكالى مثل فتحى رضوان ونور الدين طراف وغيرهما ، وقال : إن خطورة مثل هذه العناصر تكمن فى أنهم يصطفون فى نهاية الأمر مع الشيوعيين ، وأبديت دهشتى فإن هؤلاء جميعا كانوا خصوما للشيوعية ، وقلت له ذلك ، لكنه أجاب : هذا صحيح الآن لكنهم فى النهاية سيقفون مع الشيوعيين ، ذلك أن التطرف فى الوطنية يقود صاحبه للاتفاق مع الشيوعيين ضد ما يسمونه معا .. الاستعمار .

.. والغريب أيضا أنه هاجم الوفد بشدة وقال : إن عيب الوفد أنه يخضع للضغط الشعبى ، وإنه خضوعا لهذا الضغط ألغى المعاهدة وفجر الكفاح المسلح ، ومثل هذا المناخ يشجع الشيوعية هو الآخر .

ولست أدرى حتى الآن لماذا اختصنى أنا بالذات بهذا التحذير ، هل لأنه يعرف أننى يسارى وأراد أن يقدم لى إنذارا مبكرا ، أم ماذا ؟ لكننى على أية حال جادلته باتزان ، ولم أبد أية موافقة مع رأيه .

انتهت المقابلة ، وظننت أن الأمر قد انتهى ، فقد تعارفنا وانتهى الأمر أو سينتهى عند هذه الحدود ، لكن هذه الطمأنينة من جانبى لم تكن فى محلها ، فعند ترشيح السنهورى لرئاسة الوزارة على أثر استقالة على ماهر .. فوجئت بأمر خطير ..

□ □ □

كنا فى جلسة « لمجلس القيادة » .. وكان الدخول ممنوعا بطبيعة الحال ، وأبلغنا الحارس الواقف على الباب أن على صبرى يريد جمال عبد الناصر لأمر هام وعاجل ، وكان عبد الناصر منهمكا فى الحديث فخرجت أنا لأستطلع الأمر ، وكان على صبرى يلح فى مقابلة عبد الناصر فورا ، وقلت إن هذا مستحيل ، فألح وقال إن الأمر هام جدا وعاجل للغاية ، فرفضت وقلت إنه من غير الممكن إخراج عبد الناصر من الجلسة ، **فقال : إذن أبلغه وعلى وجه السرعة أن السفير الأمريكى غير راض عن اختيارالسنهورى رئيسا للوزراء ، فالأمريكيون يعتبرونه شيوعيا لأنه وقّع على « نداء السلام » ، فقلت : لكننى أنا أيضا وقّعت على هذا النداء ، فرد على صبرى : لكن أنت لم تكن معروفا فى هذا الحين ، و « كافرى » يقول إن الرأى العام الأمريكى يتعاطف الآن معكم ، وهم يعتبرون أن كل من وقّع على « نداء السلام » شيوعى فلا تخسروا الرأى العام الأمريكى بهذه السهولة .**

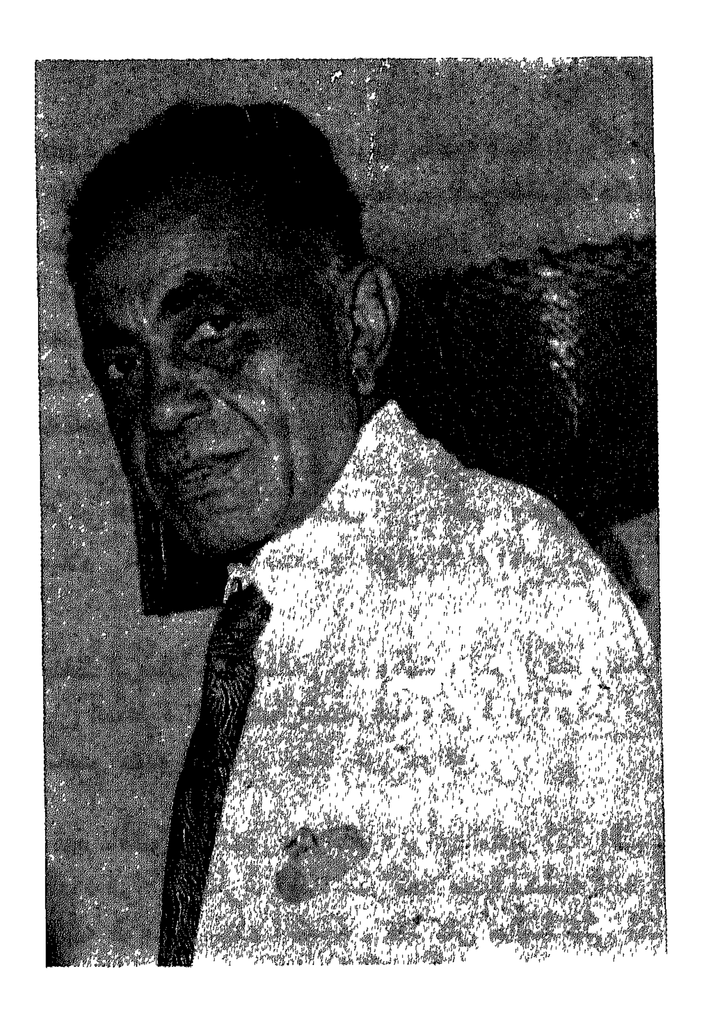
دخلت إلى الاجتماع ، وأبلغت الرسالة وأنا منفعل جدا وقلت : إننى أرفض بشدة قبول هذا ، لأن معناه الحقيقى أن السفارة الأمريكية تتحكم فينا وفى قرارنا وهذا أمر خطير جدا ، ورد جمال عبد الناصر بهدوء : وأنا أيضا غير موافق .

لكن الذى حدث بعد ذلك أنهم ناقشوا السنهورى وأبلغوه برأى السفير الأمريكى ، ولعلهم نقلوا له الأمر بحيث يدفعوه إلى الاعتذار ، وقد اعتذر فعلا مبديا دهشته قائلا : إن الأمر كان بسيطا للغاية ، وأنه فوجىء بهذه الضجة ، فقد كان جالسا على أحد المقاهى عندما مر عليه شاب يحمل عريضة يجمع عليها توقيعات للمطالبة بعدم استخدام السلاح النووى فى أية حرب مقبلة ، ووقّع السنهورى ، ولم يكن يعرف أن هذا التصرف البسيط سوف يُعتبر عند الأمريكيين عملا خطيرا بحيث يضعون صاحبه فى مصاف الشيوعيين ، ولم يكن يعرف أن هذا التوقيع سوف يحرمه بعد أكثر من عام من منصب رئيس الوزراء .

وعلى أية حال اعتذر عبد الرازق السنهورى ، حتى لا يسبب لنا حرجا ، بل لعل البعض قد أحرجه لكى يتخذ موقف الاعتذار .

وبدأنا فى البحث عن رئيس جديد للوزراء ..

واقترح نجيب أن نختار سليمان حافظ رئيسا للوزراء ، لكن سليمان حافظ رفض ، وقال بصراحة محمودة : إن مركزه ومكانته لا يسمحان له أن يخلف على ماهر فى موقع



□ سليمان حافظ .

خطير كهذا ، واقترح علينا أن نختار محمد نجيب رئيسا للوزراء وأن يكون هو نائبا لرئيس الوزراء ، وبعد فترة يترك نجيب رئاسة الوزراء ليحل محله .

لكن الرياح أتت بما لا تشتهى السفن ، فلا نجيب استمر طويلا فى الوزارة ولا حافظ أصبح رئيسا للوزراء .

.. وقبل أن أنتقل من هذا الموضوع ، أود أن أقرر أننى لم أعتقد يوما أن عبد الناصر كان خاضعا للأمريكيين ، لكنه كان رجلا يعرف كيف يتفاهم مع القوى المختلفة ، بل ومع الأضداد ، محاولا أن يستخلص مصلحته هو من مثل هذا التفاهم ..

فمنذ البداية الأولى لإنشاء تنظيم « الضباط الأحرار » كان جمال يتفاهم مع الإخوان ، ويتفاهم أيضا مع الشيوعيين ، ولم يكن يجد غضاضة فى ذلك ، لكنه كان حريصا على ألا يسمح لأى طرف منهما بالسيطرة عليه أو التحكم فى مسيرة التنظيم ، كذلك فقد تحدثت عن علاقة عبد الناصر بيوسف رشاد ، ولم يحمل هذا أى شك فى خضوعه للقصر الملكى الذى كان يوسف رشاد ممثلا له ، ولعله حاول أن يفعل نفس الشىء مع أمريكا ، وهى قوة كبرى قادرة على التأثير المباشر على انجلترا التى كانت تتحول سريعا من قوة كبرى إلى دولة عادية .. ويجب أن نضع فى الاعتبار أيضا أن الطرف الآخر - أى الاتحاد السوفيتى - كان يشن علينا حملة عاتية ، ويتهمنا بأننا انقلاب عسكرى عميل لأمريكا ، وعزفت كل الأحزاب الشيوعية باستثناء منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) نفس المعزوفة . وهكذا كان عبد الناصر يجد أن تفاهمه مع أمريكا مبررا تماما .

ولعلى قد تحدثت أيضا عن شكوك ساورت جمال سالم وجمال عبد الناصر إزاء جدوى الهجوم على أمريكا حتى فى أيام ما قبل ٢٣ يوليو ، وفى ليلة العشاء الشهير مع السفير الأمريكى ومستشاره ، لاحظت أن السفير « كافرى » يحاول أن يتعرف على كل واحد منا ، وعلى اتجاهاته الحقيقية ، وأحسست أن بعض الزملاء يحاولون أيضا إظهار اعتدالهم أمام السفير ، ولعل هذا كان مبررا بعض الشىء خاصة وأننا نستعد للتصادم مع انجلترا مطالبين بالجلاء ، وأننا كنا مقطوعى السبل بالاتحاد السوفيتى ولا نمتلك سبيلا لعلاقة معه ، خاصة وأنه كان يهاجمنا بشدة - كما قلت - ويتهمنا بالعمالة لأمريكا .

وكان الأمريكيون يبدون بوضوح مصلحتهم فى استمرار الثورة فى الحكم ، واعتقادهم بأهمية أن تتخذ الثورة بعض الاجراءات الاجتماعية التى تكفل الاستقرار الاجتماعى والسياسى ، وتحل - ولو بشكل جزئى - مشكلة الفقر ، وكانوا يقولون صراحة : إذا لم تحلوا مشكلة الفقر ، فسوف تأتى قوة أخرى لتحلها وهذه القوة هى الشيوعيون .

وكان عبد الناصر حريصا على تحييد أمريكا ، وتحييد طرف ما شىء والخضوع له شىء آخر ، وعندما عرض عليه الأمريكيون فكرة الأحلاف العسكرية كسبيل لتحقيق الاستقرار فى مصر والمنطقة ولضمان مقاومة الشيوعية ، استخدم عبد الناصر معهم ذات الفكرة التى طرحوها من قبل .. بأن تحقيق الاستقرار ومقاومة الشيوعية يكون بالاصلاحات الاجتماعية وليس بالأحلاف العسكرية ، وكان يؤكد لهم

فى مناقشاته ضد فكرة الأحلاف أن الشعب لا يشعر بأن الاتحاد السوفيتى عدو ، إنما أعداؤه : الانجليز وإسرائيل . لكن عبد الناصر لم يكن يرغب فى القطيعة مع أمريكا ، بل كان يسعى لتحسين العلاقات معها بهدف تسليح الجيش المصرى تسليحا كافيا ، وعندما سافر على صبرى للتفاوض على التسليح وعاد من أمريكا مثقلا بشروط لا يمكن قبولها ، لم يتردد عبد الناصر طويلا فى اللجوء إلى الطرف الآخر للحصول على السلاح منهم ، وحتى عندما حصل عبد الناصر على السلاح من تشيكوسلوفاكيا فى خطوة صاعقة ، حاول - رغم ذلك - استمرار علاقته مع أمريكا ، وحاول الحصول منها على قروض السد العالى ، لكن أمريكا هى التى رفضت . وباختصار كانت سياسة عبد الناصر الضابط قبل الثورة ، والحاكم بعدها هى هى .. أن يقيم علاقات مع كل الأطراف ، وحتى مع الخصوم ، وكان يرى أن اقامة العلاقات لا تعنى الخضوع ولا تعنى العمالة .

ولقد كان عبد الناصر هكذا دوما ومع كل الأطراف .. حتى مع إسرائيل ، ففى فترة إقامتى بالمنفى وأثناء زيارتى لباريس أبلغنى الأستاذ عبد الرحمن صادق المستشار الصحفى فى سفارتنا بباريس أنه مكلف من قبل عبد الناصر بعمل علاقة ما بالسفارة الإسرائيلية ، وأن هدف العلاقة هو التعرف على كل أفكار الإسرائيليين ورؤيتهم للثورة وموقفهم إزاءها .

ويمكن القول بأن إسرائيل فى هذه الفترة لم تكن مدرجة فى الأسطر الأولى لجدول الأعداء ، وقد كان هناك الانجليز أولا ، وضرورة إجلائهم عن أرض الوطن ، ولم تصعد إسرائيل فى جدول الأعداء إلا بعد أحداث غزة وحلف بغداد .. الخ .

وفيما أعتقد استمرت العلاقات والاتصالات مع السفارة الأمريكية عبر قناتين تصب كل منهما عند عبد الناصر وحده : عبد المنعم أمين وعلى صبرى ، ولعل هذه العلاقة قد استمرت زمنا ليس بالقصير .

□ □ □

وأعتقد أنه يتعين علىّ أن أتوقف هنا قليلا لأتحدث عن القضية الوطنية وموقفنا منها .

لقد كنا ككل المصريين أو غالبيتهم العظمى أعداء للاحتلال البريطانى ، بل لعل مبرر نشأتنا كتنظيم « للضباط الأحرار » ، ومبرر قيامنا بالثورة كان بالأساس العمل على تحرير مصر من يد الاحتلال البريطانى . وظلت قضية الجلاء هى الهم الأول لنا جميعا ، بل لعلها

كانت الهاجس الأول .. فإن لم يتحقق الجلاء كاملا وناجزا تكون الثورة بعيدة عن تحقيق هدفها ، بل وتفقد مبرر بقائها .

صحيح أن الثورة قد أنجزت الكثير منذ أيامها الأولى : طرد الملك ، الإصلاح الزراعى ، مجلس تنمية الانتاج القومى ، مصادرة أملاك وأموال أسرة محمد على والإنفاق منها على بناء آلاف المدارس والوحدات الصحية على امتداد ريف مصر .. كل هذا صحيح ، لكن « الجلاء » كان العقدة وكان الحل ، به نحقق وجودنا ، وبدونه نفقد مبرر بقائنا كحكام ، بل ونفقد هويتنا التى عشنا بها طوال حركتنا منذ أن كنا ضباطا شبانا نحلم بمصر أخرى غير التى نعيشها فى ظل الاحتلال .

ومنذ الأيام الأولى للثورة شكل فريق عمل للاهتمام بموضوع الجلاء ..

وتشكل الفريق من محمد نجيب ، جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، صلاح سالم وبغدادى .. ومن داخل هذا الفريق كان هناك فريق مصغر للاهتمام بموضوع السودان ، مكون من نجيب وصلاح سالم .

وظلت الاتصالات مع الانجليز تجرى بهدوء ودون إعلان فى كثير من الأحيان ، حتى كانت زيارة « دالاس » وزير الخارجية الأمريكية لمصر ، واجتمع به عبد الناصر وتحدث معه طويلا مؤكدا حرصنا على ضرورة جلاء الانجليز عن مصر ، دون دفع مصر للتورط فى تحالفات واضحة ، وأكد أن ذلك لا يعنى اتخاذ موقف العداء من الانجليز .

ولعبت أمريكا دور الوسيط ، وكانت المفاوضات تجرى عبر محورين : اتصالات مباشرة مع الانجليز ، ووساطة « دالاس » بين الطرفين التى كانت تنسقها بشكل مستمر سفارة أمريكا بالقاهرة ، وخصص الأمريكيون دبلوماسيا من سفارتهم بالقاهرة اسمه « بيل ليكلاند » للاتصال المباشر والمستمر مع عبد الناصر حول هذا الموضوع .

وكان « ليكلاند » هذا صديقا للأستاذ محمد حسنين هيكل ، ومن هنا كان هيكل مطلعا على بعض تفاصيل المفاوضات .

وقرر عبد الناصر أن يلعب مع الانجليز لعبة مزدوجة ، لعلها نجحت إلى حد ما ، فكان يتفاوض معهم بصبر وهدوء ، فإذا ما تعثرت المفاوضات كنتيجة لتشدد الانجليز ، قامت مجموعة من ضباط الجيش (كمال رفعت - لطفى واكد - عبد الفتاح أبو الفضل ... وآخرين) بعمليات فدائية محسوبة للضغط عليهم .

وهكذا كان عبد الناصر يتفاوض وفى آن واحد يضغط بالعمل الفدائى المحدود والمحسوب ، وقد اتقن عبد الناصر العملين معا .

وأذكر أن آخر اقتراح قدمه « ليكلاند » خلال وجودى فى مجلس قيادة الثورة كان يتمثل فى انسحاب بريطانيا من مصر مع احتفاظها بحقها فى العودة فى حالة أى هجوم على بلد عربى ، أو فى حالة التهديد بالحرب ضد كل من تركيا وإيران .

ورفضنا موضوع تركيا وإيران هذا .

وفى مارس ١٩٥٤ سمعت من صحفى فرنسى هو « روجيه استفان » ، وكان مراسلا لجريدة « فرانس أبزرفاتور » أثناء أزمة مارس ، أن عبد الناصر فى خضم صراعه معى إبان أزمة مارس ، وفى محاولة منه لكسب تأييد انجلترا وأمريكا إلى صفه فى هذا الصراع قد أبلغهما بموافقته على النص الخاص بتركيا وإيران ، وسوف أعود فيما بعد لبقية حديث « روجيه استفان » معى حول موقف أمريكا وانجلترا من طرفى الصراع فى أحداث مارس .

والحقيقة أننى كثيرا ما تناقشت مع عبد الناصر (قبل أحداث مارس ١٩٥٤) حول موضوع الجلاء ، وحول الموافقة على حق الانجليز فى العودة ، وكانت وجهة نظرى أن توقيع معاهدة مع انجلترا تتضمن حقها فى العودة ، سوف يقوى المعسكر الاستعمارى ويعطيه مزايا استراتيجية بما يزيد من احتمالات قيام حرب عالمية ، ومن ثم يزيد من احتمالات عودة الانجليز لاحتلال مصر ، **لكن عبد الناصر كان يرى أن الجلاء هو حلم كل مصرى ، وأنه من المهم جدا أن نحقق للمصريين حلمهم ، وكان يؤكد أن تحقيق الجلاء هو انتصار تاريخى ، وإذا أراد الانجليز العودة بعد ذلك نمنعهم بأمل أن نكون قد كسبنا قدرا كافيا من القوة ، فقلت : فإذا لم تستطع منعهم ؟ أجاب : ساعتها سأعالج الموقف وفق مستجداته ، لكننى اليوم سأحقق نصرا كبيرا ، وحلما كبيرا لكل المصريين .**

وظللت طويلا أتذكر هذا النقاش حتى وقع العدوان الثلاثى ، وألغى عبد الناصر معاهدة الجلاء واستولى على القاعدة البريطانية فى القناة ، ولم يستطع الانجليز فعل شىء . وفى تلك الأيام قابلت عبد الناصر وذكّرنى بمناقشاتنا القديمة حول هذا الموضوع . والحقيقة أن البعض وأنا منهم كان يبنى حساباته على احتمالات قيام حرب عالمية ثالثة ، ومخاطر أن نكون نحن طرفا فيها بعودة الانجليز إلى مصر ، لكن عبد الناصر كان يبنى حساباته على أساس أن الحرب العالمية الثالثة لن تقوم .

وكانت قضية الجلاء هى الهم الأول لعبد الناصر ، ولهذا فقد قبل الوصول إلى تسوية حول مسألة السودان ، والحقيقة أن اتفاقية السودان كانت جيدة ، فقد رسمت للسودان طريقا محددا ، إما الاستقلال أو الوحدة مع مصر وكلاهما يمثل خطوة إيجابية بالنسبة للتخلص من الاحتلال البريطانى هناك . وقد أتت الانتخابات - وفق توقعاتنا - بالاتحاديين ، لكنهم ما أن أصبح بإمكانهم حكم بلدهم حتى وضعوا شروطا للوحدة كان من الصعب قبولها فى هذا الوقت . ولم يكن عبد الناصر على استعداد لأن يربك معركته من أجل الجلاء بالدخول فى مماحكات حول السودان ، ومن هنا وقع الخلاف بينه وبين صلاح سالم الذى كان يعتبر أن مسألة الوحدة مع السودان هى المسألة الأولى ، ولعله كان يعتبرها مسألة تتعلق بشخصه وبمدى نجاحه . ولقد قال الكثيرون إن عبد الناصر قد ضحى بالسودان مقابل الجلاء عن مصر ، **والحقيقة أن عبد الناصر لم يكن يملك شيئا فى السودان ، وما قبله عبد الناصر هو حق تقرير المصير للسودانيين وهو مبدأ صحيح تماما ، وما كان بإمكان مصر التى تسعى جاهدة لاستقلالها أن تفرض سيطرتها بالقوة على بلد آخر .**

ولعلى أذكر هنا واقعة طريفة ، فقد كان عبد الناصر يتحدث فى اجتماع فى جمعية الشبان المسلمين ، وهناك تصدت له مجموعة من الطلاب السودانيين الشيوعيين الذين كانوا فى ذلك الحين منظمين فى صفوف « حدتو » ، وهاجموا بشدة اتفاقية السودان ، وبهدوء دعاهم عبد الناصر لمقابلته فى مكتبه فى مجلس قيادة الثورة ، وهناك سألهم عبد الناصر بشكل مباشر : **انتم شيوعيون ؟ فقالوا : نعم ، فقال : ولماذا ترفضون الاتفاقية ، هل نسيتم أن الماركسية تدافع عن حق تقرير المصير للشعوب ، وأنا أعطيت لكم حق تقرير المصير ، فقرروا مصيركم كما تشاءون .**

ولم يجد الطلاب حججا كافية للرد عليه .

□ □ □

وشكّل نجيب وزارته الأولى ، واختار لها وزراء من المدنيين لا بأس بهم : فعبد الجليل العمرى للمالية ، ونور الدين طراف للصحة ، وصبرى منصور للصناعة . وأذكر أن عبد الجليل العمرى كان رجلا شجاعا ، ومترفعا ، ومعتدا بنفسه ، وقد اشترط لقبول الوزارة أن يعوض أصحاب الأراضى الخاضعة لقانون الإصلاح الزراعى بسندات ، واشترط أن يكون سقف الملكية مائتى فدان ومائة فدان للأسرة ، وكان مشروع القانون يقترح مائتى فدان فقط . وكان العمرى أيضا يتحدث بحدة مع الضباط حتى أعضاء « مجلس القيادة » قائلا : لا تعطوا وعودا إلا بعد سؤالى حتى أدبر لكم ميزانية .

ثم كانت الخطوة التالية عندما قرر « مجلس القيادة » توزيع أعضائه على الوزارات المختلفة ، كل منا يشرف على وزارة أو وزارتين ، وكان من نصيبى وزارتا الصحة والصناعة ، والغريب أن جمال سالم أخذ الإشراف على وزارة المالية ، وقد حاولت أن أتولى أنا الإشراف على وزارة المالية والاقتصاد مبررا ذلك بأننى حاصل على بكالوريوس تجارة ، لكنهم رفضوا ، وفيما يبدو أن هذا الرفض لم يكن مصادفة ، فقد كان المقصود إبعادى عن هذا المجال . والغريب أن جمال سالم كان ليبراليا جدا فى الموضوعات الاقتصادية ، لكنه لم يكن ليبراليا فى السياسة . ولعل البعض لم ينقبل فكرة وجود مندوبين لمجلس القيادة فى الوزارات المختلفة ، لكن الحقيقة أننا كنا نشعر بالمسئولية أمام الجيش وأمام الشعب ، وأنه يتعين أن يتم التشاور معنا قبل اتخاذ أية قرارات أساسية ، وأنا من جانبى لم أكن أتدخل فى الشئون الإدارية ولا فى المسائل التفصيلية ، فقط كنت أسأل إن كانت هناك مسائل مهمة أو اقتراحات بتشريعات جديدة أو قرارات ذات أهمية خاصة ، وهكذا .

□ □ □

لكن تشكيل وزارة نجيب الأولى كان إيذانا ببدء الخلاف مع جماعة الإخوان المسلمين ، فقد اقترح عبد الناصر أن نمثل الإخوان فى الوزارة الجديدة ، واقترح الهضيبى (المرشد العام للإخوان المسلمين) : الشيخ الباقورى وأحمد حسنى ، ووافقنا ، لكننا وبينما كان الوزراء يستعدون لحلف اليمين فوجئنا بمنير الدلة وحسن عشماوى يحضران ليرشحا شخصين آخرين أحدهما أخو المرشد العام قائلين : إن المرشد اقترح فى البداية ، لكن مكتب الإرشاد يرى تعديل الاقتراح . وربما كان الخلاف عميقا إلى هذا الحد داخل الجماعة ، وربما كانت هناك محاولة من الجماعة لإظهار سطوتها إزاءنا ، وأنها قادرة على التلاعب معنا وبنا ، ورفضنا ذلك بشدة وحدة .

وتحدى الباقورى أوامر الجماعة وقبل الوزارة ، وحدث بذلك أول شرخ فى العلاقة بيننا وبين الإخوان ، وتضاعف الشرخ فى صفوف الجماعة ، ذلك الشرخ الذى لعب عليه عبد الناصر كثيرا مستفيدا منه فى استقطاب عناصر هامة من الجماعة ، ومن جهازها السرى ، إلى صفه وضد الهضيبى ، مما أربك الجماعة فيما بعد إرباكا شديدا .

لكن عبد الناصر والزملاء فى « مجلس القيادة » أخطأوا أيضا فى حساباتهم مع الإخوان ، فقد اتفقنا فى الأيام الأولى على إصدار قرار بالعفو عن المسجونين السياسيين .

وركز عبد الناصر وعدد من الزملاء على ضرورة الإفراج عن السجناء من الإخوان المسلمين ، وكانوا جميعا محكوما عليهم فى قضايا إرهاب واغتيالات ، وهذا الإفراج وبرغم أنه أكسب الثورة علاقات حسنة فى صفوف الجماعة ، إلا أنه كان - فى واقع الأمر - تشجيعا خفيا للتيار المؤيد للإرهاب والعنف فى صفوف الجماعة ، فإذا كان المحكوم عليهم فى قضايا نسف وقتل وإرهاب يُفرج عنهم بهذه السهولة ، فلماذا لا يكررونها مرة أخرى ، بأمل الحصول على عفو من حاكم آخر أو حتى من نفس الحاكم .

لكن الغريب فى الأمر هو أن هذا القانون قد طبق على الإخوان المحكوم عليهم فى قضايا إرهاب واغتيالات ، ولم يطبق على الشيوعيين .

وأذكر أننا كنا مجتمعين فى « مجلس القيادة » عندما دخل علينا سليمان حافظ ومعه مشروع القانون الخاص بالإفراج عن المسجونين السياسيين ، وسألته ببساطة : هل يطبق القانون على الشيوعيين ؟ فأجاب بزهو : لا ، فقد وجدت لهذا الأمر مخرجا ، قلت : كيف ؟ فقال : قلنا إن الشيوعية ليست جريمة سياسية ، وإنما هى جريمة اجتماعية اقتصادية ، فقلت : لكنها جريمة سياسية ، وإذا قلتم كده ولم تفرجوا عن الشيوعيين تبقى بايخة قوى ، خصوصا وأن التهمة الموجهة لهم هى محاولة قلب نظام الحكم وتغيير النظام الاجتماعى ، وهم بذلك يحاكمون كمتهمين فى جريمة رأى - فالأفضل عندى هو الإعلان أنه لن يُفرج عن الشيوعيين لأسباب سياسية بدلا من استخدام تفسيرات غير قانونية وغير منطقية ، فرد مندهشا : حيرتونى ، قلتم بلاش الشيوعيين فلقينا الحل ، وبعدين رافضين وتقولوا بايخة قوى . فضحك الزملاء فى المجلس وقالوا له : معلش ، أصل خالد مختلف فى هذا الموضوع .

والحقيقة أن عبد الناصر كان يضمر فى هذا الوقت الدخول فى تصادم مع الأحزاب السياسية ، فأراد أن يكسب الإخوان إلى صفه فى هذه المعركة ، ولكنه فى نفس الوقت لم يسمح بإعطائهم أى نفوذ داخل الثورة ، بل ومارس داخلهم لعبة استقطاب البعض إلى صفه ، فأحدث انقساما خطيرا فى صفوفهم ، وشجعه ذلك على المضى قدما فى طريق تصادمه مع القوى الحزبية عامة .

□ □ □

والحقيقة أنه كانت هناك مؤشرات جماهيرية شجعت على هذه الخطة . فعندما تصادم أحمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة « المصرى » الوفدية الاتجاه مع سليمان حافظ وبدأ ينتقد

قيادة الحركة وتصرفاتها بدأ انخفاض حاد فى توزيع جريدة « المصرى » ، الأمر الذى أعطى مؤشرا هاما للزملاء فى « مجلس القيادة » بإمكانية المضى قدما فى طريقهم ضد الأحزاب السياسية ، وهو ما كنت اعترض عليه صراحة سواء داخل الاجتماعات أو خارجها .

وكانت انتقاداتى وتصريحاتى محل غضب من الزملاء فى « مجلس القيادة » ، وكانوا يقولون إننى بهذا أكشف عن خلافاتنا الداخلية ، بينما كنت أوضح أننى لا أهاجمهم ولا أفشى أسرارا ، فقط كنت أعبر عن وجهة نظرى ..

وعندما بدأت وجهة النظر هذه ، التى ترفض تحدى الأحزاب السياسية أو الضغط عليها تمهيدا لحلها ، وتجاهل الديمقراطية السياسية ، وتتمسك بما تعاهدنا عليه قبل الثورة ، تتواجد بشكل مؤثر داخل قطاع هام من سلاح الفرسان بدأت الحساسية تزداد إزائى وإزاء مواقفى ، بل وإزاء سلاح الفرسان وعلاقاتى بضباطه .

ومن هنا طُرح اقتراح بتشكيل لجنة مصغرة من « مجلس القيادة » تقوم بدراسة الأمور ، ثم تعرض مقترحاتها على المجلس بكامل هيئته بما يعنى تقليل اجتماعات « مجلس القيادة » وتركيز السلطة فى يد أعضاء اللجنة المصغرة الخمسة إلى حد كبير ، صحيح أن المجلس يتعين إقرار كل شىء عن طريقه ، ولكن سير الأمور ركز السلطة فى يد الخمسة . وهكذا تركزت السلطة فى يد أربعة عشر ، ثم فى يد خمسة ، وانتهى الأمر بتركيزها فى يد عبد الناصر وحده . وكان طبيعيا بعد كل ما حدث ألا أكون ضمن الخمسة الذين تم اختيارهم فى اللجنة المصغرة ، والتى بدأت وإلى حد كبير تلعب دورا أكثر تأثيرا .. وتشكلت اللجنة من : جمال عبد الناصر ، بغدادى ، جمال سالم ، زكريا محيى الدين وعامر .

وفى نفس الوقت بدأ عبد الناصر يتصادم مع اليسار ، ومع « حدتو » بالذات ، وهى المنظمة التى أسهمت معه فى تنظيم « الضباط الأحرار » ، وأسهمت أيضا فى تحركات ليلة الثورة ، وأيدت الثورة فى مواجهة موقف الاتحاد السوفيتى وكل الأحزاب الشيوعية فى العالم . وبدأت خطة التصادم بمصادرة جريدة « الكاتب » ثم مجلة « الواجب » ، وكانتا تصدران عن « حدتو » .

وأدى ذلك إلى المزيد من التمايز بين موقفى وموقف الزملاء فى « مجلس القيادة » ، وأدى بى إلى المزيد من النقاش مع الضباط فى سلاح الفرسان فزاد ذلك من غضب عبد الناصر ، وغضب الزملاء فى المجلس .

□ □ □

وهكذا كانت السلطة تتبلور فى اتجاهين : « مجلس القيادة » يمسك بمفاتيح الحكم أكثر فأكثر ، والكثيرون منا يتحولون بالفعل إلى حكام حقيقيين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وعلى الصعيد الآخر بدأ موقفى يزداد تمايزا ، بما جعلنى أشعر بالعزلة إزاء الزملاء فى « مجلس القيادة » ، ولعل هذه العزلة دفعتهم إلى إخفاء بعض الأمور عنى ، ودفعتنى إلى المزيد من الالتصاق بإخوتى فى سلاح الفرسان .

وكان للأمر وجهه الآخر ..

فنحن فى « مجلس القيادة » حرصنا على ألا نحصل لأنفسنا على أية امتيازات ، كل ما تميزنا به سيارة جيب ، وسائق يحمل سلاحا .. وفقط ، ولكن لم تكن هناك حتى ذلك الحين امتيازات مالية أوعينية أخرى ..

وعندما أصبح البعض منا وزراء تقاضوا بالطبع مرتب الوزير الذى يزيد بكثير عن مرتباتنا كضباط ، وأثير هذا الموضوع على سبيل الفكاهة فى بداية الأمر ، ثم بشكل جدى فيما بعد ، واقترح عبد الناصر حلا يبدو فيه الطابع الشخصى فى العلاقة ، وهو أن يقوم كل وزير من الزملاء أعضاء « مجلس القيادة » بدفع مبلغ من مرتبه ، ويجمع جمال هذه المبالغ ثم يقسمها بالتساوى علينا نحن الذين لم نعين وزراء .

واستمر هذا الأمر عدة أشهر ، ثم تراخى الزملاء الوزراء فى سداد ما يدفعون معلنين أن وضعهم كوزراء يملى عليهم التزامات اجتماعية تتطلب نفقات إضافية .

ومن هنا بدأت فكرة إعداد ميزانية خاصة « لمجلس القيادة » ثم بعد ذلك استخدمت فى أغراض أخرى .

ولعلنا سنتطرق لهذا الموضوع فيما بعد .

١٤ أكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر

الأشـــهر الحـاســمة

ما أن أقطع علاقتى بأحمد فؤاد أو يعتقلوه .

ـ قدمت استقالتى دفاعا عن العمال .

ساطين القانون الدستورى .. ضد الدستور .

ـ سأل عبد الناصر ثروت : ماذا لو اعتقلنا خالد ؟

ـأساة أن تقف وحدك .

كانت الأشهر الثلاثة : أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر ١٩٥٢ هى أشهر تكريس الخلاف والتمايز بينى ، وبين الزملاء فى « مجلس القيادة » .

فالعديد من المواقف كانت تتخذ ضد إرادتى ، كنت أناقش فى الغرف المغلقة ، أعترض ، وألح فى الاعتراض ، وأذكرهم بمواقفنا القديمة قبل الثورة ، وما تعاهدنا عليه ، وبرنامجنا ، وبعد ذلك كله تأتى نتيجة التصويت لأقف وحدى ، أو أنا ويوسف صديق .

وبهذه المناسبة أود أن أوضح نقطة بالغة الأهمية هى طبيعة علاقتى بيوسف صديق وأحمد فؤاد و « حدتو » .

فالغريب أننى لم أفكر ، ولم أحاول ، أن أنسق مع يوسف صديق داخل المجلس ، ذلك أن علاقتى به كانت محدودة ، ولم أتعرف عليه إلا فى مرحلة متأخرة ، كما أننى لم أكن فى واقع الأمر زميلا له فى « حدتو » .

.. فمنذ تركت « ايسكرا » فى بداية عام ١٩٤٧ لم تكن لى أية علاقة تنظيمية مع الشيوعيين ، والحقيقة أن هذه العلاقة مع « ايسكرا » لم تستمر إلا عدة أسابيع حضرت فيها اجتماعات محدودة ، وبسبب سوء تصرف المسئول تركت هذه الاجتماعات فى نفسى أثرا سلبيا أبعدنى عن الحركة ، وعن أية علاقة تنظيمية معها .

وعندما عاود أحمد فؤاد الاتصال بى وافقت على هذا الاتصال كعلاقة عامة ومفتوحة مع اليسار ، دون أى التزام تنظيمى من جانبى ، ومن ثم لم تكن لى أية علاقة تنظيمية « بحدتو » ، وإنما كنت على علاقة شخصية بأحمد فؤاد فحسب ، وكان عبد الناصر هو أيضا على علاقة شخصية بأحمد فؤاد .. لكن علاقتى كانت مختلفة ، فأنا لم أكن أتعامل مع أحمد فؤاد من خارج الإطار الفكرى ، بل كنت أعتبر نفسى يساريا بشكل ما ، وإنما لم أرتبط ، ولم أنتظم ولم أتعهد بالانتظام فى إطار تنظيمى محدد .

ولهذا فإن ما يورده الأخ الأستاذ أحمد حمروش فى كتابه الممتاز« قصة ثورة ٢٣ يوليو » عن علاقتى التنظيمية « بحدتو » ليس صحيحا ، وربما كان أحمد فؤاد قد أثار لبسا ما ، فربما كان يبلغهم فى الاجتماعات التنظيمية أن خالد معى ، لكننى فى الحقيقة لم أكن معه ، وإنما كنت فقط على علاقة به .

وبرغم هذا ، وبرغم أن علاقة عبد الناصر قد توثقت كثيرا مع أحمد فؤاد ، فقد أدت تداعيات الأحداث وما شهدته من تحولات وتمايز فى المواقف ، وتحول الزملاء فى « مجلس القيادة » إلى حكام .. أدت إلى أن يصبح موضوع أحمد فؤاد أحد موضوعات الصدام بينى وبين الزملاء فى « مجلس القيادة » ، ففى فترة من فترات الاحتداد فى الاجتماعات المغلقة طلبوا منى أن أقطع علاقتى بأحمد فؤاد ..

كانت علاقتى مع أحمد فؤاد هامشية ، ولم تكن ذات بُعد تنظيمى ، ولم أكن ملتزما أمامه بشيء محدد ، لكننى وجدت فى الأمر مساسا بفكرى وبكرامتى ورفضت ، وهنا تعرضت لأغرب عملية ضغط يمكن أن يتعرض لها إنسان فى وضع كوضعى ، فقد خيرنى الزملاء بين أحد أمرين : إما أن أتعهد بأن أقطع علاقتى بأحمد فؤاد - وكانوا يعلمون أننى أفى بما أتعهد به - وإما أن يوضع أحمد فؤاد فى السجن حتى لا أستطيع الاتصال به . وصوّت « مجلس القيادة » على قرار غريب : « يطلب إلى العضو السيد خالد محيى الدين عضو المجلس أن يوقف أية علاقة مع أحمد فؤاد » ، وطوال النقاش كان يوسف صديق صامتا ولم يتدخل ، ووقفت وحدى تماما .

.. إلى هذا الحد وصلت الأمور بينى وبين الزملاء .

□ □ □

والحقيقة أن التمايز كان يتخذ مسارات عديدة ..

فإذ كانت الحركة النقابية تستعد لعقد مؤتمر لإعلان اتحادها العام ، صدر قرار بعدم عقد المؤتمر ، ومن ثم منع قيام اتحاد عام للعمال .

وأذكر أن صاحب الاقتراح بمنع قيام اتحاد عام للعمال كان الأخ سيد قطب أحد قادة الإخوان ، وكان يعمل فى ذلك الوقت مستشارا لعبد المنعم أمين الذى كان يشرف على وزارة الشئون الاجتماعية ، وهى الوزارة التى كانت تتبعها فى ذلك الحين مصلحة العمل ، وكانت حجة سيد قطب أن مثل هذا الاتحاد سيكون مناوئا للثورة ، وأن الشيوعيين سوف يسيطرون عليه . وكذلك أسهم سيد قطب فى إعداد مشروع قانون

جديد لعقد العمل الفردى ، وقد تحمس عبد المنعم أمين لهذا المشروع حماسا شديدا رغم أنه كان مجحفا إجحافا شديدا بحقوق العمال ، فهو يحرّم الإضراب ويسمح بالفصل التعسفى ، وعندما نقل إلىّ أحد الضباط نص هذا المشروع ذهبت إلى عبد المنعم أمين فى وزارة الشئون ، وتناقشنا طويلا فى الموضوع وأصر كل منا على رأيه ، وكان عبد المنعم أمين يقرر صراحة أننا بحاجة إلى دكتاتورية صناعية طالما أننا قررنا إقامة دكتاتورية عسكرية . واتفقنا على الاحتكام إلى « مجلس القيادة » ..

وفى المجلس وقف الجميع ضدى ، وفى البداية حاول يوسف صديق مساندتى ، لكنه عندما وجد الهجوم ضدى عنيفا سكت ولم يشارك ، وكان الزملاء متحمسين للغاية : كيف نعطى العمال حق الإضراب ، ولمصلحة من هذه الفوضى ؟ وإذا سمحنا بالإضراب فسوف يفلت البلد من أيدينا ، ونحن نريد تشجيع الاستثمارات وهذا سوف يعرقل الاستثمار .. وهكذا ، بل وصل الأمر إلى أن بعض الزملاء اعتبر أن مجرد إثارة هذا الموضوع تمثل محاولة لإحراج المجلس .

وفيما بعد تسبب هذا الموضوع فى أزمة أخرى بينى وبين الزملاء .. ففى مارس ١٩٥٣ عُرض مشروع قانون عقد العمل الفردى فى « المؤتمر المشترك » (وهو اجتماع يضم أعضاء « مجلس القيادة » ومجلس الوزراء) ، وطرح للبحث من جديد موضوع الفصل التعسفى الذى اشتهر بموضوع المادة ٣٩ من قانون عقد العمل الفردى ، وتكتل الجميع ضدى ، وكان عبد الناصر غائبا ، **وتقدمت باقتراح بسيط للغاية ، وهو حق العامل فى اللجوء إلى المحكمة إذا فُصل تعسفيا ، فإذا قررت المحكمة حقه فى العودة للعمل تحتمت عودته ، لكن الجميع رفضوا ذلك أيضا بحجة أنه سوف يخيف رأس المال .**

.. إزاء ذلك قررت أن أقدم استقالتى .

وأرسلت إلى جمال عبد الناصر الرسالة التالية :

« حضرة المحترم وكيل مجلس الثورة :

أتشرف بتقديم استقالتى من عضوية مجلس الثورة لأنى أصبحت أشعر أنه لا فائدة من بقائى عضوا بمجلس الثورة ، ولا أستطيع إزاء ذلك أن أؤدى خدمات لبلادى وللشعب المصرى العزيز علينا جميعا مادمت باقيا بهذا المجلس ، لأننى قد فقدت القوة الدافعة على العمل ، نتيجة أننى أرى أن أقل ما كانت تصبو إليه نفسى من أفكار ومبادىء لا أستطيع تنفيذها أو المساعدة على تنفيذها ، بل وأرى الاختلاف البيّن بين رأيى ورأى جميع الزملاء أعضاء مجلس الثورة ..

لقد حدثت مناقشة فى جلسة المؤتمر المشترك الأخيرة عن تعديل قانون العمل الفردى الخاص بالفصل التعسفى أى الفصل بلا مبرر ، فظهر من مناقشة جميع إخوانى أعضاء مجلس قيادة الثورة أنهم لا يوافقون على إعادة العمال لعملهم إذا ثبت للمحكمة أن الفصل بلا سبب أو مبرر ، وهذه المحكمة هى التى أقرها التعديل المذكور ، وأنا أعتبر أن هذا ظلم فادح لفئة العمال التى تعتبر العمود الفقرى لأى أمة تريد أن تبنى مكانها اللائق بها بين الأمم ..

وإذا كنت قد اشتركت أو ساهمت بمجهود فى حركة ٢٣ يوليو ٥٢ فإننى كنت أشعر أن الشعب المصرى بفئاته وطبقاته يقع عليها الظلم ولا تستطيع أن ترده ، ولذلك قمنا بالحركة نيابة عن الشعب والجيش لدفع هذا الظلم ، وتحقيق الرفاهية والسيادة للشعب ، فإذا كنت لا أستطيع ذلك فإننى أرى من واجبى أن أتنحى حتى لا أشعر بمرارة تأنيب الضمير فيما بعد .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

كوبرى القبة فى ٣١ - ٣ - ١٩٥٣

صاغ
خالد محيى الدين ،

حضرة المحترم وكيل مجلس الثورة

اتشرف بتقديم استقالتي من عضوية مجلس الثورة لأنني
اصبحت اشعر انه لا فائدة من بقائي عضوا بمجلس الثورة وعجزا تاما عن اداء ذلك
أن اؤدي خدمات للوطن وللشعب المصري العزيز علينا جميعا مادمت باقيا بهذا
المجلس لأنني قد فقدت الثقة الدافعة على العمل نتيجة أنه ارى ان ما كانت تصبوا اليه
نفسي من افكار ومبادئ لن استطيع تنفيذها او المساعدة على تنفيذها. بل وان الاختلاف
البين بين رأيي وآراء جميع الزملاء اعضاء مجلس الثورة.
حدثت مناقشة في جلسة المؤتمر الاخيرة عن تعديل قانون العمل الفردي الخاص بالفصل التعسفي
اي الفصل بلا مبرر فظهر من مناقشة جميع الاعضاء وخاصة اخواني اعضاء مجلس قيادة الثورة
انهم لا يوافقون على اعادة العمال لعملهم. اذا ثبت للمحكمة ان الفصل بلا سبب او مبرر
وهي المحكمة التي اقرها التعديل المذكور. وانا اعتبر ان هذا ظلم فادح على فئة العمال
التي تعتبر العمود الفقري لاي امة تريد ان تبني مكانها اللائق بها بين الامم. واذا
كنت قد اشتركت او ساهمت بمجهود في حركة ٢٣ يوليو ٥٢ فلانني كنت اشعر ان الشعب المصري
بفئاته وطبقاته يقع عليه الظلم ولا تستطيع ان ترده. ولذلك قمنا بالحركة بالنيابة
عن الشعب والجيش لدفع هذا الظلم وتحقيق الرفاهية والسيادة للشعب. فاذا كنت لا استطيع
ذلك فانني ارى من واجبي أن اتنحى حتى لا اشعر بمرارة تأنيب الضمير فيما بعد.
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

صاغ
خالد محيي الدين

كوبري القبة
٣١/٣/١٩٥٣

□ صورة الاستقالة بخط خالد محيى الدين .



□ خالد محيى الدين عام ١٩٥٣ .



□ خالد محيى الدين عام ١٩٦٥ .

والحقيقة أننى كتبت هذه الاستقالة وكأنني أزيح عن كاهلى عبئا ثقيلا ، وأحسست براحة بالغة بعد أن أرسلتها ، وقلت لنفسى الآن ارتاح ضميرى .

فقد كنت أعيش فى مأزق حقيقى ، فأنا أعارض فى غرفة مغلقة ، وهم يملكون الأغلبية أو الإجماع ضدى ، ويملكون أجهزة الإعلام ، إذا قلت رأيى لأحد قالوا إننى أذيع أسرار المجلس ، وأتحدى التضامن المفترض بين الزملاء فى « مجلس القيادة » .

على أية حال رفض عبد الناصر الاستقالة ، وربما لم يجد أن الوقت مناسبا ، أو أنه ليس من المناسب أن أخرج هكذا مدافعا عن حقوق العمال .

المهم عقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا حضره عباس عمار وزير الشئون الاجتماعية الذى وجد حلا وسطا هو أن يُمنع الفصل التعسفى بسبب النشاط النقابى ، ووافق عبد الناصر ووافقت أنا .. وانتهت الأزمة إلى حين .

□ □ □

لكننا بهذا نكون قد ابتعدنا عن الأشهر الثلاثة الحاسمة ، التى مهدت لكل ما حدث بعدها من تداعيات وأحداث .

ويمكننى القول بأن أغلب من أحاطوا بالثورة من مستشارين ومن قوى سياسية كانوا يعملون جميعا من أجل استمرار العسكريين فى الحكم ، وضد الديمقراطية والبرلمان .

قلت إن السنهورى وسليمان حافظ وفتحى رضوان كانوا يشجعون الضباط على تحدى الدستور والديمقراطية بحجة أنها ثورة وأن للثورة قانونها الخاص ، كذلك كان الدكتور سيد صبرى استاذ القانون الدستورى يشجع فى هذا الاتجاه أيضا ، ويقول إنه لا مبرر للتمسك بالنصوص ، وأن البلد فى وضع ثورى وبحاجة إلى خطوات ثورية وإلى فقه ثورى .

والإخوان المسلمون كانوا يشجعون هذا الاتجاه كذلك ، ربما بأمل ضرب كل القوى السياسية الأخرى ، ثم بعدها يتمكنون من احتواء الثورة ، ناسين أن افتقاد الديمقراطية قد ينقلب وبالا عليهم ، وقد انقلب بالفعل وبالا عليهم وعنفا ضدهم .

وكان يصب فى هذا الاتجاه أيضا أن الجماهير الشعبية لم تكن تحترم الحياة الحزبية السابقة ، وكانت تشعر بما فيها من فساد وتحلل ، وقد اندفعت هذه الجماهير فى تأييد رجال الثورة تأييدا مذهلا ، خاصة بعد طرد الملك ، وصدور قانون الإصلاح الزراعى ، والحديث المتصاعد ضد الاستعمار ، وشعار « ارفع رأسك يا أخى » ، وإلغاء الألقاب .. وكانت زيارات أعضاء « مجلس القيادة » لعديد من المدن فرصة لتحرك أمواج هادرة من البشر تهتف بحياتهم ، وتحاول أن تحمل سياراتهم وتعرب عن تأييدها لهم ، وكان ذلك كله يزيدهم تمسكا بموقفهم ، وكثيرا ما كنت أناقش جمال عبد الناصر عن الديمقراطية وعن ضرورة إشراك الجماهير ، فكان يرد علىّ باسما : **ألا ترى أن الجماهير تؤيدنا .**

يضاف إلى ذلك أيضا أن الأحزاب السياسية لم تقاوم ولو بأقل قدر ما وجه إليها من

صفعات ، بل استسلمت استسلاما مثيرا للدهشة وخييت الآمال فيها ، بما شجع الزملاء فى « مجلس القيادة » على المضى قدما فى طريقهم ، فباستثناء الإخوان المسلمين والشيوعيين لم يتحرك أحد .

وبدأ أساطين القانون الدستورى يدبجون للثورة نصوصا تمكنها من التلاعب بالحياة الحزبية ، ويرسمون لها خطوات ماكرة أربكت الأحزاب التى كانت مرتبكة بذاتها وضعيفة وعاجزة عن ممارسة أى فعل يمتلك صفة الاعتراض أو المقاومة .

ففى البداية قالوا إنه يتعين على الأحزاب أن تطهر نفسها ، وتجهد الأحزاب نفسها فى تطهير صفوفها وتتصادم داخليا ، ويطرد البعض البعض الآخر بأمل الفوز بقبول ما تم فيها من تطهير ، ثم تكتشف أن « الثورة » ترى أن هذا التطهير غير كاف ، ثم يُسن قانون ملتو ومليء بالمخارج والثغرات يطلب إلى الأحزاب أن تتقدم إلى وزير الداخلية بطلب إشهارها من جديد ، ويعطى لوزير الداخلية حق الاعتراض على أى من المؤسسين ، وبالفعل يتم الاعتراض على مصطفى النحاس ، وكان هذا الاعتراض خطوة مبالغا فيها ، فقد كان مصطفى النحاس بكل المعايير زعيما وطنيا مرموقا ، وارتبك الوفد أكثر فأكثر ، فتارة يعلن أنه يرفض الاعتراض على النحاس ويتمسك به ، وتارة يعلن أنه سيقبل الاعتراض ، وانقسم الوفديون .

وهكذا أدى الخبراء الدستوريون الذين اشتهروا للأسف بأنهم ليبراليون دورهم فى مناوأة الدستور والحياة النيابية بمهارة فائقة .

وفى خضم هذا كله كنت أستشعر المزيد من الغربة وسط زملاء « مجلس القيادة » ، وكانت لقاءاتى مع ضباط الفرسان هى المتنفس الوحيد ، وتتابعت اللقاءات فى مكتبى كضابط مخابرات سلاح الفرسان ، ثم اقترح بعض الزملاء عقد اجتماع « للضباط الأحرار » فى الفرسان ، وعُقد الاجتماع ، **وقد غضب عبد الناصر عندما أبلغته بذلك ، وسألنى : أنتم بتجتمعوا فين ؟ فقلت : فى منزل واحد منا أو فى مكتبى بالسلاح ، وأرسل عبد الناصر ضابطا من الفرسان لم يكن من « الأحرار » ، لينقل له ما يدور فى جلساتنا ، وهذا الضابط هو صلاح عيداروس ، وفى إحدى الجلسات دار النقاش ساخنا كالمعتاد ، انتقد الضباط تصرفات « مجلس القيادة » ، وقال أحدهم : لابد من أن نعقد اجتماعا « للضباط الأحرار » ويقدم لنا كشف حساب عما فعلته القيادة حتى الآن ، لأننا زملاؤكم ومسئولون مثلكم أمام الجيش وأمام الشعب ، وقلت : والله سأنقل هذا الاقتراح للقيادة ، فرد أحدهم وقال : وإذا لم يقبلوا ؟ فاندفع أحد الجالسين قائلا : نبقى نعمل انقلاب ونشيلهم .**

وأسرع صلاح عيداروس بالخبر إلى عبد الحكيم عامر ، وكان مديرا لمكتب محمد نجيب ، وضخم عامر الموضوع بشكل كبير ، والحقيقة أننى لم آخذ هذه الكلمة (الانقلاب) مأخذ الجد ، واعتبرتها نوعا من التعبير عن التوتر السائد ، لكن عبد الحكيم أبلغ عبد الناصر ، وذهبا معا إلى ثروت عكاشة ليسألاه سؤالا غريبا : **إذا أصدرنا أمرا باعتقال خالد ، فهل ستستطيع السيطرة على سلاح الفرسان ؟ وثار ثروت ورفض الفكرة ، وقال إنه معترض على اعتقالى ، وثار عبد الناصر وقال له إن الثورة لن تتوقف فى سبيل شخص واحد ، وإزاء إصرار ثروت عكاشه وخوف الزميلين من ردة فعل عنيفة من الفرسان قالا لثروت : إذن سنحاسبه فى « مجلس القيادة »** .

وفى المساء أبلغونى أن هناك اجتماعا عاجلا « لمجلس القيادة » ، واتصل بى ثروت عكاشه طالبا بإلحاح أن أمر عليه قبل الاجتماع ، لكننى كنت منشغلا ، وألح بشدة ، فلما اعتذرت أفهمنى بلباقة أن أكون هادئا فى الاجتماع .

وفُتح الموضوع وتحدث الزملاء بتوتر شديد ، فكيف أستمع إلى تهديد بعمل « انقلاب » ضد الثورة وأسكت ، وتحدثت بهدوء مؤكدا أننى أخذت هذه الكلمة ببساطة ، خاصة وأن من يريد عمل انقلاب لا يقولها هكذا بصراحة فى اجتماع عام .

وتطرق الحديث إلى مقابلاتى مع الضباط ، واجتماعات « الضباط الأحرار » فى الفرسان ، وأنه لا مبرر لها ، وأن كثيرين منهم لم يأتوا لنا إلا ليلة الثورة ، وأن آخرين لم يسهموا فى الثورة بشىء ، فكيف يأتون اليوم ليطلبوا محاسبتنا .

وطوال ثلاث ساعات تعرضت لهجوم شديد من الجميع ، وظل يوسف صديق صامتا ، وطُرح فى هذا الاجتماع موضوع علاقتى بأحمد فؤاد ، وطلبوا منى عدم مقابلته كما رويت من قبل ، واتُّخذ القرار الغريب بعدم مقابلتى له .

□ □ □

ويتواصل التوتر فى العلاقة ، ونأتى إلى قصة « مجلة التحرير » ..

وقد كان صاحب اقتراح إصدارها يوسف صديق الذى ألح (وربما بإيعاز من « حدتو ») بأهمية أن يكون « لمجلس القيادة » مجلة تعبر عن رأيه فى الأحداث ، وكُلف يوسف صديق بإصدار مجلة أسميت « مجلة التحرير » ، وتولى رئاسة تحريرها أحمد حمروش الذى جمع فيها العديد من الصحفيين اليساريين . وكالعادة فإن الزملاء اليساريين كانوا يعشقون الألفاظ العالية الرنين والشعارات الساخنة ، وكانوا يتصورون أنهم بذلك

يضعون الثورة أمام مسئولياتها ، وأمام التزاماتها السابقة ، وأمام برنامجها القديم « أهداف الضباط الأحرار » ، ناسين أن الدنيا قد تغيرت ، وأن الضباط الثائرين على الحكم القديم أصبحوا حكاما ، وأن التأثير فيهم لا يكون بمثل هذه الحجة ولا بهذا التحدى ..

والنتيجة أنه ، وبعد ثلاثة أعداد ساخنة للمجلة ، أتى عبد الناصر وقال إن المجلة شيوعية ، وأنه يتعين تغيير رئيس التحرير .

وأبعد حمروش واستُدعى ثروت عكاشه ..

قابل عبد الناصر ثروت عكاشه فى حضورى ، وقال له بوضوح : يا تروت أنا عايزك تمسك « مجلة التحرير » ، ويمكن أن يكتب فيها كل من تشاء بشرط ألا يسيطر عليها الشيوعيون وتصبح مجلة شيوعية . والحقيقة أن ثروت أصدر المجلة بشكل جيد ، ونشر فيها العديد من المقالات الممتازة عن الدستور وعن الديمقراطية ، وبهذا أصبحت « مجلة التحرير » لسان حال للجناح الليبرالى فى الثورة .

وكتبت أنا فيها عدة مقالات عن العدالة الاجتماعية والاقتصادية ، وعن النقابات وحرية العمل النقابى ، ونجحت المجلة وزاد توزيعها ، واستمر الأمر كذلك حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٣ عندما كتب ثروت مقالا عن دوره فى الثورة ، وفيما يبدو أنه تحدث عن دوره كثيرا ، وقلل من دور حسين الشافعى وصلاح سالم ، وحدثت مشكلة ، إلى درجة أن البعض قرر مصادرة العدد ، وانتهى الأمر بأن أرسل المقال محل الخلاف إلى عبد الحكيم عامر الذى قرأه وقال إنه ليس فيه شىء يستحق المنع . وصدرت المجلة لتثير الكثير من الجدل والحساسيات ، وأصدر وزير الإرشاد بيانا أعلن فيه أن « مجلة التحرير » لم تعد تعبر عن القوات المسلحة ، ثم اجتمع مجلس الثورة ليقرر إخضاع المجلة كلية للرقابة . وبعدها تقرر إبعاد ثروت عن المجلة ، وعندما عرف بالخبر اصطحبنى إلى دار الهلال حيث كانت تطبع المجلة ، وأمرنا - نحن الاثنان - بتكسير كل الصفحات التى تم جمعها من المجلة ، وأحدث ذلك مشكلة أخرى ، وغضب الزملاء فى « مجلس القيادة » من تضامنى مع ثروت ومساندتى له .

وانتهت المسألة بأن أرسل ثروت ليعمل ملحقا عسكريا فى برن ، ولكن ورغبة من بعض الإخوة فى القيادة فى الانتقام منه أرسل إلى هناك ملحق جوى - هو عمر الجمال - وكان أرقى رتبة من ثروت ، وبهذا فقد ثروت كل دور هناك ، وظل يلح حتى نقل ملحقا عسكريا فى باريس ، وهناك انغمس فى مناخ الحياة الثقافية وأعد رسالة دكتوراه .

□ □ □

وهكذا ومع كل خطوة تمضى ، ومع كل يوم يمر من أيام هذه الأشهر الثلاثة (أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٥٢) كان يتحدد موقف الزملاء منى ، وكنت أحدد موقفى منهم ، وأصبحت وبصدق أستشعر خلافا شديدا مع ما يصدر من قوانين وتشريعات ..

قانون رأس المال الأجنبى ، قانون الأحزاب ، إلغاء دستور ١٩٢٣ ، حل الأحزاب ، القبض على ضباط المدفعية .

وفى هذه الأثناء أعلن مجلس قيادة الثورة ، كسلطة سيادة ، وتغير اسم « مجلس القيادة » إلى « مجلس قيادة الثورة » ، وبطبيعة الحال كان نجيب رئيسه وجمال عبد الناصر هو الوكيل .

وفى ١٨ يناير ١٩٥٣ شن الأمن حملة اعتقالات واسعة شملت ١٤ من قادة الأحزاب ، و ٣٩ شخصا بتهمة الاتصال بجهات أجنبية ، و ٤٨ شيوعيا أغلبهم أو ربما كلهم من أعضاء « حدتو » .

وأعلنت فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات ، وأعلن قيام « هيئة التحرير » وأعلن الدستور المؤقت الذى أعلن أن سلطة السيادة فى الدولة هى لمجلس قيادة الثورة ، ولرئيس مجلس الثورة فى مجلسه .

.. إنها مرة أخرى ألاعيب القانونيين : « لرئيس المجلس سلطة السيادة فى مجلسه » أى أن الرئيس بمفرده لا يمتلك سلطة السيادة ، ولا المجلس بمفرده يمتلكها .

كما تقرر تشكيل ما يسمى « المؤتمر المشترك » وهو هيئة تضم أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء لمناقشة التشريعات وإصدارها .

.. إنه الحكم العسكرى المباشر .

وأحسست أن كل أحلامى عن حكم نيابى وديمقراطى تتلاشى ..

وقررت أن أركز كل جهودى على أن تكون فترة الانتقال ، فترة انتقال فعلا ، وأن تكون قصيرة قدر الإمكان وألا تزيد بأى حال عن الثلاث سنوات التى أعلنت ، واذا أمكن إنقاصها يكون ذلك أفضل ، وكنت أعتقد أنه يمكن تحقيق ذلك بأن يسعى مجلس الثورة لإيجاد تنظيم جماهيرى حقيقى ، وليس مثل « هيئة التحرير » ، فإن نجح فى ذلك فإنه يمكنه بعد انتهاء فترة الانتقال أن يقتحم الانتخابات البرلمانية مطمئنا ، وإلا فإن مصير فترة الانتقال هو أن تمتد بلا نهاية .

وبذلت كل جهودى لإقناع الزملاء بوجهة نظرى وفشلت ، كانت السلطة مغرية ، وكانت الجماهير تؤيدهم ، وأحسست أن كل أحلامى تتلاشى ، وفكرت كثيرا فى أن أستقيل .

وأعترف أننى قد عالجت الأمر بطريقة غير صحيحة ، فإذا كان الزملاء فى « مجلس القيادة » يتحفظون إزاء مواقفى ويرفضونها ، وإذ شعرت بالعزلة عنهم فقد بدأت فى الالتصاق أكثر فأكثر بضباط الفرسان مما أثار لدى الزملاء هواجس حقيقية .

والحقيقة أننى فى هذه الفترة كنت أقف وحدى تماما ، حتى محمد نجيب كان يقف معهم ضد أى توجه ديمقراطى ، وضدى شخصيا ، وبينما كان الجو متوترا ، زاده نجيب توترا بأن جاء إلى « مجلس القيادة » وقال إن أحد الضباط قال له إن خالد وثروت عكاشه غير راضين عن هيمنة جمال عبد الناصر على المجلس .

وبعدها حاول نجيب أن يبرر لى تصرفه بأنه خشى أن يكون هذا الضابط مدسوسا عليه من عبد الناصر ليتعرف على رد فعله ، وأنه طرح الأمر ليبرىء نفسه .

وبدأ الزملاء يستشعرون حالة من التوجس إزائى ، وبدأوا يلحون على حسين الشافعى بأن يتيقظ لما يجرى فى سلاح الفرسان .

□ □ □

والحقيقة أن الموج المعادى للديمقراطية كان عاليا ومستندا إلى عوامل عديدة ، ولم تكن هناك مقاومة سياسية أو طبقية تذكر ، فقط كانت هناك بعض التحركات فى الجامعة ، لكن الجامعة وحدها لا تكفى إذا لم يكن هناك تجاوب جماهيرى معها .

ويمكننى أن أقول وبضمير مرتاح إن محمد نجيب كان فى هذه الفترة من أكبر المتحمسين لانفراد مجلس الثورة بالسلطة ، كل السلطة ، وكانت هذه وجهة نظر العديد من الضباط ، لكن نجيب يتحمل مسئولية كبرى فقد كان يدفع الأمور دفعا فى هذا الاتجاه مستندا إلى موقعه كرئيس لمجلس قيادة الثورة .

كذلك يتحمل مسئولية أساسية فى ذلك جماعة الإخوان المسلمين ، الذين حرضوا وواصلوا التحريض ضد الحياة النيابية والأحزاب السياسية بأمل أن يفرضوا سيطرتهم على الثورة ، لكن الأمور انقلبت عليهم .

كذلك كانت الطبقة الوسطى .. فقد سئمت الحياة النيابية والأحزاب التقليدية وربطت بينها وبين كل فساد الماضى ، ولعلى لم أدرك عمق هذه المشاعر إلا فى أزمة مارس عندما أحسست بمشاعر الكثيرين منهم ضدى ، إلى درجة أن كل أقارب زوجتى (إذا استبعدنا أقاربى لشبهة تأثرهم بوضع زكريا محيى الدين ابن عمى وموقفه) كانوا ضد مواقفى خلال أزمة مارس ، وكانوا يستنكرون مطالبتى بالبرلمان والانتخابات وعودة الأحزاب .

وباختصار كانت معركتى من أجل الديمقراطية صعبة ، بل ومريرة المذاق .

ولعل قضية لم تظل محلا للجدل والأخذ والرد حتى الآن مثل « **علاقة ثورة يوليو بالديمقراطية** » ، فبرغم أننا ومنذ الأيام الأولى لمحاولة بناء تنظيم « الضباط الأحرار » كنا نعتقد ونعلن ونتمسك بالديمقراطية كمخرج للوطن وللشعب ، لكننا نسينا فى غمرة حماسنا ونحن ضباط عاديون أن الديمقراطية تعنى فى الأساس تداول السلطة ، فما أن أصبحنا حكاما حتى نسى البعض ما تعاهدنا عليه ، وتمسك بالسلطة ، ولعله قد منح نفسه طمأنينة إذ أكد لها أن البقاء فى السلطة هو بذاته حفاظ على منجزات الثورة وحفاظ على مصالح الشعب . ولا شك أن موقفا كهذا قد استند أيضا إلى فساد الحكم فى العهد الملكى ، وإلى شكلية التوجه الديمقراطى .

كذلك فإن فكرة الانتخابات كانت تعنى فى الأيام الأولى للثورة عودة الوفد للحكم ، ولقد سبق أن قلت إن الوفد لم يكن يحظى بشعبية فى صفوف الجيش بسبب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ثم بسبب ما أشيع عنه من فساد فى حكوماته المتتالية .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن جهابذة القانون الدستورى الذين أشبعوا مصر حديثا عن الحريات والدستور ، والذين اتشحوا بوشاح ليبرالى واضح ، كانوا يحرضون زملائى فى القيادة على عدم الاعتداد بالدستور أو الديمقراطية أو الانتخابات .. اتضح لنا أن مسار عبد الناصر باتجاه عدم الاعتداد بالديمقراطية لم يكن خروجا غير مألوف ، وعندما جاءت أحداث مارس ١٩٥٤ خاضها عبد الناصر بكل ثقله واستطاع أن يسيّر مظاهرات تهتف « تسقط الديمقراطية » ، وانتصر عبد الناصر فى مارس ١٩٥٤ ، **لكنه لم يدرك أن كسب جولة كهذه شيء ، وكسب المسار التاريخى شيء آخر . وفى اعتقادى أن مارس ١٩٥٤ ونجاح عبد الناصر فيه مثّل تجربة ظلت تهيمن لفترة طويلة على أسلوب عبد الناصر فى الحكم ، وتصرفاته إزاء معارضيه ، واستمد من نجاحه فى مارس أساسا فعليا لتجربته ، ولم يدرك أن مثل هذا النجاح وقتى بالضرورة ، ولم يكتشف متى يتعين عليه العودة للديمقراطية والتعددية الحزبية ، وانساق وراء وهم نجاح التجربة حتى كانت**

هزيمة ١٩٦٧ . وفى اعتقادى أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ لم تكن هزيمة عسكرية ، بل هى فى الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته فى اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا . وبعد الهزيمة كانت هناك فرصة تاريخية لتحقيق الديمقراطية ، لكن هذه الفرصة ضاعت ، لأن الديمقراطية تتطلب من الحاكم أن يقدم تنازلات للشعب ، ولم يكن عبد الناصر مستعد - حتى رغم الهزيمة - أن يقدم أية تنازلات .

وللحقيقة فإننى أعتقد أن أزمة الديمقراطية التى ولّدتها ثورة يوليو لم تزل قائمة فى بلادنا حتى الآن .

.. صحيح أن يوليو حققت قدرا من الديمقراطية الاجتماعية ، وحققت للشعب منجزات كبيرة ، لكن افتقاد الحماية الشعبية لهذه المنجزات كان المقتل .

ولم يدرك عبد الناصر أن هناك فارقا كبيرا بين رضاء الشعب عن الحاكم وتأييده له ، وبين المشاركة الفاعلة للشعب فى اتخاذ القرار ، بل وفى حكم نفسه بنفسه .

لقد فجرت قضية الديمقراطية أزمة مارس ١٩٥٤ ، وكان هناك طرفا صراع ، كان لابد لأحدهما أن ينتصر على الآخر ، وانتصر عبد الناصر ، لكنه لم يدرك أنه بانتصاره هذا حكم على مسيرته كلها أن تظل أسيرة لهذا الانتصار .

.. برغم ذلك كله ، فإننى أعتقد أنه من حيث الجوهر لا يمكن لأى نظام آخر ، سواء قبل يوليو أو بعد يوليو أن يدّعى أنه كان ديمقراطيا بشكل كامل ، أو هو ديمقراطى بشكل كامل .

أو هذا ما أعتقد .

١٦ وتفجرت الخلافات

* « الضباط الأحرار » فى مواجهة القيادة .
* تحرك فى المدفعية .. ضد مجلس الثورة .
* صالح جمال سالم : من لا يوقع على حكم الإعدام ، عليه أن يوقع وثيقة إعدام الثورة .
* قال لى عبد الهادى : أنا مدين لك بحياتى .
* وأدركت لماذا يتصارعون على السلطة .

ومنذ الأيام الأولى للثورة بدأت حساسيات عديدة وسط الضباط ، وخاصة « الضباط الأحرار » . وبدأت حساسيات أكثر بين « الضباط الأحرار » كتنظيم وكفكرة ، وبين بعض الزملاء فى « مجلس القيادة » وخاصة جمال عبد الناصر .

كان العديد من « الضباط الأحرار » يرون أنهم قد تحملوا المسئولية طوال فترة الإعداد للحركة ، وأنهم أسهموا وتحملوا المخاطرة ، بينما يجرى الآن تجاهلهم ، فى حين يصعد البعض لتولى مراكز مرموقة دون سبب واضح

ومع تزايد جرعات النفوذ لدى تحول « مجلس قيادة الثورة » إلى سلطة فعلية ، وتوليه سلطة السيادة فى مصر ، تفاقمت هذه الحساسيات من الجانبين ، جانب يرى أنه يُستبعد ويتم تجاهله ، وجانب آخر يتشبث بالسلطة ويسعى لحماية وضعه فى إطارها .

والحقيقة أن الأمر كان معقدا ..

ففى حدود علاقاتى بضباط الفرسان كان هناك رجال حقيقيون ، وهبوا أنفسهم للعمل من أجل مصر وشعبها ، واستمروا معنا فى « الضباط الأحرار » منذ البداية ، جندوا ، ووزعوا منشورات ، ونفذوا تعليماتنا بتحدى الملك فى نادى الضباط وغيرها من التعليمات ، وخاطروا بمواقعهم بل وبحياتهم ، ثم إذا بهم وبعد نجاح الثورة يفاجأون بمحاولة تحييدهم ، وإبعادهم عن أى دور سياسى ، وكانت لهم ملاحظات وانتقادات ، وآراء يتداولون فيها ، ويطرحونها من موقع إحساسهم بالمسئولية إزاء الثورة ، لكن « القيادة » بدأت تعتبر أن ذلك كله تدخل فى شئونها ، وإثارة للفتنة ، وتعبئة للمشاعر ضدها ، وفوق هذا وذاك ، كانت تعتبر ذلك كله خروجًا على التقاليد العسكرية .

ومن هنا بدأت فى سلاح الفرسان ، وفى الأسلحة الأخرى دعوة لتكوين جمعية عمومية للضباط الأحرار ، تناقش وتتداول ، وتصدر قرارات ملزمة .

وفيما كان الزملاء فى « القيادة » يتشبثون بسلطة اتخاذ القرار منفردين ، كانوا يستندون أساسا إلى ضرورة احترام « التقاليد العسكرية » فى الجيش وإلا أفلت الزمام من أيدينا ، كما كانوا فى واقع الأمر لا يقبلون بأية مشاركة لهم فى « سلطة اتخاذ القرار » .

وربما امتلك كل من الموقفين بعضا من الصحة وبعضا من الخطأ ، ويمكن القول بأن معركتى الأساسية طوال هذه الفترة التى قضيتها عضوا فى « مجلس القيادة »أو فى « مجلس قيادة الثورة » كانت تستهدف إقناع كلا الطرفين بضرورة التوصل إلى حل يكفل احترام آراء « الضباط الأحرار » ، فهم فى نهاية الأمر صناع الثورة ، وهم المنوط بهم حمايتها اليوم ، أو غدا ، ولأنهم القوة التى ستدافع عن « الثورة » لدى أى هجوم معاد عليها ، ويكون هذا الحل أيضا قادرا على كفالة احترام « التقاليد العسكرية » وعدم تقييد « حرية القيادة » فى اتخاذ القرار .

ولقد بذلت جهدى ، ولم أزل حتى الآن أعتقد أننى لو كنت قد حصلت على فرصة إنجاح هذه الفكرة لكان مسار الثورة قد تغير ، ولكان تاريخ مصر قد تغير أيضا ، ولتحصنت الثورة ضد ما وقعت فيه من أخطاء تالية : **من انتهاك لحريات الأفراد والقوى السياسية ، ولنهجت نهجا ثوريا وديمقراطيا فى آن واحد ..**

لكن هذا النهج تحديدا لم يكن مقبولا من جانب بعض الزملاء فى « القيادة » ، ومن ثم فقد تشبثوا بمواقفهم ضد أى فعالية « للضباط الأحرار » ، بل كانوا ينتقدون وبشدة تمسكى بعلاقات وثيقة مع ضباط الفرسان ، بينما كنت أرى أن ضباط الفرسان متوترون ، ويجب أن أستمر فى العلاقة معهم ، لتفهم مواقفهم ، ولشرح مواقف « القيادة » لهم ، وإلا ازدادوا توترا ، فى حين كان بعض الزملاء يعتقدون أننى أستقوى بهذه العلاقة ، ولم يدرك الزملاء فى « القيادة » لفرط حساسيتهم إزاء علاقاتى الوثيقة بضباط الفرسان ، وإزاء افتقادهم لعلاقة مماثلة بضباط أسلحتهم ، أن هذه العلاقة ضرورية وصحية ، وأن افتقادها سوف يفقدنا امكانية ترشيد التوتر ، وسوف يفقدنا مصدرا هاما للمعلومات عن أية تحركات ضدنا فى الجيش ، بل وقد يدفع بعض هؤلاء « الضباط الأحرار » إلى التحرك ضدنا ، وهذا ما حدث بالفعل فى سلاح المدفعية .

وعلى الجانب الآخر كان « الضباط الأحرار » يتفجرون بحساسيات مفرطة إزاء التعاون ، أو الاستعانة ، أو منح مناصب لضباط لم يكونوا « أحرارا » ، بينما كانت هناك وجهة نظر صحيحة أخرى تقول إننا قد أصبحنا ثورة لمصر كلها ، وللجيش كله ، ويجب أن نفتح صدرنا للجميع وأن نكسب الجميع إلى صفنا وألا نحصر أنفسنا فى إطار العدد المحدود من « الضباط الأحرار » .

وحتى أنا تعرضت لانتقادات شديدة من ضباط الفرسان لأننى اخترت جمال منصور مساعدا لى كضابط مخابرات سلاح الفرسان ، وكان جمال منصور محل ثقتى رغم وقوع خلافات سابقة بينه وبين التنظيم .

ولقد تحدثت فيما سبق عن انضمام جمال منصور وكفافى ونصير إلى « الضباط الأحرار » ، وكيف أنهم طلبوا الانضمام كمجموعة ، بينما أصر عبد الناصر - وكان على حق - فى عدم قبول أية انضمامات جماعية ، وأن كل من ينضم إلى « الأحرار » يجب أن ينضم فرديا .

وبعد أن انضموا إلينا ، لعب جمال منصور دورا هاما ، ولم أزل أذكر له أنه هو الذى اختار اسم « الضباط الأحرار » ، وهو الذى رتب عملية شراء « الرونيو » الذى طبعنا عليه منشوراتنا ، وكان صاحب العلاقة مع « شوقى عزيز » الذى كتب لنا على الآلة أول منشوراتنا وهيأ مكان طباعتها .

لكنه بعد انضمامه إلى التنظيم بدأ فى إثارة القلاقل والمشاكل ، وأكثر هو وزملاؤه من الانتقاد لكل شىء ، بالحق وبالباطل ، وطالبوا بمعرفة أسماء « القيادة » ، وتحولوا إلى مشكلة حقيقية فى التنظيم ، فلما رفضنا الانصياع إلى مطالبتهم بمعرفة أسماء « القيادة » تباعدوا عنا .

واتفقت مع عبد الناصر على ألا نتصادم معهم أو نوحى إليهم أننا نتخذ موقعا ضدهم ، وأن نحاول قدر الإمكان الاستفادة منهم ، دون علاقة تنظيمية مباشرة .

والحقيقة أنهم رغم تشددهم غير المنطقى فى انتقاد كل شىء ، كانوا شرفاء ، فلم يفشوا أسرار التنظيم ، ولم يضعوا أمامنا أية عراقيل فى العمل ، واكتفوا بالتباعد .

وعندما كنا نضع اللمسات الأخيرة لتحركنا ليلة ٢٣ يوليو كان جمال منصور فى أجازة ، واقترحت على عبد الناصر الاستعانة بنصير وكفافى ، فرفض قائلا : إنهم سوف يربكون كل استعداداتنا بانتقاداتهم وأسئلتهم ، وإننا فى هذه اللحظات الحرجة نحتاج إلى كل دقيقة فى العمل المباشر وليس فى الانتقاد ، ووافقته على ذلك .

وبذلك امتلك زملاؤنا « الأحرار » فى الفرسان ورقة أن جمال منصور وكفافى ونصير لم يشتركوا فى الثورة .. فكيف يُعين أحدهم مساعدا لى .

□ □ □

ومع إعلان الجمهورية أعيد ترتيب مواقع القيادة العليا ..

تقرر أن يكون نجيب رئيسا للجمهورية ، وتغير اسم « مجلس القيادة » إلى « مجلس قيادة الثورة » ، وأصبح نجيب رئيسا لمجلس الثورة أيضا .

ومُنح مجلس الثورة سلطة السيادة ، ووضع نص دقيق يقول إن رئيس مجلس الثورة يمارس سلطته فى مجلسه .. أى لا هو يستطيع أن يتخذ قرارا منفردا ، ولا نحن كمجلس .

وتقرر تكوين ما يسمى « **بالمؤتمر المشترك** » ، وهو اجتماع يضم أعضاء مجلس الثورة ومجلس الوزراء معا ، ويتولى مهام السلطة التشريعية لحين انتهاء فترة الانتقال التى حُددت بثلاث سنوات .

ومع تولينا كمجلس ثورة سلطة السيادة ، بدأ الضباط الآخرون يستشعرون قدرا من الحساسية وبدأوا يتساءلون : **لماذا هؤلاء بالذات ؟ ومن اختارهم ؟**

وإذا كان الزملاء فى مجلس الثورة قد وجهوا كل جهدهم ضد ضباط الفرسان ، ووجهوا لى الكثير من الشكوك والانتقادات ، فإن التفجر ما لبث أن أتى من المدفعية ..

وبدأت حركة فى سلاح المدفعية تنتقد « مجلس الثورة » وتسأل من اختار ضباطه ، وكانوا يعربون عن رفضهم لأن يمثلهم فى مجلس الثورة عبد المنعم أمين ، وكمال الدين حسين ، وأعربوا عن انتقادات شديدة ضد الاثنين ، وطالبوا بأن ينتخب ضباط كل السلاح ممثليهم فى مجلس الثورة . وكان صلاح سالم يتصل بهؤلاء الضباط ويناقشهم ، وأفهمنا أنه يحاول تهدئتهم ، والغريب أن أحدا من زملائنا فى « القيادة » لم يستشعر حساسية من اتصال صلاح سالم بالمدفعية كتلك التى استشعروها إزاء علاقتى بالفرسان .

وبدأ ضباط المدفعية فى التحرك ، واتصلوا برشاد مهنا الذى كان ثائرا ضدنا بطبيعة الحال ، والذى اصطدم بنا طويلا عندما كان عضوا فى مجلس الوصاية على العرش ، وكان من بين ضباط المدفعية : سامى شرف ، أحمد شهيب ، محسن عبد الخالق ، فتح الله رفعت ومصطفى راغب . **وعندما بدأ زكريا محيى الدين فى التحقيق مع سامى شرف ، اكتشف أن بإمكانه أن يتحول إلى « شاهد ملك » فأدلى باعترافات عديدة ، وبعد ذلك عُين فى مكتب زكريا ، ثم نقل بعدها إلى مكتب عبد الناصر .**

والحقيقة أن سامى شرف لم يكن يمتلك معلومات كثيرة عن تحركات المدفعية ، لكن أقواله ضد زملائه أتخذت كدليل على وجود « شىء ما » .. ووجود « شىء ما » كان كافيا لدى بعض الزملاء فى « القيادة » لتوجيه ضربة قاصمة لأصحاب هذا « الشىء ما » .

وأبلغونا فى المجلس أن هناك محاولة فى المدفعية لعمل انقلاب ، وأن ثمة ضباطا من المدفعية يرتبون لاقتحام ثكنات قصر النيل خلال اجتماعنا فيها ويقبضون علينا .

وعندما قُدمت لنا هذه المعلومات انبرى جمال سالم لتفجير الموقف وتصعيده ، واقترح أن نقبض عليهم وأن نقدمهم لمحاكمة صورية ثم نعدمهم ، وقال : هم إذا كانوا قبضوا علينا كانوا سيقتلوننا ، فنحن نقتلهم جميعا ، ونشكل محكمة منا لإصدار أحكام الإعدام ، حتى يخاف الجميع .

.. كل هذا ولا أحد يعرف الحقيقة ، ولا يمتلك دليلا حقيقيا واحداً ،بل إن المتهمين لم يُقبض عليهم بعد ، ولم يتم استجوابهم .

والحقيقة أن كلمات جمال سالم المندفعة ، والتى ايدها بحماس أنور السادات وعبد اللطيف بغدادى وعامر ، وعدد آخر من الزملاء ، قد أثارتنى ثورة عارمة ، ولأول مرة تحدثت بعنف شديد وصوت مرتفع فى المجلس ، وأبديت اعتراضا شديدا على الإعدام .

وكان جمال عبد الناصر صامتا ..

أما محمد نجيب فقد أفلت بجلده من المسألة فقال : إذا كنتم انتم ستحاكمونهم محاكمة عسكرية ، فلابد أن أكون أنا الضابط المصدق على الحكم ، ولهذا لا يجوز أن أشارك فى المحاكمة .

استمر الحوار طويلا ومحتدما ، وكنت مستفزا ورفضت أى تفاهم ، أو أى تنازل عن موقفى ، واستمر النقاش حتى الساعة الثالثة فجرا ، وتعبنا دون أن نصل إلى قرار ، وقررنا أن ننام وأن نستيقظ لنواصل نقاشنا .

ونمنا جميعا فى مكتب رئاسة الجيش بكوبرى القبة ، ونام جمال عبد الناصر إلى جوارى ، وهمس قائلا : أنا موافق على رأيك ، خليك متمسك به وأنا سأؤيدك ، وقلت له : يا جمال ، أنا ضميرى لن يسمح لى بالتوقيع على حكم الإعدام ضد أحد الضباط ، خاصة وأن الحكم معد مسبقا حتى قبل القبض عليه أو سؤالة ، فقال : وأنا معك أيضا أنت قاوم بشدة وأنا سأساندك .

والحقيقة أننى وجمال كنا الأقرب إلى بعضنا البعض رغم خلافاتنا ، وكثيرا ما كنت أستشعر أنه يثق فىّ أكثر مما يثق فى عدد من الآخرين رغم اتفاقهم معه فى الرأى ورغم التفافهم حوله ، وتأييده فى كل ما يقول .

وبدأت جلسة الصباح ، وتكلم عبد الحكيم عامر ثائرا متحمسا لأحكام الإعدام ، وهددنا بأن الثورة ستضيع وأننا سنندم ، وأننا نتحمل مسئولية فشل الثورة .

كانت الأغلبية الكبيرة مع أحكام الإعدام ، لكنهم كانوا يخشون أن أخرج من المجلس وأعلن أننى كنت ضد حكم الإعدام فأثير ضباط الجيش ضدهم ، ولهذا أكد عبد الحكيم عامر : لن نسمح لأحد أن يخرج من هنا ليعلن أنه ضد الإعدام ، وسنبقى هنا نتناقش حتى يقتنع « الجميع » بضرورة الإعدام .

وإذ قالها عبد الحكيم تمسكت أنا بها .. أن **نقرر أنه لا يجوز إصدار أحكام بالإعدام إلا بالإجماع ، ووافق الجميع . وهنا وبعد أن وافقنا قررت أن أتمسك بموقفى ضد الإعدام حتى النهاية ، واتفقنا أيضا على أنه فى حالة صدور حكم بالسجن يحدد كل منا عقوبة ويؤخذ بالعقوبة الأقل .**

وبدأوا فى تقديم الأسماء التى سيتم القبض عليها ، وفوجئت باسم أحمد حمروش من بينها ، والحقيقة أنهم جمعوا أسماء كل الضباط الذين أعربوا عن معارضتهم ، أو انتقاداتهم ولو بأقل قدر ، وبقى حمروش فى سجن الأجانب ستة أيام ثم أُفرج عنه ، لكن بعض المقبوض عليهم ضُرب ضربا مبرحا .. وكانت هذه بداية سيئة للغاية .

وعندما قُبض على هذه المجموعة من الضباط قرر حسن الدمنهورى – أحد ضباط سلاح الفرسان – أن يتحرك ، واتصل بأخيه وطلب منه أن يفاتح توفيق عبده اسماعيل فى الفرسان ، وخلال هذه الاتصالات أبلغ عنهما ضابط اسمه صفى الدين حسين .وحوكم حسن الدمنهورى ، وحاولوا إصدار حكم بالإعدام ورفضت بشدة ، وهنا قال لى صلاح سالم : أرجوك وافق على الإعدام لكى نخيف الضباط ، وأعدك أن نطلب إلى نجيب عدم التصديق على الحكم ، وقد تم هذا فعلا .

وبعد أن انتهينا من محاكمة حسن الدمنهورى فى رئاسة الجيش ، وانتقلنا إلى قشلاق قصر النيل لمحاكمة بقية الضباط ، تم استبعاد عبد المنعم أمين وأنور السادات ويوسف صديق ومحمد نجيب .. نجيب لأنه سيكون الضابط المصدق ، والآخرون لأن أسماءهم وردت فى التحقيقات .

وترأس جمال عبد الناصر جلسة المحاكمة . والحقيقة أنه لم يكن هناك أى دليل جدى على القيام بحركة ، كان هناك مجرد كلام وانتقادات ، ولهذا أنا صممت على عدم صدور أى حكم بالإعدام ، فقد تشاوروا معا ، واتفقوا على عمل انقلاب ، لكن لم يقوموا بأى عمل تنفيذى ، وعندما رفضت حكم الإعدام ثار جمال سالم وقال : من لا يوافق على الإعدام عليه أن يوقع وثيقة إعدام الثورة ذاتها ، وثرت ثورة عارمة ، وتمسكت بموقفى . واستمر

النقاش حوالى ٤٨ ساعة دون أن نصل إلى حل ، **أخيرا تدخل جمال عبد الناصر وقال : أنا أؤيد خالد وأنا ضد الإعدام .**

وهنا ثار بغدادى وقال : إذا لم توافقوا على الإعدام فأنا سأضع حكمًا قلبلًا لأحرجكم ، وأثبت ضعفكم أمام الضباط وأمام الناس ، وطلب الحكم بعشر سنوات سجن ، وكنا ملزمين بالأخذ بأقل الأحكام وفق اتفاقنا السابق .

وهنا أثار عبد الناصر موضوع أنه من الضرورى صرف معاشات هؤلاء الضباط ، واعترض البعض على ذلك واعتبروه تدليلا للضباط المدانين ، وذكّرهم عبد الناصر كيف أننا كنا قبل الثورة نجمع تبرعات للضباط المعتقلين ، فهل سنترك الباب مفتوحا لجمع تبرعات كهذه بما يعتبر تأييدا للضباط أو مساندة لهم ، **وسأل عبد الناصر : ما ذنب أسرهم ؟**

وفى النهاية تقرر صرف معاشات للضباط المحكوم عليهم ، وظل هذا المبدأ ساريا .

□ □ □

وعندما أُعلنت الجمهورية ، عُين نجيب رئيسا للجمهورية .

لكن الحقيقة التى أود أن أتوقف عندها وأسجلها للتاريخ هى أن نجيب قد قاوم بشدة مسألة إعلان الجمهورية .. فهو رئيس مجلس الثورة المالك لسلطة السيادة ، ورئيس الوزراء الممسك بزمام السلطة التنفيذية ، وهو أيضا القائد العام للقوات المسلحة صاحبة الثقل الأساسى فى السلطة ، وكان المشروع الذى قدمه جمال عبد الناصر – الذى كان متحمسا للإسراع بإعلان الجمهورية – يقضى بأن يُعين شخص آخر قائدا عاما للقوات المسلحة .

وقاوم نجيب بشدة .

والحقيقة أن نجيب كان من أنصار مد فترة الانتقال لأمد أطول بكثير من الثلاث سنوات ، ولم يتحدث عن الديمقراطية إلا فيما بعد ، أى عندما بدأ يفقد سلطته . وكان نجيب منذ البداية قد أعد نفسه ليستمر حاكما ، ولم يكن نجيب وحده صاحب الطموح غير المحدود ، كان هناك أيضا جمال عبد الناصر – لكن جمال كان أكثر ذكاء ، فكان يربط طموحاته بطموحات الحركة ، وطموحات الثورة ، بل وطموحات مجلس الثورة . وإذ كان نجيب يعلم علما يقينيا أن جمال عبد الناصر لن يسمح له بالاحتفاظ بكل السلطة

فى يديه ، فقد حاول أن يبحث عن مصدر للقوة يتحصن به ضد سلطة « مجلس الثورة » ، ولجأ محمد نجيب إلى الجماهير ، فأكثر من جولاته الجماهيرية وتحدث إليها بلهجة خالية من الترفع ، وتبدى أمام الناس حاكما بسيطا يمتلك مشاعر أبوية ، وحاول أن يكون نسخة معدلة ومحسنة من مصطفى النحاس ، وقد أكسبه ذلك جماهيرية واسعة كانت تثير القلق لدى جمال عبد الناصر وبعض الزملاء فى « القيادة » ، كما كان نجيب يمتلك نفوذا وسط السودانيين فى فترة كانت مصر تتطلع فيها لقبول السودان لمبدأ الوحدة معها ، وكان نجيب يلح -- صراحة أو تلميحا - ويحاول أن يرتب أن يكون الوحيد الظاهر أمام الجماهير وأن يتوارى كل أعضاء مجلس الثورة منكرين لذواتهم ، ولم يكن هذا سهلا ولا مقبولا .

لكن كل هذه الأوراق التى امتلكها محمد نجيب كانت أضعف بكثير من أوراق مجلس الثورة ، ومن نفوذنا داخل القوات المسلحة ، ومن الأغلبية فى المجلس التى كانت دائما إلى جانب جمال عبد الناصر .

وأخيرا رضخ نجيب وقبل أن يصبح رئيسا للجمهورية وأن يتخلى عن موقعه كقائد للقوات المسلحة ، خاصة وأن الزملاء قد تحدثوا طويلا عن انشغاله عن القوات المسلحة ، وفى هذه الحالة يصبح محمد إبراهيم رئيس الأركان قائدنا جميعا .

وتم اختيار عبد الحكيم عامر قائدا عاما للجيش .

وكان اختيار عبد الحكيم قائدا للجيش مثارا لمعركة صامتة بين الزملاء فى مجلس الثورة ، فبغدادى اعتبرها مناورة من عبد الناصر لتعزيز نفوذه الشخصى فى مواجهتنا جميعا ، فعامر صديقه الحميم ولا بد أنهما معا سوف يستقويان ببعضهما البعض ضد الجميع ، وربما كان هذا هو ما حدث فعلا فيما بعد ، أما أنا فقد كانت علاقتى حسنة بعبد الناصر ، ولم أكن أشعر إزاءه بأية رغبة فى تقليص نفوذه ، ومن هنا لم تشغلنى هذه القضية ، بل كان ما يشغلنى فى واقع الأمر القضية الأكثر عمومية ، وهى أسلوب عملنا كحكام وموقفنا من الديمقراطية ومن القضية الوطنية .

كذلك أحدث تعيين عامر حالة من عدم الرضاء بين قادة القوات المسلحة ، فكيف لضابط أن يقفز من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء دفعة واحدة ليقودهم جميعا .

وبدأ الإعراب عن عدم الرضاء هذا باستقالة حسن محمود قائد سلاح الطيران ، الذى أكد لنا أنه يحترم عبد الحكيم عامر ، لكنه يستقيل لأنه يعتبر أن رتبة اللواء رتبة محترمة

وأنه لا يجوز التلاعب بالرتب العسكرية ، والقفز عبرها بهذه السهولة ، وحدثت استقالات مماثلة ، وأدى ذلك إلى قلق مضاعف لدى محمد نجيب ، فقد كان يعتمد فى علاقاته بالجيش على هذه القيادات التقليدية ، خاصة وأن غيابها سيتيح لجمال وعامر أن يحلا رجالهما محل المستقيلين .

كان عامر يمتلك العديد من المميزات ، وجمال لم يختره فقط لأنه صديقه الحميم ، ولا لأن ثقته به عالية فقط ، فقد كان عامر أحد الضباط الذين حاربوا بكفاءة وشجاعة فى حرب فلسطين ، وكان أحد خمسة ضباط تمت ترقيتهم ترقية استثنائية ، فقد رقى من رتبة يوزباشى إلى رتبة صاغ .

والترقية الاستثنائية من رتبة يوزباشى قفزة كبيرة ، فرتبة اليوزباشى كانت الرتبة التى يبقى فيها الضابط أطول مدة ، وإذ يترقى بعدها إلى رتبة صاغ يصبح واحدا من الضباط العظام ويسرع فى الترقى إلى الرتب الأعلى . وأنا مثلا بقيت فى رتبة اليوزباشى من سنة ١٩٤٢ وحتى بدايات الثورة فى ١٩٥٢ ، ولم أرق إلى رتبة الصاغ إلا ضمن دفعة الترقيات الواسعة فى يناير ١٩٥٢ بمناسبة ميلاد ولى العهد أحمد فؤاد ، وكان هذا حال الضباط الآخرين جميعا ، وكانت حجة قطع الطريق على محمد إبراهيم هى التى تقدم للضباط العاديين الذين أبدوا دهشتهم من هذه القفزة ، أما الأسباب الحقيقية فهى أن عامر كان صديقا لجمال ، وكان فى نفس الوقت صديقا لنجيب ومقبولا منه ، ومن ثم كان يمثل نقطة توازن مقبولة من الطرفين .

وبعد الاتفاق على اختيار عبد الحكيم عامر ، بدأنا فى ترتيب بقية الأوضاع : استمر نجيب رئيسا للوزراء ، وكانت هناك محاولة لإبعاده أيضا عن هذا الموقع لكنه قاوم بشراسة ، وعُين جمال عبد الناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ، وعبد اللطيف بغدادى وزيرا للحربية ، وصلاح سالم للإرشاد ، وبعد اختيار صلاح سالم لهذا الموقع الحساس المسئول عن أجهزة الإعلام بدأت حالة من الحساسية المفرطة من جانب نجيب الذى ظل يشكو دوما من تجاهل أجهزة الإعلام - التابعة لصلاح سالم - له كرئيس للجمهورية ، ومن أن صورته لا تنشر بمساحة كافية وبقدر كاف .. إلى غير ذلك من الملاحظات الصغيرة المرهقة .

ولا بد لى من أن أتوقف قليلا أمام هذه المسألة ، فقد كانت محل صراع ضار بين نجيب وجمال . فإذ كان الاثنان لا يتطلعان إلى إنشاء حزب سياسى ليكتسبا صلتهما بالجماهير عبر قنواته وأدائه ومواقفه ، فقد شغلا نفسيهما كثيرا بالالتقاء بالجماهير عبر أجهزة الإعلام .

وإذ أبدى جمال ، ومنذ اليوم الأول للثورة ، حرصا فائقا على امتلاك علاقة وثيقة وحميمة بعدد من كبار الصحفيين مثل مصطفى وعلى أمين ، محمد التابعى ، هيكل ، حسين فهمى ، جلال الحمامصى .. فقد ركز نجيب اهتمامه على الجهاز الأكثر سهولة والأكثر وصولا إلى الجماهير العريضة ، وهو الإذاعة .

وعندما بدأت المنافسة تحتدم صامتة أحيانا وصاخبة فى أحيان أخرى ، كان تولى صلاح سالم لوزارة الإرشاد القومى المشرفة على كل أجهزة الإعلام يمثل نجاحا هاما لعبد الناصر ، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع نبرة الشكوى عند نجيب من أن خطبه لا تذاع بالقدر الكافى ، ولا تعطى المساحة الكافية فى الصحف ..

كذلك حرص عبد الناصر على إصدار جريدة جديدة تكون لسان حال الثورة ، وصدرت « مجلة التحرير » لكن كثافة الوجود اليسارى فيها ، ثم التصادم مع ثروت عكاشه وحمروش جعلا عبد الناصر يتجه لإهمال « مجلة التحرير » وإصدار جريدة يومية هى « الجمهورية » ، واختار لها رئيس تحرير لامع هو حسين فهمى ، وكان حسين فهمى فى ذلك الحين واحدا من أقرب المقربين إلى عبد الناصر ، وتولى السادات مسئولية الإدارة فى « الجمهورية » ، وكان عبد الناصر يتوجه كل مساء إلى دار « الجمهورية » ليراجع بنفسه المانشيتات والعناوين الرئيسية ، ولعل هذا وحده يكفى للدلالة على مدى اهتمام عبد الناصر بالصحافة كوسيلة لمخاطبة الرأى العام .

وإذا جاز لى أن أستطرد قليلا فى هذا الموضوع فإننى أعود لأؤكد على الاهتمام المبالغ فيه الذى أبداه عبد الناصر دوما للصحافة ، وقد ظل عبد الناصر طوال فترة حكمه حريصا على أن يقرأ الطبعة الأولى من كل الصحف اليومية ، ويراجعها بنفسه ، ثم يصدر تعليمات فورية بأية ملاحظات يراها ليتم تعديل الطبعات التالية على أساسها . وعندما توليت مسئولية « دار أخبار اليوم »كان هناك موتوسيكل مخصص لإرسال أول خمس نسخ تصدر من الطبعة الأولى ليسرع بها إلى بيت عبد الناصر .

كما كان عبد الناصر يتابع باهتمام بالغ الصحف العربية ، وخاصة الصحف الصادرة فى بيروت ، وكان يؤكد أنه يلمح من خلالها اتجاهات السياسة للدول العربية المختلفة ، خاصة من الصحف التى كانت تمول سرا من بعض الدول العربية .

كما كان عبد الناصر حريصا على قراءة ملخصات مترجمة ومعدة بعناية من الصحف العالمية الهامة ، وفى حدود تجربتى الشخصية سواء خلال عملى فى جريدة « المساء » (٥٦ – ١٩٥٩) ، أو « أخبار اليوم » (٦٤ – ١٩٦٥) كان عبد الناصر يتصل بى عدة

مرات كل يوم ، أو مرة على الأقل فى اليوم ليعرف أهم الأخبار والتوجهات ، وليبدى رأيه وتعليماته فى كل ما هو هام . وباختصار كان افتقاد الحزب السياسى الجماهيرى حقا ، دافعا لأن يهتم عبد الناصر بالصحافة والتليفزيون والإذاعة كأدوات لتشكيل الرأى العام ، وتحقيق التواصل معه .

.. ونعود إلى موضوعنا الأساسى ، وما ترتب على اختيار الزملاء الثلاثة لمناصب وزارية هامة ، فقد أثار ذلك حساسية لدى بعض الزملاء فى مجلس الثورة ، فلماذا هؤلاء الثلاثة بالذات يصبحون وزراء ؟ وكان الأكثر حساسية كمال الدين حسين ، فقد تأثر جدا من عدم اختياره وزيرا ، ولهذا فقد كان هو أول من عُين وزيرا فيما بعد ، حيث أصبح وزيرا للشئون الاجتماعية ، وبعدها وزيرا للتربية والتعليم .

أما أنا ، فللحقيقة لم أشعر بأية غضاضة ، فقد كنت أعلم أن هذا طبيعى ، بعد كل الصدامات التى حدثت فيما بيننا .

□ □ □

وكان انشغالنا بهذه الترتيبات ، لا يقلل من قلقنا مما يجرى من أحداث ، فالتمرد فى المدفعية وإن كان محدودا إلا أنه نذير سيىء ، كذلك كانت خلافاتنا مع نجيب تتفاقم ، ونجيب كان يمتلك فى ذلك الحين سمعة حسنة وسط الجماهير ، وكان بوضوح تام أكثرنا جماهيرية ، وأكثرنا احتكاكا بالجماهير ، وأكثرنا قبولا من جانبها .

وكانت عملية إبعاد ثروت عكاشة إلى ملحق عسكرى قد أثارت أيضا غضب العديد من ضباط الفرسان ، وطرح بعضهم فكرة القيام بحركة لمنع عملية إبعاد ثروت ، وقاومت ذلك بشدة ، وكانت حجتى أنه من المقبول أن نتحرك دفاعا عن الوطن ، أو عن الشعب ، أو عن قضية قومية ، أما أن نتحرك دفاعا عن فرد فهذا كثير .

وكان جمال عبد الناصر قلقا بشدة من أوضاع سلاح الفرسان ، وكنت فى هذه الأثناء أسافر إلى الاسكندرية لأن أسرتى تقضى أجازة الصيف هناك ، وكلما ذهبت إلى هناك لا يلبث أن يرسل إلىّ طالبا الحضور فورا ، وتكرر ذلك مرات كثيرة ، فقد كان يدرك أننى صمام الأمان فى الفرسان ، والحقيقة أننى بذلت مجهود كبيرا لإقناع ضباط الفرسان بعدم التحرك ، وكان عبد الناصر ممتنا كثيرا لما فعلت .

فى هذه الأثناء ، حدث انقلاب ضد حكومة مصدق فى إيران ، وكانت حكومة شعبية مقبولة من جانب الجماهير ، وعاد شاه إيران مرة أخرى ، وبدأ البعض يربط بين ما حدث

فى إيران وبين أوضاعنا فى مصر ، وترددت شائعات أن الملك فاروق سوف يعود قريبا ، وأن الأمريكيين سوف يعيدونه كما أعادوا الشاه .

وفى هذه الأثناء فكر صلاح سالم فى أن يحدث « فرقعة » تمكن الثورة من أن تضرب خصومها قبل أن يتحركوا أو حتى يفكروا فى التحرك ، وأعلن لنا أنه يمتلك وثيقة هامة تفيد أن السفارة الأمريكية تتصل بالسياسيين القدامى وتتآمر معهم للإعداد للتحرك ضد الثورة .

ووقع الجميع فى الفخ ، وعُقد اجتماع جماهيرى فى ميدان عابدين وقف فيه صلاح سالم معلنا أنه يمتلك وثيقة خطيرة ، وتحدث نجيب وجمال عبد الناصر منددين بالمؤامرة التى تحاك ضد الثورة ، وأُعلن عن تشكيل « محكمة الثورة » لمحاكمة المتآمرين .

وتشكلت المحكمة من بغدادى وحسن ابراهيم وأنور السادات ، وقُبض على إبراهيم عبد الهادى بتهمة التآمر مع أمريكا ، وعلى إبراهيم فرج بتهمة مماثلة ، وكانت هناك محاولة لتقديم النحاس باشا أيضا لذات المحكمة ، لكننى اعترضت بشدة - كما أشرت فى صفحات سابقة - ولكى أوقف هذه المحاولة طلبت محاكمة حيدر باشا ، وكانت حجتى أنه إذا أردتم محاكمة رموز العهد البائد فإن حيدر باشا هو أيضا أحد هذه الرموز ، بل أنه يتميز بأن محاكمته سوف تلقى استحسانا من ضباط الجيش . وهكذا أمكن كسب صلاح سالم ضد مسألة محاكمة النحاس باشا كما أسلفت من قبل .

وعندما عقدت المحكمة اكتشفنا حقيقة « الفرقعة » التى أوقعنا صلاح سالم فى مطبها ، فلم تكن هناك مؤامرة ، فقط تمت مراقبة أفادت بزيارة موظف بالسفارة الأمريكية لإبراهيم عبد الهادى فى بيته ، ولا شىء آخر .

وزارنى زوج أختى الدكتور سيد طه ، وأعطانى معلومات مصدرها أسرة عبد الهادى أكد فيها أن زيارة الدبلوماسى الأمريكى كانت لغرض لا علاقة له بالسياسة ، وأقسم لى أن عبد الهادى برىء .

وطبعا كنت أدرك أنه إذا كان هناك ترتيب لمؤامرة فلا يمكن أن يتم بهذه السذاجة .. مستشار السفارة الأمريكية يزور رئيس وزراء سابق فى بيته علنا ليدبر معه مؤامرة ، هذه مسألة غير مقبولة عقلا .

وأصدرت المحكمة حكمها على عبد الهادى بالإعدام ..

وفى ذات المساء زارنى محمد نجيب فى بيتى وسألنى : ما موقفك من حكم الإعدام ؟

قلت : سأرفضه طبعا ، قال : وأنا أيضا ، قلت : إذن نتخذ نفس الموقف فى الاجتماع ، فقال : لكن أنا عايز أشوفك على انفراد ، وغمز بعينه مشيرا إلى ياوره اسماعيل فريد الذى كان عينا لعبد الناصر على نجيب ، وبدأت ساعتها أدرك عمق الخلاف بين نجيب وجمال .

وفى اجتماع مجلس الثورة الذى دعى للتصديق على الأحكام فوجئنا بغياب نجيب ، أعلن الراديو أنه سافر إلى الاسكندرية ، وكان واضحا أنه يريد أن يضعنا فى موقف حرج .. فإما أن نفض المجلس انتظارا لعودته ، وهنا سيتضح أنه صاحب النفوذ الأول فى مصر ، أو أن يصدق المجلس على الأحكام فيقع فى مأزق دستورى ، ويتحمل أيضا مسئولية الأحكام أمام الشعب ..

وكانت واحدة من أخطر جلسات مجلس الثورة ، وصمم الزملاء على مواصلة الاجتماع ، وطُرحت مسألة التصديق على الأحكام ، وقلت منذ البداية : اسمعوا أنا لن أوافق على حكم الإعدام ، ورتبوا أموركم على أننى لن أتزحزح عن موقفى هذا ، وثار بعض الزملاء . وفى هذا الاجتماع حكيت لهم قصة (ساكو وفنزيتى) العاملين الذين حُكم عليهما بالإعدام وبعد عشرين عاما ثبتت براءتهما ، وما زال العمال يحتفلون بعيد أول مايو كرمز لاحتجاجهم على هذا الحكم الجائر .

وكان عبد الناصر قد تحدث معى شاكيا من صلاح سالم وقال : إنه ورطنا فى هذا الأمر قائلا إن هناك وثيقة ، وبعد ذلك اكتشفنا أنها مجرد كلام عادى ، وأنها لا تشكل دليلا ضد أحد ، وبعد الإعلان عن المؤامرة تورطنا وكان لابد من تقديم أشخاص للمحاكمة .

المهم صممت على موقفى وأُلغى حكم الإعدام .

.. وتمضى سنوات عديدة لأقابل - وبالمصادفة - إبراهيم عبد الهادى فى المنتزه بالاسكندرية وصافحنى بحرارة قائلا : أنا مدين لك بحياتى .

ساعتها أدركت أية حماقة كنا سنرتكبها لو أننا أعدمنا أناسا أبرياء .

□ □ □

ولكن هذا الاجتماع أثار العديد من القضايا ..

فسليمان حافظ عندما استشرناه فيما بعد قال لنا إننا تجاوزنا سلطاتنا ، فقرار تشكيل المجلس ومنحه سلطة السيادة ينص على أن هذه السلطة يمارسها رئيس المجلس فى مجلسه ، وقال إن المفهوم هو أنه لا نجيب وحده ولا المجلس وحده بلا نجيب يمكنه أن

يصدر قرارات . لكننا كنا قد فكرنا بأسلوب آخر ، هو أن نجيب يتحدانا ويجب الرد عليه ومواجهته ، واقترح جمال أن يفوضه المجلس سلطاته ، وأن يتفرغ هو لهذه العملية ويترك وزارة الداخلية ليتولاها زكريا محيى الدين ، وأن يتشاور مع الزملاء ثم يأخذ قرارا باسم مجلس الثورة ليواجه به محمد نجيب معلنا أن المجلس يريد ذلك .

واعترض على مسألة التفويض هذه صلاح سالم وبغدادى ، لكن عبد الناصر طمأنهم أنه سوف يتشاور مع الجميع .

وتقرر أن تعلن قرارات « مجلس الثورة » ، وإذا أراد نجيب أن يثير أزمة دستورية فلنواجهه ، وإذا رضخ نكون قد لقناه درسا .

أما القرارات الأخرى فكانت تعيين زكريا وزيرا للداخلية ، وجمال سالم للمواصلات ، وعينت أنا بدلا من جمال سالم عضوا فى المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى ..

ومن الطريف أن تعيين جمال سالم وزيرا للمواصلات قد أثار مسألة اهتمت بها الصحف لفترة ، فقد تصادم جمال سالم مع موظف بمكتب تلغراف الأوبرا قبل تعيينه وزيرا للمواصلات بفترة ، كان جمال يريد إرسال تلغراف وأهمله الموظف حتى بعد أن عرّفه بنفسه ، فثار جمال سالم كعادته وشتم الموظف وتحدث غاضبا مع وزير المواصلات الذى وقّع جزاء على الموظف ، فلما عُين جمال سالم وزيرا للمواصلات خشى الموظف من انتقامه فأسرع بتقديم استقالته . واتخذت هذه الواقعة كمادة إعلامية فقد استدُعى هذا الموظف لمقابلة جمال عبد الناصر وجمال سالم ، وخرج من المقابلة وقد وُعد بعدم تعرضه لأية ضغوط ، ونشرت الصحف قصة الموظف ، مما زاد من حساسية نجيب الذى شعر بخطورة سيطرة الطرف الآخر على الصحف .. لكن هذه كانت مجرد مسألة فرعية ، فقد أثار نجيب مسألة أكثر خطورة ، وهى مدى مشروعية القرارات التى أصدرناها فى غيابه .

فجر نجيب المشكلة ، وعقدنا جلسة تحدث فيها نجيب بشدة ، مؤكدا أننا تعدينا على اختصاصه كرئيس وزراء ، وكان على حق .. فكيف نعين وزراء دون موافقة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ، واستدعينا سليمان حافظ الذى أفاد برأيه السابق ، وحاول جمال أن يتمسك بلائحة مجلس الثورة التى تقول إن التصويت على القرارات بالأغلبية ولم يفد تمسكه هذا .

وأثيرت قضية ماذا لو امتنع نجيب عن حضور اجتماعات مجلس الثورة ، فهل سنوقف إصدار أية قرارات أو تشريعات ؟



□ مع محمد نجيب فى رحلة النوبة سنة ١٩٥٣ .

وهكذا تفجرت الخلافات مع نجيب تفجرا خطيرا كان بداية للأحداث التالية .. المعروفة .

وبعد هذه الجلسة ، وبينما كنت فى مكتبى بسلاح الفرسان اتصل بى محمد نجيب ، وبعد دردشة قصيرة ، فاجأنى قائلا : أنا مسافر الليلة النوبة ، وأريدك أن تسافر معى ، فوافقت .

وكانت رحلة النوبة مقررة سلفا ، لأن مشروع السد العالى كان مطروحا ، وثارت مخاوف النوبيين من تهجيرهم مرة أخرى ، وكان من الضرورى زيارتهم وطمأنتهم .

وبعد أقل من ساعة حضر إلّى جمال عبد الناصر وصلاح سالم وكانا ثائرين ، وسألانى : هل صحيح أنك مسافر مع نجيب ؟ فقلت : نعم ، فقالا : لكننا قررنا ألا نسافر معه ، فقلت : أنتم قررتم ولم تبلغونى بقراركم فكيف ألتزم به (وبدأت أشعر أن الزملاء يتخذون مواقف وقرارات من خلف ظهرى) .

وطلبا منى بإلحاح مبالغ فيه أن أعتذر لنجيب لأنه من الضرورى أن يشعر أننا جميعا نقاطعه ، فرفضت وقلت : لقد أعطيته كلمة ولابد أن أفى بوعدى .

وقلت لهما : أنا أعرف أن هناك خلافات ، لكن يجب ألا تصل الخلافات إلى حد القطيعة ، فكيف يسافر رئيس الجمهورية إلى رحلة كهذه وتقاطعونه جميعا ؟

وبدأت أشعر أن الأمور تسير نحو تصادم فعلى ، وليس مجرد خلافات فى وجهات النظر ، أو حتى تنافس حول المناصب .

وسافرت مع نجيب ، وكانت المرة الأولى التى أسافر معه فيها بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ، وذهلت من الأبهة الخرافية ، فالقطار الملكى بفخامته أصبح قطار رئيس الجمهورية ، هذا بالإضافة إلى ما يحيط الرئيس من سلطة ، وهيلمان وأبهة ، ونفاق من الجميع .

وأدركت لماذا يتخذ الخلاف مع نجيب أبعادا حادة ..

فالصراع لم يكن فقط حول موقف ، بل كان صراعا على السلطة ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، وبكل ما تحمله من نفوذ وسلطان ..

كان صراعا على الاستمتاع بكل هذا الذى رأيت ، والذى يتجاوز فى فخامته وسلطانه وأبهته كل خيالات ضابط مثلى فى مثل سنى وتجاربى .

١٧ .. واستقال محمد نجيب

* بكى نجيب ، فقال جمال : دموع التماسيح .
* واقترح جمال : أن نستقيل جميعا .
* حاولنا إحراج نجيب ، فأحرجنا .

وبدأ الصراع بين نجيب وعبد الناصر يتخذ أبعادا لم أكن أتوقعها .

كان نجيب يستشعر أن جمال محصنا بنفوذه فى مجلس قيادة الثورة يريد أن ينتزع منه سلطاته كرئيس للبلاد ، **وكثيرا ما كان يقول غاضبا : « أنا لست فوزى سلو » . والحقيقة أن شبح « فوزى سلو » هذا كان يفزعه كثيرا ، فعندما قام أديب الشيشكلى بانقلابه الشهير فى سوريا ، استمر فى قيادة الجيش ، وقام بتعيين رئيس صورى للبلاد ، مجرد من كل السلطات والصلاحيات ، هو « فوزى سلو » .**

والحقيقة أن نجيب لم يكن مثل فوزى سلو ، فهو ومنذ ما قبل الثورة كان شخصية محترمة فى القوات المسلحة ، ولعب دورا هاما فى انتخابات نادى الضباط وفى مواجهة الملك ، كما أنه اكتسب حضورا جماهيريا واسعا .

لكن العيب الأساسى فى نجيب هو أنه أهمل إلى حد كبير مسئولياته كرئيس للجمهورية ورئيس للوزراء ، وتفرغ للاحتفالات والزيارات وبناء ما يمكن تسميته « كاريزما » جماهيرية ، وترك كل شىء للآخرين ، وسرعان ما تلقفت أيدى جمال عبد الناصر النشيطة واليقظة كل ما تركه نجيب من مسئوليات ، وأصبح جمال كنائب لرئيس الوزراء ممتلكا للقوة الفعلية ، وصاحب الكلمة الأعلى فى كثير من الأمور .

ولعلى اتخذ من نفسى مثالا يمكنه أن يوضح الفارق بين الشخصيتين . فبعد الثورة ، كنت ضابط مخابرات سلاح الفرسان ، ومعلوم للجميع أننى كنت وثيق الصلة بضباطه وأن يدى كانت على نبض هذا السلاح ، بصورة تمكننى من التعرف على ما يجرى فيه ..

كما أننى كنت مشرفا على وزارتين ، وكنت عضوا فى مجلس الثورة وعضوا فى مجلس الانتاج ، ومع ذلك فإن نجيب لم يهتم أبدا لا كرئيس للجمهورية ولا كرئيس للوزراء بالاتصال بى ، وبسؤالى عما يجرى فى الوزارتين اللتين أشرف عليهما ، ولا عما يجرى فى سلاح الفرسان ، بينما كان جمال دائم الاتصال ، ودائم السؤال ، بل ودائم التدقيق فى كل شىء .

وباختصار اهتم نجيب بالمظاهر ، وبهيلمان السلطة ، وبمحاولة بناء علاقة مع الجماهير ، بينما اهتم جمال بالإمساك بمفاتيح السلطة الحقيقية .

ولعل الفارق الأساسى بين جمال ونجيب ، هو أن نجيب يربط مشكلته وطموحاته وصراعاته بشخصه فقط ، بينما ربط جمال طموحاته بقضية جماعية هى سلطات مجلس قيادة الثورة ، فاستطاع جمال أن يستقطب إلى صفه أعضاء المجلس ، بينما واصل نجيب - ومن منطلق شخصى - التصادم معنا واحدا تلو الآخر ، فقد اصطدم بصلاح سالم وأنور السادات ، بل حاول الوقيعة بينى وبين جمال - كما أشرت فى فصل سابق - عندما قال إن ضابطا نقل إليه تذمر خالد وثروت من محاولة جمال للاستحواذ على كل النفوذ .

وعند إعلان الجمهورية ، تنبه نجيب إلى وجود محاولة ما لتجريده من نفوذه ، أو بالدقة من المرتكز الأساسى لنفوذه وهو منصب القائد العام للقوات المسلحة ، وظل يقاوم ، ويجادل ، ويناقش ، لكن الجميع فى مجلس قيادة الثورة كانوا يدركون أن نجيب مشغول عن المهام الأساسية ، وأن بقاءه قائدا للجيش سوف يعنى ترك أمور القوات المسلحة - بكل ما تعنيه بالنسبة لنا - فى أيد أخرى ، كما أنه سوف يضعنا جميعا تحت قيادة رئيس الأركان محمد إبراهيم .

وظل نجيب متشبثا بموقفه بصورة عنيدة ، وطوال أسبوع كامل استمرت مناقشاتنا مع نجيب لتدور فى حلقة مفرغة .. أخيرا نفد صبر جمال وألقى بالأوراق على مائدة الاجتماعات صارخا في وجه نجيب : « خلاص ، نقوم نروح ، احنا غير قادرين على التفاهم ، ولن نترك أبدا شخصا واحدا متحكما فينا وفى كل شىء » .

وهنا انفجر نجيب باكيا وقال : « إذا كنتم تريدون منى أن أمشى وأترككم ، أنا مستعد أمشى » .

وبكى بعض الزملاء ربما تأثرا وربما تجاوبا أو مجاراة ، لكن قلب جمال لم يلن بل أفلتت من فمه عبارة « دموع التماسيح » .

ومن هذه الجلسة التاريخية خرج عبد الناصر فائزا بكل الأوراق .. فقد أبعد نجيب من قيادة الجيش ووضع فى هذا الموقع الحساس أخلص خلصائه - فى ذلك الحين - عبد الحكيم عامر ، ومن موقعه كنائب لرئيس الوزراء استطاع جمال أن يدير كل شىء ، وأن يدبر كل أمر ، فالرئيس غائب ومشغول بأمور أخرى ، كما أنه تولى وزارة الداخلية

وهى موقع بالغ الحساسية ، واستطاع بمجرد توليه لهذه الوزارة أن يكتسب تعاطفا عاما من رجالها بقراره إضافة علوم كلية الحقوق إلى مواد الدراسة فى كلية البوليس ، ليصبح ضابط البوليس حاصلا أيضا على ليسانس الحقوق .

وباختصار .. وضعت اللبنات الأولى للتحرك نحو الهدف : إبعاد نجيب .. وتولى جمال .

□ □ □

وبدأ « مجلس الثورة » يبحث عن سبيل لكسب جماهيرية كافية لموازنة جماهيرية نجيب وضمان مواجهة أية مؤامرات داخلية أو خارجية .

وطرحت فكرة مصادرة أموال أسرة محمد على ، وتحويل هذه الثروات الطائلة إلى مجلس أسمى « مجلس الخدمات » ، وقد كُرست هذه الأموال لبناء مدارس ووحدات صحية فى مختلف القرى .

والحقيقة أن هذا المشروع كان بالغ الأهمية ، وقد نقل مصر كلها نقلة حضارية هامة ، حيث وجدت فى كل قرية تقريبا وخلال عدة سنوات مدرسة وحدة صحية .

وحتى ذلك الحين .. لم أكن أدرك عمق الخلافات بين نجيب وجمال ، كنت أتصور أن المسألة مسألة اختلاف فى وجهات النظر ، أو حتى صراع محدود على السلطة ، أو أنها من نوع الصراع الموجه ضدى من جانب جمال سالم مثلا هو وبعض الزملاء ، فهم مثلا كانوا يتصورون أن وجودى معهم عبء على حريتهم فى الحركة ، **وأنا كنت أتصور أن هناك « اتجاه أمريكى » يريد الانحراف بالثورة عن أهدافها الأولى** ، لكننى رغم ذلك كله لم أكن أتصور أن الأمور يمكنها أن تتفجر لتصل إلى المواجهة الحاسمة .. وإلى القطيعة .

حتى كانت زيارة النوبة ..

وفشلت محاولات عبد الناصر وصلاح سالم الملحة لدفعى إلى رفض السفر مع نجيب رغم وعدى له ، وإصرارهم على ضرورة مقاطعته ، وإصرارى على أننى سأفى بما وعدت ، **وهنا قال جمال : إذن سافر معه ، وأحكى لنا كل ما سيقوله لك ، وكانت هذه العبارة ثقيلة للغاية على سمعى ، لكننى لم أشأ أن أفجر مشكلة ثانية غير تلك التى فجرتها بسفرى مع نجيب .**

وأثناء الرحلة تحدثت طويلا مع نجيب ، وبطبيعة الحال كنت حذرا ، فأنا كنت أدرك أن نجيب قد ينقلب فجأة ويحكى ما دار بيننا للآخرين ، وعلى أية حال حاولت قدر الإمكان أن أضع نجيب ومواقفه ومعركته فى إطار صحيح ومقبول ..

قلت له إن معركته ستكون خاسرة إذا استمرت على هذا النحو ، فهو يربط معاركه بشخصه وسلطاته ، ونفوذه ، وحقوقه ، ولا يربطها بمسألة عامة وهذه أمور لا تتقبلها الجماهير ، وطرحت عليه أن يتبنى معى قضية الديمقراطية وعودة الحياة النيابية وإجراء الانتخابات ، خاصة وأن فترة الانتقال قد مضى منها أكثر من سنة وأنه آن الأوان للإلحاح على إنجاز الدستور ، والإعداد لإجراء الانتخابات بما يستتبعه ذلك من وجود أحزاب ، وقلت له إن مجرد إثارة هذا الموضوع سوف يخلق مناخا جديدا فى الرأى العام ، وسوف تحول صراعاته من صراع شخصى على النفوذ والسلطة إلى صراع سياسى قادر على استقطاب الجماهير إلى صفه .

لكن نجيب لم يهتم بما قلت ، ويبدو أنه لم يقتنع ، فقد ظل مهتما بدوره الشخصى ، وكرس كثيرا من وقته - حتى خلال الرحلة - للصراخ فى وجه موظفى الإذاعة ملحا على ضرورة إذاعة كل كلمة يقولها وكل خطاب يلقيه ، وكل حديث يتفوه به .

وفى إحدى القرى النوبية ، وقف نوبى ليقول : يا سيادة الرئيس ، تقولون إنكم ستبنون السد العالى وستعوضوننا عن أملاكنا ، لكن هناك أشياء لا تعوض ، فكيف تعوضوننا عن أرض ولدنا فيها ، وتكونت فيها ذكرياتنا ، ودفن فيها آباؤنا ، وهنا صرخ نجيب ربما بما يجاوز الأسلوب المفترض لرئيس الجمهورية ، فقد صاح فى العاملين بالإذاعة أمام الناس : فين بتوع الإذاعة ؟ سجلوا الكلام ده علشان الناس اللى فى مصر تعرف .

وعدت من رحلة النوبة لأجد جمال عبد الناصر متلهفا لمعرفة ماذا دار بينى وبين نجيب ، وقلت باختصار إنه تحدث عن محاولة انتزاع سلطاته ، وأننى تحدثت عن أهمية عودة الحياة النيابية ، وكان هذا موقفى الثابت الذى يعرفه الجميع .

□ □ □

وكانت رحلة النوبة إيذانا بتفجر جديد فى الموقف ..

فقد دعينا إلى اجتماع لمجلس الثورة (لم يدع إليه نجيب) وتحدث صلاح سالم معلنا أنه عاجز تماما عن التعامل مع نجيب ، وقال إنه سيستقيل من المجلس وسيعود لسلاح المدفعية ، وقال إن نجيب ظل طوال رحلة النوبة يتصل بالمسئولين فى الإذاعة بالقاهرة طالبا إذاعة خطبه كاملة ، وأن تعاد كل خطبة ثلاث مرات ، وعندما عرض الأمر على صلاح سالم أمر بأن يذبعوا منها المقاطع المهمة فقط ، وهنا ثار نجيب وأمر بإحالة المسئولين بالإذاعة إلى التحقيق ، وطلب صلاح إعفاءه من منصبه واقترح أن يتولى نجيب وزارة الإرشاد .

وقررنا أن نعقد اجتماعا يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤ .. ولعله قد فاتنى أن أقول إنه كان هناك اجتماع أسبوعى كل يوم أحد لمجلس قيادة الثورة ، وكان يعقد فى مقر قيادة الثورة بالجزيرة .

وكان لاجتماع يوم الأحد جدول أعمال يعد مسبقا ونبلغ به ، وكان كمال الدين حسين يتولى سكرتارية اجتماعاتنا .

ولم يحضر نجيب اجتماع يوم ٢٤ نوفمبر لسبب لا أتذكره ، وبدأنا نحن فى المداولة فيما يجرى ، ووجهت من عديد من الزملاء انتقادات عديدة لأسلوب نجيب ورغبته فى الانفراد بالسلطة ..

وبعدها مباشرة عُقد مؤتمر جماهيرى بالاسكندرية كان من المفروض أن يتحدث فيه محمد نجيب وحده ، وفوجىء نجيب بحضور عبد الناصر وعامر وصلاح والشيخ الباقورى ، وتكلم جمال – خلافا لما كان مرتبا – وألقى خطابا شديدا هاجم فيه « المنافقين » و « المخادعين » الذين يتمسحون فى الديمقراطية .

وأحس نجيب أن الهجوم موجه إليه ، وشعر بغيظ شديد ..

وفى ٣ ديسمبر كان هناك حفل لتخريج رجال الحرس الوطنى ، وذهب جمال وتحدث فى نفس الاتجاه ، وفى نفس الوقت بدأ جمال يوثق علاقاته برجال الصحافة ليسد على نجيب منافذ الإعلام ، فاتصل بأحمد أبو الفتح ، وهيكل ، ومصطفى وعلى أمين ، وأحمد الصاوى محمد ، وكان همزة الوصل فى هذه الاتصالات أو أغلبها أنور السادات ، ومن خلال هذه الاتصالات بدأ جمال يطلب منهم تلميحا ثم صراحة ألا ينشروا الكثير من الأخبار عن محمد نجيب . وبدأ الحصار الإعلامى على نجيب ، وكان الإعلام والخطب هى كل ما يملكه نجيب ، وكل ما يحاول أن يوطد به نفوذه ، فبدأ يشعر بحلقات الحصار تضيق حوله ، فهم يلاحقونه فى المؤتمرات الجماهيرية ، وهم يحاصرونه إعلاميا فماذا يتبقى له ؟

وفى ٦ ديسمبر دعى مجلس الثورة إلى اجتماع وحضر نجيب .. وبدأت المواجهة ، عبد الناصر وصلاح هاجما نجيب بشدة ، ولم نصل إلى أى اتفاق ..

وبعد هذا الاجتماع اقترح جمال أن تعقد اجتماعات للمجلس دون نجيب حتى يمكن أن تناقش الأمور بحرية ..

وبعدها بأيام عقدنا اجتماعا فى استراحة وزارة التربية والتعليم فى الهرم ، واستمر هذا الاجتماع طيلة النهار وإلى وقت متأخر من الليل ..

وكان جدول الاجتماع مكونا من موضوعين : **الخلاف مع نجيب** ، **والخلاف مع الإخوان المسلمين** . وطرح علينا فى الاجتماع معلومات عن تحرك الإخوان فى صفوف الجيش والبوليس ، واستعدادهم للعمل ضد الثورة ، واقترح جمال أحد حلين : **الأول** أن نحل الجماعة ، **والثانى** أن نتركها بينما نركز جهودنا على تعميق الخلافات داخلها . واتفقنا على أن حل الجماعة سوف يزيد من تعاطف الناس معها ، واستقر الرأى على الاقتراح الثانى خاصة وأن المعلومات المقدمة لنا كانت تفيد أن الخلافات بينهم عميقة للغاية ، وأنهم يشعرون بالغيرة من بعضهم البعض ، وأن الكراهية تشتد بين أطرافهم .

واتفقنا فى نفس الوقت على ضرورة الإسراع بمشروعات بناء المدارس والوحدات الصحية فى القرى كسبيل للحصول على مساندة جماهيرية فى مواجهة أية أخطار ، أو أية تحركات سياسية مناوئة .

أما فيما يتعلق بنجيب ، فقد طُرح علينا أنه بدأ يتحرك لاستقطاب الوزراء ، وأن أى وزير يمتلك أى ملاحظات على جمال عبد الناصر يستقطبه نجيب ويحاول أن يوطد علاقته به ، واتفقنا على عقد اجتماع يوم ٢٠ ديسمبر لمحاولة تسوية الخلافات مع نجيب .

وفى اجتماع ٢٠ ديسمبر هذا تكلم جمال عبد الناصر وجمال سالم وعبد الحكيم عامر ، وتكلم الآخرون ، ولم أتكلم أنا ، فأنا لم تكن لدىّ مشكلة مع نجيب ، وأنا لست وزيرا ، وليس هناك مجال للتصادم معى ، سواء فى سلاح الفرسان أو فى مجلس تنمية الانتاج ، ولا محل لأية مصادمات حول النفوذ أو السلطة مع نجيب ، لكننى من وضعى هذا كنت أحاول الوصول إلى حل وسط أو ترضية ما يمكنها أن تكون مقبولة من الجميع .

ولم يتحدث أيضا حسن ابراهيم وحسين الشافعى ، فلم يكونا قد أصبحا وزيرين بعد ، ومن ثم لم يكن هناك مجال للشكوى من أية أزمة مع نجيب .

واستمر الاجتماع لوقت طويل جدا دون الوصول إلى اتفاق ، وهنا اقترح جمال سالم على نجيب أن يتخذ إجراء يثبت حسن نواياه تجاهنا ، وهو أن يبعد عنه ثلاثة من مساعديه أو المحيطين به .. وهم : اليوزباشى محمد رياض الذى كان ضابطا بالبوليس الحربى وعينه نجيب حارسا خاصا له ، واليوزباشى رياض سامى وكان بمثابة المستشار الإعلامى لنجيب ، أما الثالث فهو صلاح الشاهد التشريفاتي برئاسة الجمهورية . وكان الهدف من هذا الاقتراح زيادة محاصرة نجيب بعزله عن أقرب المقربين إليه ، والذين يعتمد عليهم فى اتصالاته وفى الحصول على المعلومات المختلفة ، ومن الملاحظ مثلا أن جمال سالم لم يطلب إبعاد اسماعيل فريد الياور الخاص لنجيب ، فقد كان فريد عينا لعبد الناصر على نجيب .

..وكانت الساعة قد وصلت إلى الرابعة فجرا ونجيب يرفض كل الملاحظات ، ويصمم على موقفه ويمتنع عن تقديم أى تنازل ، ورفض أيضا إبعاد أى من الثلاثة المطلوب إبعادهم ، وانفض الاجتماع وقال جمال : فلنترك المسألة للزمن .

□ □ □

وفى يوم ٣ يناير ١٩٥٤ جاء عامر من عند نجيب وقال إنه يشعر أنه الآن أكثر استعدادا للتفاهم ، وأنه فقط يريد احترام المظاهر التى يتعين احترامها ، ولكنه لا يريد الدخول فى أية تصادمات .

وسارت الأمور سيرا هادئا حتى أول فبراير ، وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد صدر قرار بحلها فى ١٥ يناير ، **وأود هنا أن أقرر للتاريخ أن قرار حل الإخوان قد صدر بالإجماع ، أى بموافقتنا جميعا بما فينا محمد نجيب ، ومن هنا فإن تنصل نجيب فيما بعد من هذه الموافقة ليس متطابقا مع الحقيقة ، وكان السبب المباشر لحل الإخوان هو وقوع تصادم فى الجامعة بينهم وبين طلاب آخرين ، وأحرق الطلاب الإخوان سيارة وقاموا بأعمال عنف وتخريب ، وعقدنا اجتماعا فى نفس الليلة ، وحضر الاجتماع الشيخ الباقورى وصدر قرار الحل بالإجماع كما قلت ، وتقرر اعتقال ١٥٠ شخصا من الإخوان .**

لكننا كنا فى نفس الوقت نرى ضرورة الاستمرار فى تعميق الخلافات داخل الجماعة ، ومن ثم كان هناك اتفاقا على المشاركة فى الاحتفال بذكرى وفاة حسن البنا فى ١٢ فبراير ، لنعلن أننا لسنا ضد دعوة الجماعة ، وإنما ضد هذه المجموعة التى تقودها ، وضد قيادة المرشد حسن الهضيبى تحديدا .

وكان من المقرر أن يشارك فى الاحتفال جمال عبد الناصر وصلاح سالم ، واتصل نجيب بصلاح سالم وأبلغه أنه يريد الحضور فى الاحتفال ..

وغضب عبد الناصر غضبا شديدا ، فلم يكن يريد أن يذهب مع نجيب ، وإذا امتنع عن الذهاب وذهب نجيب وحده تأكدت المعلومات الخاطئة التى كان نجيب يسرّبها للإخوان ، والتى يؤكد فيها أنه كان ضد قرار الحل .

وفى ذات الليلة اتصل بى كمال الدين حسين ليبلغنى أن هناك اجتماعا للمجلس فى بيت زكريا محيى الدين ، وفهمت أنه اجتماع خاص بنا وأن نجيب غير مدعو له .. إنها جلسة ١١ فبراير ١٩٥٤ التاريخية .

كان جمال عبد الناصر متوترا للغاية ، وبدأ الاجتماع معلنا أنه غير قادر على التعامل مع نجيب بأى حال من الأحوال ، وأنه يريد أن يستقيل وأن يعود إلى الجيش مرة أخرى ، وأن نجيب وحده لن يستطيع أن يدير شئون البلاد وسوف يثبت فشله .

واختلفنا فى الرأى .. مجموعة تعارض الاستقالة وتحذر من مخاطرها مؤكدة أن نجيب سوف يحكم بدوننا ، ثم يعين قائدا للجيش أو يتولى هو قيادة الجيش ، ليطردنا من الجيش ، وربما ليحاكمنا ثم ينفرد هو بكل شىء ، وكان بغدادى وحسين الشافعى متحمسين لهذا الرأى ..

بينما كان زملاء آخرون متحمسين للاستقالة والعودة للجيش ، والاستعداد لعمل ثورة جديدة . وكان هذا الرأى مثاليا ، فكيف يمكن أن يتركهم نجيب بهذه البساطة ، لكنهم كانوا يتصورون أن الجماهير سوف تثور لتساندهم وتعيدهم ضد إرادة نجيب ، وبهذا يطيحون بنجيب .

إنها نفس الفكرة التى طبقت فى مارس ، لكنهم فى هذه المرة اقترحوها دون إعداد كذلك الذى أعدوه فى مارس .

أما أنا فقد قلت : إذا أردتم الاستقالة فأنا موافق ، والحقيقة أن سبب موافقتى كان إحساسى بأن الزملاء يرفضون أى تقدم فى مجال الديمقراطية وأية عودة للحياة النيابية ، وأن هناك اتجاها ملحوظا للتعاطف مع أمريكا ، فقلت : إذا أردتم الاستقالة أستقيل معكم ، لكننى لن أعود للجيش .. وثار البعض : لماذا ؟ قلت : إذا كنتم أنتم تهاجموننى ، وتقولون إننى يسارى ، وأننى ضد الاتجاه العام وأنتم تعرفون أننى مع الديمقراطية ومع الحياة

النيابية ، فماذا سيفعل بى الآخرين عندما نتخلى عن سلطة السيادة ، ونصبح ضباطا عاديين ، سوف أفصل فورا وربما أحاكم أيضا .

وحذرتهم ، كما حذرت نجيب من قبل ، من أن الجماهير سوف تفهم الصراع على أنه صراع شخصى على السلطة ، وأنه لكى تتحرك الجماهير يجب أن تطرح عليها قضية عامة مثل قضية الديمقراطية ، والحياة النيابية .

لكن أحدا منهم ، لا هم ولا نجيب ، كان موافقا على تلك الفكرة التى كنت ألح عليها فى كل وقت ، فكرة الديمقراطية والحياة النيابية .

ويبدو أن جمال عبدالناصر كان متأثرا بما حدث فى تركيا لكمال أتاتورك عندما استقال ، وخرجت الجماهير الشعبية لتعيده مرة أخرى للسلطة ، لكنه نسى أن الوضع كان مختلفا .

وبعد نقاش قررنا أن نؤجل الأمر كله إلى الغد لنجتمع فى المساء فى بيت جمال عبدالناصر .

وفى الغد كان هناك الاحتفال بذكرى حسن البنا ، وأرسل جمال إلى نجيب يهدده ويطلب إليه عدم الذهاب إلى الاحتفال ، وأعود لأكرر عبارة « يهدده » ، فقد وجه إليه جمال ما يشبه الإنذار بألا يذهب ، ولم يذهب نجيب ، وذهب جمال وتحدث فى الاحتفال وعاد ليجتمع بنا .

وأعدنا مناقشة الموضوع ، وعاد الزملاء لطرح فكرة الاستقالة والعودة إلى أسلحتنا ، وأن نظل نعمل تحت قيادة عبد الناصر ، ولم يتصوروا أن يقوم نجيب بطردهم من الجيش أو حتى اعتقالهم .

وبعد مناقشة أكدت لهم أنه فى حالة الاستقالة فسوف أستقيل لكننى لن أعود للجيش ، وثار خلاف شديد ، **واقترح جمال سالم أن نغتال نجيب ، ورفضنا الفكرة باستهجان ، لكن عبد الناصر كان يهدأ رويدا رويدا ثم تحدث ليعلن أنه يسحب اقتراح الاستقالة ، ويقترح أن تترك الأمور مرة أخرى للزمن ، ربما كان الهدوء ظاهريا وربما كان استعدادا لخطة جديدة .**

لكن التربص ظل موجودا ، وبدأ كل طرف يستعد للانقضاض على الطرف الآخر .

□ □ □

واستمرت الأمور كما هى فى حالة من التربص والحذر حتى كان يوم ٢١ فبراير ، وكان موعد الاجتماع الدورى لمجلس الثورة .

وذهبنا جميعا ، وكالعادة بدأنا نتجمع فى غرفة جمال عبد الناصر بمبنى قيادة الثورة ، وكانت العادة أن ننتظر حتى يكتمل الحضور ثم نصعد إلى الدور الثانى حيث مكتب نجيب لنعقد اجتماعنا فى غرفة الاجتماعات الملحقة به ، ولكننا فى هذا اليوم – لسبب أو لآخر – ظللنا جالسين فى غرفة جمال نتبادل أطراف الحديث ، فلما طال انتظار نجيب أرسل لنا ياوره اسماعيل فريد ليقول : **الرئيس يسأل متى ستصعدون ، وأتاه الجواب سبابا بذيئا من جمال سالم .**

وبعد خمس دقائق دق التليفون ورد عليه حسين الشافعى ، وكان المتحدث نجيب وسأله : مش حتطلعوا ؟ فقال له : أصل العدد لم يكتمل .

وكان نجيب يعلم أن العدد قد اكتمل منذ فترة طويلة ، لكنه يبدو أن البعض كان يحاول ترويض نجيب ويجعله ينتظرنا لأطول فترة ممكنة ، ولعل نجيب قد أدرك ذلك فقرر أن يواجه التحدى بتحد آخر ، **وفوجئنا بالبروجى يعلن مغادرة الرئيس المقر .**

ووقعنا فى مأزق جديد .. فإذا انفض الاجتماع كان وضعنا سيئا أمام الجميع ، وإذا استمر الاجتماع لن نستطيع إصدار قرارات ملزمة ، وهذا أسوأ .

وأحسست أن الارتباك يسود الجميع ، وبدأ عدد منا يقطع الغرفة جيئة وذهابا ، وخيمت الحيرة علينا .

وفى محاولة للخروج من المأزق الشامل اقترح بغدادى أن نشكل مجلسا استشاريا يتم تعيينه من بين الشخصيات العامة المدنية وممثلى النقابات المهنية والعمالية ، وأن يكون لهذا المجلس صفة استشارية ، ونعرض عليه القضايا المختلفة ليدلى برأيه فيها ، وعرض أن نتقدم بهذا الاقتراح مقرونا باقتراح أن يترك نجيب رئاسة مجلس الوزراء لأنه لا يقوم بمهام هذا المنصب ، ولا يعطى مسئولياته الوقت الكافى .

لكن عبد الناصر قال : لا تربطوا المسألتين ببعضهما ، فنجيب ليس عبيطا ، فقد يوافق على المجلس الاستشارى ، لكنه سيرفض أية محاولة لإبعاده عن رئاسة مجلس الوزراء .. لكن جمال لم يرفض اقتراح المجلس الاستشارى من حيث المبدأ .

وعدنا لمناقشة موضوع علاقتنا بنجيب ، واتفقنا على أن نرسل له وفدا من جمال سالم وكمال الدين حسين واسماعيل فريد ليعرض عليه اقتراحا بتحديد اختصاصاته

كرئيس للجمهورية ، وأن يترك رئاسة مجلس الوزراء ليتولاها جمال عبد الناصر ..

مرة أخرى تحدثت مؤكدا أن نجيب لن يقبل ، وأن الحل الوحيد هو أن نقترح عودة الحياة النيابية وهنا يمكن أن يتراجع نجيب ، أو حتى يمكن أن يتحول الصراع من صراع شخصى على السلطة إلى صراع سياسى .

.. وأخيرا تقرر إرسال الوفد إلى نجيب وأن نعاود الاجتماع يوم الثلاثاء ٢٣ فبراير .

وفى اجتماع ٢٣ فبراير أبلغنا جمال سالم أنه والوفد قابلوا نجيب وعرضوا عليه الاقتراح ، وأنه تلقى الاقتراح مبتسما ولكنه لم يبد رأيه لا بالقبول ولا بالرفض .

وبينما نحن جالسون دخل اسماعيل فريد ياور محمد نجيب وسلم لكمال الدين حسين مظروفا ، فتح كمال الدين المظروف ، وقال إنها استقالة أرسلها نجيب من جميع الوظائف والمسئوليات المنوطة به ، ويؤكد فيها أنه يستقيل لأسباب لا يريد الخوض فيها ، وأن مصلحة الوطن هى التى أملت عليه هذا القرار .

ومرة أخرى .. وقعنا فى المأزق .

١٨ الديمقــراطيــة.. الحــد الفــاصــل

* قال عبد الناصر : قل لنجيب المسألة مش لعبة .
* صلاح أعلن قبول استقالة نجيب ، فوقف أولاده ضده .
* سمعت مواطنا يقول علينا : « دول أولاد كلب » .
* الاقتراح المأزق : أن أتولى رئاسة الوزراء .

..وتأتى استقالة محمد نجيب لتفجر من جديد الخلاف بينى وبين الزملاء فى مجلس قيادة الثورة ، ولترسم الحد الفاصل بينى وحدى ، وبينهم جميعا ، فلدى كل منحنى كنت أنصور وأتمسك بأن المخرج هو إعلان الاستعداد لإعادة الحياة النيابية ، بما يستتبع ذلك من إعادة السماح بقيام الأحزاب السياسية ، ومن البدء فى اندماجنا فى العمل السياسى ..

والحقيقة أن تلك الورقة التى دخل بها اسماعيل فريد على اجتماعنا ليسلمها لكمال الدين حسين بصفته سكرتير المجلس ، والتى تضمنت استقالة محمد نجيب ، قد أربكت كل الحسابات ووضعت مجلس الثورة فى موقف حرج للغاية .

وبسرعة فائقة أدرك جمال عبد الناصر خطورة الموقف ، وأدرك أن الزمام قد يفلت من أيدينا جميعا ، فصاح فى وجه اسماعيل فريد : روح بلّغ نجيب أن يبقى فى بيته ولا يغادره ، ثم تذكر أنه لابد أن يكون اسماعيل فريد نفسه يعلم بمحتوى الورقة التى أتى بها ، فمع أن اسماعيل فريد كان عين عبد الناصر على نجيب إلا أن عبد الناصر لم يشأ أن يترك شيئا للمصادفة ، فصاح فى اسماعيل فريد : وأنت ، لا تغادر هذا المكان .. ثم أردف بعبارة لم أزل أذكرها : « قول لنجيب إن المسألة مش لعبة » .

وكان كل حرص عبد الناصر ألا يتسرب نبأ استقالة نجيب قبل أن نرتب نحن أمورنا .

وبدأنا فى مناقشة الاستقالة وتداعياتها ..

ومن جديد بدأت الاقتراحات تتساقط من الزملاء ، لكنها تتساقط وهى غير ناضجة ، البعض اقترح اتخاذ قرار بتشكيل وزارة مدنية ، وأن يلحق به إعلان استقالة مجلس قيادة الثورة .

وعندما تعثرت المناقشة قال جمال سالم : نشوف حل بعدين ، لكن بغدادى قال : أى حل لازم يكون بعلمنا واتفاقنا ، نقعد إلى أن نتفق ، فقال جمال سالم : أقصد أن نحاول ترضية نجيب لكى يسحب استقالته مؤقتا ، وبعد شهر نكون قد توصلنا إلى حل ، ولكن كيف يمكن إقناع نجيب بسحب استقالته ، وعلى أى أساس ؟ .. هنا صمت جمال سالم ولم يجب .

وتساقط حل جديد .. نشكل هيئة استشارية ، وكان اقتراح الهيئة الاستشارية قد طرح من قبل ورفضته بشدة لأنه يعنى شيئا واحدا : مد فترة الانتقال وعدم إعادة الحياة البرلمانية .

واعترضت على موضوع الهيئة الاستشارية ، وقلت : بصراحة يا جماعة ، البلد لن تقبل بأقل من عودة الحياة النيابية ، وإعلاننا الاستعداد لعودة الحياة النيابية هو وحده الذى سيسحب البساط من تحت أقدام نجيب ويبرز استقالته كموقف ضد الديمقراطية .

وفجأة تذكر صلاح سالم موضوع السودان ، وصاح قائلا : ياجماعة انتم ناسيين موضوع السودان ، محمد نجيب شيء مهم جدا بالنسبة للسودانيين ، خاصة وإحنا مقبلين على تحديد العلاقة المصيرية بين مصر والسودان ..

وهنا تقدمت باقتراح ، قلت إنه يخرجنا ويخرج مصر كلها ويخرج علاقتها مع السودان من المأزق : **أن نعلن بدء فترة الاستعداد لعودة الحياة النيابية ، وأن نعمل فى هذه الحالة على مسايرة محمد نجيب فى المدة المتبقية من فترة الانتقال والتى لا تزيد على عام ونصف .**

وأيدنى عبد اللطيف بغدادى قائلا : إن هذا هو المخرج الوحيد الذى يحل مشكلة استقالة نجيب ، لكن الزملاء جميعا كانوا ـ ومن حيث المبدأ ـ ضد عودة الحياة النيابية ، وحتى موافقة بغدادى على اقتراحى كانت موافقة مرحلية ، فما لبثت أن وقفت وحدى فى مواجهتهم جميعا .

استمرت المناقشة دون أن نصل إلى حل ، وكنا يوم الثلاثاء .. موعد اجتماع « المؤتمر المشترك » ، واتصلوا بنا من قاعة « المؤتمر المشترك » ليقولوا إن الاجتماع جاهز وأن نجيب هنا ، وذهبنا جميعا إلى الاجتماع فيما عدا عبد الناصر الذى كان ـ فيما يبدو ـ مرتبطا بموعد فى منزله ، واتفقنا أن نلحق به إلى هناك فور انتهاء الاجتماع .

□ □ □

وسارت الأمور فى الاجتماع سيرها العادى ، نوقشت موضوعات عادية واتفقنا على العديد من القرارات .. ونجيب يمارس مهامه ، وكأنه لم يستقل .

أثار هذا الموضوع هواجس عديدة لدىّ ، فنجيب يقرر الاستقالة ، لكنه فيما يبدو

يقررها لمجرد الضغط ، والزملاء يتحدثون لدى أى مشكلة عن الاستقالة دون أن يستقيل أحد ، أو يفكر جديا فى التنازل عن أقل قدر من السلطه ، ومن ثم يرفضون أى تفكير فى عودة الديمقراطية والحياة النيابية .

وفرض الصمت الشامل نفسه علىّ فلم أنطق بحرف واحد طوال الاجتماع ، إذ أدركت أن البعض يخوض حرب أعصاب ومناورات ضد البعض الآخر .. والعكس ، وأنه لا توجد اقتراحات بريئة أو خالية من الغرض أو من المصلحة الذاتية .. كانت كل أحداث الماضى تتلاحق أمامى وأنا جالس معهم ، وبدأت ملامح موقف حاسم وعنيد ترتسم فى ذهنى ، وازددت يقينا أن المخرج الوحيد هو الديمقراطية وعودة الحياة النيابية .

انتهى الاجتماع وأسرعنا إلى عبد الناصر فى بيته ، **وبادر جمال ليقرر أن الحل الأفضل هو أن نستقيل وأن نترك السلطة لنجيب ، وأن نعود جميعا إلى الجيش .**

وطبعا لم يكن بالإمكان تصور أن مثل هذه الاستقالة جادة ، فلا أحد يتصور أن نجيب كان سيسمح لأحد منا بالبقاء فى الجيش ولو ليوم واحد حتى يدبر ضده انقلابا ، لكن الحسابات كانت أن الجماهير ستتحرك دفاعا عن مجلس الثورة ، وأن الجيش لن يقبل استقالتنا وسيتحرك هو أيضا ، ولم يكن ضمن الحسابات أن نجيب كان حتى ذلك الحين هو رمز الثورة ، ورمز التغيير عند الجماهير ، صحيح أن الجماهير تؤيد مجلس الثورة ، لكنها تلتف أكثر بكثير حول شخص نجيب .

ونواصل الاجتماع بغير جدوى ، ولم نصل إلى قرار .

قررنا أن نعود لبيوتنا لننام قليلا ولنعاود الاجتماع فى الغد فى مبنى مجلس الثورة .

كان الغد هو الأربعاء ٢٤ فبراير .. فى الصباح كان هناك اجتماع لمجلس الثورة ، وقلنا نجتمع كمجلس ثورة بعد انتهاء اجتماع مجلس الوزراء ، وعندما توجهنا إلى مبنى مجلس الثورة كان هناك عدد كبير من « الضباط الأحرار » الذين تسرب إليهم نبأ اعتزام مجلس الثورة الاستقالة ، أو ربما سُرب إليهم عن عمد لإثارتهم - لا أعرف على وجه الدقة - فربما حاول البعض الاستقواء بالجيش فى مواجهة نجيب ، أقول « ربما » لأننى لا أريد أن أقحم التخمين فى أحداث دقيقة كهذه ، ولأننى لا أقرر هنا إلا ما أعرفه عن يقين .

.. المهم كان هناك حشد من الضباط الغاضبين الرافضين لاستقالة مجلس الثورة ، وتم الاتصال بأعضاء مجلس الثورة الوزراء لاستدعائهم على عجل ، وتركوا مجلس الوزراء وحضروا .

كان نجيب يمارس سلطاته كالمعتاد ، فقد ترأس اجتماع مجلس الوزراء .. وقد أثار هذا دهشتنا وحيرتنا فى آن واحد : فهو يرفض سحب الاستقالة ، فى حين بقى ممارسا لسلطاته .

وعقدنا اجتماعنا ..

ويمكن القول بأن المناخ قد تغير بعض الشىء فى الاجتماع ، فلعل بعض الزملاء ومنهم عبد الناصر قد أحسوا بأن الجيش معهم ، فشعروا بحالة من الانتشاء ، وبدوا أكثر استعدادا لمواجهة نجيب .

لكن الوصول إلى اتفاق لم يكن سهلا ، وظلت الاقتراحات غير الناضجة تُطرح على مائدة النقاش دون أن يحظى أى منها بقبول عام ، وهنا صاح جمال سالم محتدا : « أمامكم حتى الخامسة صباحا لتصلوا إلى حل حاسم ، فلا يجوز أن تستيقظ البلد على هذا الوضع ، وإلا أفلت الزمام من أيدينا ، وأنتم منذ يومين تدورون فى حلقة مفرغة ، تقولون نستقيل ثم ترجعون ، ثم تعودون لفكرة الاستقالة لتتراجعوا عنها ، إذا لم تصلوا إلى حل أنا عندى حل » ..

وفجر جمال سالم الحل الذى توصل إليه ليفجر غضبى كما لم يتفجر من قبل ، قال جمال سالم : « سأذهب إلى بيت محمد نجيب لأضربه بالرصاص ثم أضرب نفسى » .

انفجرت غاضبا : هل ستصل الأمور إلى حد أن نقتل بعضنا بعضا ، عندما نختلف ؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا تقتلنى ، فأنا مختلف معكم أيضا ؟

وثار بغدادى أيضا رافضا الفكرة .

ولعل هذه المشاجرة كانت إيذانا بأن يصل الاجتماع الذى استمر طويلا إلى حل .

وأخيرا توصلوا إلى حل : إعلان قبول استقالة محمد نجيب ، ومد فترة الانتقال ، وتبرير قبول الاستقالة بأن نجيب يريد أن يستحوذ على كل السلطات .

وكنت وحدى فى الطرف الآخر ، وأكدت للزملاء أكثر من مرة أن حجة أن نجيب يريد أن يستحوذ على السلطات لا تقنع أحدا ، وقلت لهم : أنتم ترفضون عودة الحياة النيابية وقررتم حل الأحزاب ، أى تريدون الاستحواذ على السلطة لأنفسكم ، والجماهير ستفهم

الأمر أنه صراع على السلطة بين أطراف كل منها يريد أن يحورها لنفسه وليس للشعب ، كذلك فإن هذه الحجة لن تقنع أحدا فى الجيش الذى اعتاد رجاله على الخضوع التام للقيادة .

وكنت بطبيعة الحال أيضا ضد مد فترة الانتقال .

لكن الزملاء صمموا على أن يصدر هذا القرار بالإجماع ، لإظهار تضامننا معا ، وإزاء الحاحهم قلت : سأعلن موافقتى بشرط أن أستقيل من مجلس الثورة ، وأكدت لهم أننى سأستقيل ولن أعود للجيش ، وإنما سأشتغل بالسياسة .

ووافق الزملاء على ذلك بشرط ألا أعلن استقالتى فورا وإنما بعد فترة ، وهنا وافقت أيضا مشترطا ألا يطلب منى أن أذهب إلى ضباط المدرعات (الفرسان) لإقناعهم بما أعتقد فى قرارة نفسى أنه قرار خاطىء وضار .

□ □ □

..وأتى صباح الخميس ٢٥ فبراير .

ذهب صلاح سالم إلى الإذاعة ليعلن نبأ قبول استقالة نجيب ، وليبرر الأمر تبريرات أثارت سخرية الناس ، فقد قال إن نجيب كان يلح على نشر صوره فى الصحف ، وعلى إذاعة خطبه فى الإذاعة ، وأنه كان يوقظ صلاح سالم بصفته وزيرا للإرشاد من النوم ليطلب إليه الأمر بإذاعة خطاب ألقاه ..

وقال صلاح سالم فى بيانه إنه إزاء تفاقم الخلافات بينه وبين نجيب ذهب بنفسه إلى السجن الحربى ووضع نفسه فى اسجن .

وهكذا ..

والمهم أن الناس لم تقتنع بكلمات صلاح سالم ، فكيف يُحرم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وقائد الثورة من إذاعة خطبه فى الراديو أو من نشر صوره فى الصحف ، أما موضوع أن صلاح سالم ذهب بنفسه إلى السجن الحربى ليسجن نفسه فقد أثار لدى الناس تعليقات مليئة بالسخرية .

أما أنا فقد قررت ـ لكى لا أضع نفسى فى موضع الحرج ، ولكى أفى بما تعهدت به للزملاء ـ أن أختفى ، فتركت البيت طوال يوم الخميس ، ذهبت وزوجتى إلى خارج القاهرة ، وقررت أن أقطع حرارة التليفون لكى لا يتصل أحد بالمنزل ، ويوم الجمعة ذهبت

الى السينما لأشاهد مع زوجتى فيلم « يوليوس قيصر » ثم تعشيت فى الخارج ، ولم أعد إلى انبيت إلا الساعة الثانية عشرة والنصف مساء .

عدت للبيت لأجد ضابطا فى انتظارى يبلغنى أن الزملاء فى مجلس الثورة ينتظروننى فى مكتب عبد الحكيم عامر ، قررت أن أصعد لأغير ملابسى المدنية وألبس الزى العسكرى ، فقد اعتدنا أن نحضر اجتماعات مجلس الثورة بالزى العسكرى ، لكن الضابط كانت لديه تعليمات بأن أذهب بأسرع ما يمكن ، فقال : يا أفندم مفيش وقت .

وذهبت بملابسى المدنية مكتفيا بأن البالطو الذى أرتديه يميل لونه إلى اللون الكاكى .

كان الجميع هناك إلا حسن ابراهيم ، فقد كان بالاسكندرية ..

قلت : « السلام عليكم » ولم أستمع ردا ، الوجوه جميعا كانت باردة وجافة ، عبد الناصر ممسكا برأسه بين يديه ، والبعض يضع رأسه على مائدة الاجتماع ، والجميع واجمون ، ونظراتهم نحوى لم تكن ودية .

هذه الوجوه الباردة جديدة تماما علىّ ، إنها غير تلك التى زاملتها سنوات طويلة فى الإعداد للثورة ، فهذه الصداقة القديمة والطويلة اختفت وحلت محلها نظرات لا أريد أن أصفها ، لكننى لا أنساها حتى الآن .

لقد كانوا جميعا غاضبين منى ، رغم أن توقعاتى هى التى تحققت ، أو ربما بسبب ذلك ، فبيان صلاح سالم فى المؤتمر الصحفى الذى أعلن فيه قبول استقالة نجيب لم يقنع أحدا . بل إنه زاد من عطف الناس على نجيب .

قال صلاح سالم إن أولاده هاجموه بشدة فى البيت ، وأن خادمه مر على محلات العباسية ليشترى احتياجات المنزل ، لكن البائعين رفضوا أن يبيعوا له ، أقارب زكريا هاجموه بشدة ، والضباط عامة ما أن نزلوا الشارع صباح الخميس حتى ووجهوا برفض جماهيرى شامل ، وانتقادات حادة .

أنا نفسى كنت فى وسط البلد مساء الخميس ، ووجدت الناس متجمعين أمام أحد المحلات يستمعون لخطاب صلاح سالم ، نزلت من السيارة ووقفت استمع معهم ، وعندما انتهى البيان علق أحد الواقفين قائلا : « دول طلعوا أولاد كلب » ، وأسرعت إلى سيارتى .

كان رد الفعل الجماهيرى على غير ما توقع الزملاء ، فماذا كان رد فعل الجيش ؟

كانت الأنظار كلها متجهة إلى سلاح المدرعات ، ولقد اتفقت مع الزملاء فى جلسة الأربعاء ألا أتحمل أمام ضباط المدرعات مسئولية الدفاع عن موقف أنا غير راض عنه ، ولقد تعمدت الاختفاء من بيتى حتى لا أضطر لأن أعلن رأيى لزملائى فى المدرعات فيتصور الزملاء فى مجلس الثورة أننى أحرض الجيش ضدهم .

وذهب حسين الشافعى ووجه بمعارضة شديدة من ضباط المدرعات ، وطلبوا أن يذهب إليهم جمال عبد الناصر ، فلما ذهب هاجموه بشدة ولم يستطع أن يكسبهم إلى صفه ، بل ولم يستطع أن يقنع منهم أحدا بموقفه .

كان هذا هو سبب الوجوم ، فقد كانت حساباتهم قائمة على أساس أن الجيش معهم ، وأن بيان صلاح سالم يمكنه أن يقنع بعض قطاعات من الشعب ، لكن المهم فى هذه الحسابات هو أن الجيش مضمون معهم ،فإذا بالشعب قد وقف ضدهم ، والمدرعات وقفت ضدهم ، ثم زاد الطين بلة أن حسن ابراهيم اتصل من الاسكندرية ليبلغ أن حامية الاسكندرية هى أيضا ضد القرارات .. صحيح أن المدفعية والطيران والمشاه معهم ، لكن هناك شرخ خطير فى الجيش ، وربما أدى تجاهله إلى حدوث مذبحة بين قوات الجيش .

□ □ □

حاولت أن أكسر حاجز الوجوم ، والنظرات المشحونة بالغضب فقلت : خير يا جماعة ؟ ولم يرد أحد ، سألت عبد الناصر : فيه ايه يا جمال ؟ ولم يرد ، وازداد نوترى إلى درجة أننى مددت يدى وأخذت سيجارة من علبة كانت على المائدة وأشعلتها .. وعدت للتدخين من جديد بعد أن كنت قد أقلعت عنه لفترة .

أخيرا تكلم جمال وقال : أنتم تعرفون الحكاية لكن سأحكيها لخالد ، يوم الخميس ذهب حسين الشافعى إلى ضباط المدرعات وعرض عليهم القرار فعارضوه بشدة ، وبدأوا فى الاتصال ببعضهم ، وحاولوا الاتصال بخالد لكن خالد لم يكن فى بيته ، وقرر الضباط عقد اجتماع تان فى صباح الجمعة وذهب لهم حسين الشافعى ولم يستطع إقناعهم أيضا ، وصمموا على أن أذهب أنا إليهم وإلا عقدوا الاجتماع بمفردهم ، وأصدروا قرارات وأعلنوا رأيهم .. ومضى جمال قائلا إنه ذهب إليهم فعارضوه بشدة وانتقدوه انتقادا شديدا ، وقال إنه بينما كان يتحدث إليهم كان طابور دبابات عائدا من التدريب على ضرب النار ، فدارت الدبابات حول الميس المجتمعين فيه ، وشعر جمال أن هناك نوعا من التهديد ..

وقال جمال : أنا وجدت أمامى ناس رافضة لأى إقناع ، مصممين على ضرورة عودة محمد نجيب ولو بدون سلطات ، وعلى ضرورة عودة « الحياة النيابية » ، واستطرد قائلا : « وطبعا انتم عارفين أن موضوع الحياة النيابية ده كلام خالد وأفكار خالد ..»

فقاطعته وقلت : أنا تركت بيتى حتى لا يتصل بى أحد ، ولكى لا أتصل بأحد ، فقال عبد الناصر : أنا لا أتكلم عن النهارده ، **وقال حسين الشافعى : « الحقيقة يا خالد انت منذ عدة أشهر وأنت تعقد اجتماعات مع ضباط المدرعات ، وتقوم بزيارات جماعية مع الضباط بصورة دورية لأحد الضباط فى قريته ، وكنت تتحدث معهم دوما عن الحياة النيابية والديمقراطية .. » فقلت : « هل كنت عايزنى أقول لهم لازم تعمل دكتاتورية ، أنا كنت أقول لهم رأيى ، وقد قبلوه ، والحقيقة أن ضباط المدرعات يشعرون بأنهم مغبونون وأنهم مبعدون عن عمد عن تولى المناصب الهامة »** .

ومضى جمال عبد الناصر ليروى قصة حواره مع ضباط المدرعات ، وقال إن ضابطا فى الفرسان - هو ابن محمد نور الدين الزعيم السودانى - قال : يا جماعة لا تنسوا السودان ، وتأثير محمد نجيب على السودانيين ، وأنه يمتلك شعبية كبيرة وسطهم وأن إبعاده الآن سيؤدى إلى انفصال السودان عن مصر .

وأخيرا قال جمال : لكن أخطر ما فى الموضوع أن الضباط أعلنوا أنهم سيظلون مجتمعين حتى يصلهم رد على مقترحاتهم أو مطالبهم والتى تتلخص فى :

- **عودة نجيب .**
- **عودة الحياة النيابية ..**

وقال : لقد أشاروا بشكل غير مباشر إلى أن المظاهرات الشعبية سوف تنفجر فى الغد مطالبة بعودة نجيب وعودة الحياة النيابية ، وأنهم لن يستطيعوا مواجهة هذه الجماهير ، لأنها تنادى بما ينادون به ، ولهذا فهم مصممون على أن يصلهم رد قبل طلوع الصبح .

وفيما بعد علمت من صلاح سالم وبغدادى أن عبد الناصر اقترح على مجلس الثورة قبل حضورى الموافقة على عودة محمد نجيب ، لكن الزملاء رفضوا ، وكان أكثر الجميع تشددا جمال سالم الذى قال : إذا قبلنا ذلك فمعنى هذا أننا نخضع للضغط ، وأننا نشجع الآخرين على الضغط علينا ، ويخرج الموقف من أيدينا ، والأفضل أن نرفض .. وأن نستقيل .

مرة أخرى .. نرفض ونستقيل .

كان هذا قبل حضورى ، فلما حضرت وتحدث جمال ، سألنى بعد أن انتهى من حديثه : **ايه رأيك يا خالد ؟ فقلت : رأيى من رأيكم .**

وفوجئت بجمال يقدم اقتراحا غريبا ومثيرا فى آن واحد :

- □ **محمد نجيب يعود .**
- □ **مجلس الثورة يستقيل .**
- □ **تشكل حكومة مدنية برئاسة خالد محيى الدين .**
- □ **تعود الحياة النيابية خلال فترة أقصاها ستة أشهر .**

..إنها ما عُرف فى التاريخ باسم « **قرارات ٢٦ ـ ٢٧ فبراير** » .

وفوجئت بهذا الاقتراح ، ومضى جمال عبد الناصر مبررا : يا جماعة بصراحة كده مافيش حد مقتنع بعودة الديمقراطية والحياة النيابية إلا خالد .. إذن يبقى هو ، ونحن نستقيل ليحقق هو الأهداف التى نادى بها .

وبدأت أشعر بحقيقة المأزق الذى يريدون وضعى فيه ، فإذا كانوا سيستقيلون فهل سيستقيل عبد الحكيم عامر .. قائد الجيش ؟ فإن فعل فمن يضمن استمرار ولاء القوات المسلحة ؟ وإذا كان سلاح الفرسان معى ، فماذا عن المدفعية والطيران والمشاه ، وضباطها متمسكون بمجلس الثورة وبسلطاته وبرفض الحياة النيابية .. وهل أقبل أن تقع مذبحة بين قوات الجيش ؟

سيل من الأسئلة ، وعلامات الاستفهام تتراكم أمام ناظرى ، وأحسست أن الأمر ليس سهلا ، وأننى أُدفع دفعا إلى مأزق خطير ، **فقلت لعبد الناصر : يا جمال لقد فاجأتنى بهذا الموضوع ، والمسألة ليست بهذه البساطة ، أنت تقترح أن أشكل وزارة مدنية .. أشكلها ممن ؟ وبأية سلطة ؟ ومستندا إلى أية مشروعية إذا كنتم جميعا ستستقيلون ؟ وماذا سيكون موقف القوات المسلحة ؟ فرد عبد الحكيم عامر : أنا مسئول عن تأمين القوات المسلحة للفترة ثم أستقيل .**

فقلت : ومن يضمن تأمينها بعد أن تذهب أنت ؟

وهنا انفجر صلاح سالم فى حركة درامية قائلا : « استحلفك بالله يا خالد أن

توافق إنقاذا للبلد ، فإذا لم توافق قبل طلوع الصبح ستقوم فى البلد مذبحة ، فهناك انقسام فى القوات المسلحة ، والناس عايزه نجيب ، أرجوك اقبل » .

وبرغم حيرة شديدة وأسئلة حائرة بلا إجابة ، وشكوك تتسرب إلى عقلى ونفسى .. قلت : إذا كان الأمر كذلك سأقبل مبدئيا ، ولكن يجب أولا أن نسرع إلى ضباط المدرعات ـ الذين كانوا مازالوا مجتمعين كقوة ضغط . ولابد هنا أن أذكر بأن مقر سلاح المدرعات كان فى مواجهة مقر قيادة الجيش ، لا يفصلهما عن بعضهما إلا عرض الطريق ، ومن ثم فإن اجتماعهم كان يمثل قوة ضغط مباشرة وفاعلة .

وتوجهت أنا وعبد الناصر إلى سلاح المدرعات ، وطوال الطريق كان هم ثقيل يطبق على صدرى ، أى مأزق يريد الزملاء وضعى فيه ، وأى عبء يلقونه على عاتقى ، كانت الأسئلة تتزاحم مع بعضها بعضا : كيف ستتم السيطرة على البلد ؟ كيف ستتم السيطرة على القوات المسلحة والمدفعية والطيران والمشاه ؟ ، الأحزاب كيف ستعود ؟ الحياة النيابية كيف يمكن إعادتها ؟ ثم مع هذا كله ، بل قبل هذا كله .. ما هى حقيقة نوايا الزملاء فى مجلس الثورة ؟ وماذا يضمرون فعلا ؟ وما هى خطتهم الحقيقية ؟

وأخيرا وصلنا إلى ضباط المدرعات وعرض جمال الاقتراح .

وسأله أحد الضباط : وأنتم ماذا ستفعلون ؟ فقال : سنحال إلى المعاش . ويبدو أن المخاوف التى سيطرت علىّ قد وجدت سبيلها إليهم ، فقال ضابط منهم : إذا كنتم موافقين على عودة نجيب وعلى عودة الحياة النيابية ، وترون أن هذا هو المخرج ، فلماذا تستقيلون وتتركون خالد وحده ؟ هل تريدون إحراج خالد ؟

فقال جمال : نحن نرفض العمل مع نجيب ، وأنتم مصممون على إعادة نجيب ، ونحن لا نثق فى نجيب ، بينما نثق فى خالد ، فنحن نريد أن يتولى خالد المسئولية . واستمرت الشكوك تحيط بضباط الفرسان ، وتدفعهم إلى المناقشة لكن عبد الناصر وضعهم أمام خيارات صعبة قائلا : انتم مصممون على عودة نجيب ونحن نرفض عودته فلا تستطيعون إجبارنا على إعادة نجيب وعلى البقاء للعمل معه ، نحن نوافق على رأيكم ولكن ننسحب نحن ، فنحن لن نتعامل مع نجيب ، كذلك أنتم تريدون عودة الحياة النيابية والوحيد فينا الذى يطالب بعودة الحياة النيابية هو خالد ، ولهذا اقترحنا أن يأتى هو لينفذ طلباتكم .

وانتهى النقاش .. وضباط المدرعات غير مستريحين كما كنت أنا غير مستريح ، ولكن لم يكن هناك مخرج آخر .

وعدت أنا وجمال إلى مقر القيادة لإعداد صيغ القرارات ، واقترحت أن أذهب إلى نجيب لأعرض عليه الأمر ، ووافق الزملاء ، لكنى فوجئت بثلاثة يصاحبونني دون أن أطلب منهم ذلك ، وربما طلب إليهم أحد أن يذهبوا معى ليعرفوا على وجه الدقة ماذا سأقول لنجيب ..

كان الثلاثة : عباس رضوان ـ شمس بدران ـ عماد ثابت ، وكان الأخير من الفرسان لكنه كان من دفعة عبد الحكيم عامر وكان صديقا له .

وعندما وصلنا إلى بيت نجيب أحسست أن وجود هؤلاء الثلاثة معى سوف يفسد النقاش ، وقد يرفض نجيب الموافقة على هذه الاقتراحات ، وقررت أن ألتقى بنجيب قبل أن يخرج إلينا ، وطلبت أن أدخل إليه ، كانت الساعة حوالى الرابعة فجرا ، وكان فى غرفة نومه مع زوجته ، خرجت زوجته من غرفة النوم ودخلت أنا إليه .

لم تستمر مقابلتى معه أكثر من ثلاث أو أربع دقائق ، ولم أكن أعلم أن انفرادى بنجيب بعيدا عن أعين الرقباء الثلاثة سوف يثير لدى الزملاء فى مجلس الثورة حساسية مفرطة ، وأنه سوف يثير لديهم تساؤلات عن العبارات التى قلتها له على انفراد ، وكيف ولماذا اقتنع بهذه السرعة ، وهل ثمة اتفاق ما بيننا ؟ **والحقيقة أن هذه الدقائق الثلاث لم تشهد أكثر من النقاش العادى المفترض فى ظرف كهذا ، فعندما عرضت الأمر على نجيب حاول الاعتراض على عودته بلا سلطات ، فقلت له : أليس هذا أفضل من قبول استقالتك وإبعادك نهائيا ، وقلت له إن الناس تريدك والمدرعات أثارت مشكلة بسببك فكيف ترفض ؟**

وأعلن نجيب موافقته . وخرجنا إلى الرقباء الثلاثة ليعلن نجيب الموافقة مصحوبة بشكاوى شخصية عديدة ، ففى هذا الوقت القصير السابق لموافقته حاصروا بيته ، ومنعوا الطباخ من الخروج لشراء حاجيات المنزل و... إلى آخره من مثل هذه الشكاوى ، لكننى قلت له : لا مبرر لهذه الشكاوى الآن ، المهم أنك وافقت ، ولنبدأ صفحة جديدة . وأسرعنا أنا والرقباء الثلاثة إلى مقر قيادة الجيش لأعلن للزملاء فى مجلس قيادة الثورة موافقة نجيب .

١٩ اجتماع الميس الأخضر

* حاول عبد الناصر دخول سلاح الفرسان فمنعه الحرس .
* وقال عبد الناصر : شعبنا لا يستطيع تحمل مسئولية الحرية .. !
* سمع عبد الناصر هدير الدبابات فسقطت سيجارته من يده .

منذ الأسطر الأولى لهذه المذكرات عاهدت نفسى ألا أورد فيها إلا ما علمت ، أو شاهدت ، أو سمعت ، أو فعلت بنفسى .

ولقد قلت فى الفصل السابق إننى أخفيت نفسى عمدا طوال يومى الخميس والجمعة ، غادرت المنزل ، بل غادرت القاهرة لبعض الوقت ، تحاشيا لأن يسألنى أحد عن رأيى فى قرار قبول استقالة نجيب ، وحتى حرارة التليفون قطعتها لأمنع أى اتصال تليفونى حتى فى غيابى .

لكن وقائع اجتماع « الميس الأخضر » وهو ميس الآلاى الثانى مدرع بسلاح الفرسان (المدرعات) كانت بالغة الأهمية ، بل كانت إلى حد ما ذات تأثير حاسم فى مجرى الأحداث ، وربما فى مجرى الثورة ككل ..

ولهذا فإننى أتمنى أن يأذن لى القارىء أن أستعير ذاكرة بعض الأخوة الأحباء من ضباط سلاح الفرسان الذين شاركوا بل ونظموا هذا الاجتماع ، فليس من الممكن مواصلة الحديث عن الأحداث التالية دون أن نتوقف وببعض من التفصيل أمام حوارات « الميس الأخضر » الساخنة بين ضباط الفرسان وعبد الناصر وحسين الشافعى ..

فلعل هذه الحوارات قد حددت المواقف ووضعتها عند نقطة فاصلة ، ولعلها قد أثرت ولأمد طويل فى موقف عبد الناصر منى ومن إخوانى ضباط الفرسان .

وقبل أن أكتب هذه الصفحات استمعت طويلا إلى العديد من إخوتى ضباط الفرسان الذين حضروا هذا الاجتماع ، كما تفضل أخى أحمد المصرى ضابط الفرسان الشجاع ، وأحد العناصر القيادية فى حركة الفرسان - وبناء على طلبى - بكتابة ذكرياته عن هذا الاجتماع .

.. وإلى ما سمعت ، وما كتب أحمد المصرى سأعتمد فى كتابة هذه الصفحات .

وأعتقد أنه لابد - عزيزى القارىء - من أن أقدم لك وفى إيجاز شديد أحمد المصرى .. فهو واحد من الطلائع الأولى « للضباط الأحرار » ، وقد أسهم معنا منذ البداية

فى تعزيز صفوف « الضباط الأحرار » فى سلاح الفرسان ، وكان ضابطا فى آلاى السيارات المدرع الذى يقوده حسين الشافعى ، وكان وثيق الصلة بى وبالشافعى ، لكنه كان ذا شخصية مستقلة ، وقيادية ، وكان يؤمن إيمانا عميقا بأن الديمقراطية هى السبيل الأفضل لمواصلة الثورة لدورها من أجل خدمة مصر وشعبها ، وقد لعب أحمد المصرى دورا قياديا بارزا فى حركة الفرسان للمطالبة بالديمقراطية وبعودة الحياة النيابية .

وقد تواترت إلى مسامع عدد من ضباط سلاح الفرسان أنباء عن خلافات بين مجلس قيادة الثورة ونجيب ، ثم وصل إليهم نبأ قبول استقالة نجيب ومد فترة الانتقال ، وقد أثارت هذه الأخبار هواجس ومخاوف العديد من ضباط الفرسان ، وخاصة بعد أن تأكد لهم عن طريق حسين الشافعى صحة الخبر .

كان ضباط الفرسان ضد مد فترة الانتقال ، الذى يعنى بالضرورة عدم عودة الحياة النيابية وافتقاد الديمقراطية ، وكانوا يتفقون معى ومنذ زمن على هذه المبادىء الأساسية ، وحاولوا الاتصال بى - عندما علموا بالأمر - فلم يستطيعوا ، فاتصلوا بحسين الشافعى فى مقر القيادة فدعاهم إلى إرسال وفد من ضباط الفرسان للتفاهم .

..أوفد الفرسان ثمانية ضباط : أحمد المصرى ، أحمد سامى ترك ، أحمد ابراهيم حموده ، محمود حجازى ، فاروق عزت الأنصارى ، عبد الفتاح على أحمد ، فتحى الناقه وعبد الله فهمى .

ذهب الضباط الثمانية ليجدوا مقر القيادة وغرفة القائد العام مكتظة بالغاضبين من ضباط الأسلحة الأخرى : المدفعية ، المشاة .. الخ ، وشاهدوا كم هى متشددة مواقفهم ضد نجيب ، وسمعوا أصواتا تندد بنجيب وتصيح علنا : **اطردوه ، اعتقلوه ، اقتلوه** .

وأحسوا أن سيادة مثل هذا التيار تعنى بالضرورة إجهاض أية محاولة لعودة الحياة النيابية ، أو عودة الديمقراطية .

ودخل الضباط الثمانية إلى قاعة الاجتماعات حيث كان هناك حشد من ضباط الأسلحة الأخرى ، ولحق بهم جمال سالم ، صلاح سالم ، عبداللطيف بغدادى ، حسين الشافعى . وبدأ جمال سالم فى الحديث قائلا : يا حضرات احنا خلاص زهقنا من الراجل اللى اسمه محمد نجيب ، فنحن منذ ثمانية شهور على خلاف مستمر معه ، ولن نستطيع الاستمرار هكذا ، إن ذلك كله يتم على حساب أعصابنا ووقتنا وعائلاتنا ، ولن نستطيع احتمال المزيد .

وقال صلاح سالم : إن الموقف يا حضرات الضباط يمكن أن يتلخص فى اختيار أحد

ثلاثة حلول لا رابع لها .. فمحمد نجيب وضعنا ووضع البلد فى مأزق باستقالته ، وهو يطلب أن تكون له سلطة مطلقة ، وله حق الفيتو على ما نتخذه من قرارات ، أى أنه يريد أن يكون دكتاتورا وحاكما مطلقا ، ولهذا فليس أمامكم إلا أن تختاروا أحد ثلاثة حلول :

□ **الحل الأول** : أن نفرض وفاقا بين مجلس الثورة ونجيب لمدة أخرى ، وهذا بالنسبة لنا غير ممكن ، ولهذا نستبعد هذا الحل .

□ **والحل الثانى** : أن ينسحب مجلس قيادة الثورة ويترك الحكم لنجيب ليحكم البلد حكما دكتاتوريا مطلقا ، ونعود نحن إلى وحداتنا فى الجيش من جديد .

□ **أما الحل الثالث** : فهو أن نقبل استقالة نجيب ، ويواصل مجلس الثورة تحمل الرسالة وأداء الأمانة التى فى عنقه .

وتابع ضباط الفرسان الثمانية هذا العرض الذى لا يتيح سوى مخرج واحد هو إبعاد نجيب ، وتابعوا أيضا عاصفة الرفض من الضباط المحتشدين إزاء الافتراضين : الأول والثانى ، وموجة الاستحسان للاقتراح الثالث ..

وشعروا بأن هناك تباينا شديدا بين موقفهم وموقف الآخرين ، وطلب محمود حجازى (فرسان) الكلمة وقال : لقد سمعنا رأى مجلس الثورة فى نجيب ، ولكن لم نسمع من نجيب رأيه فى مجلس الثورة ، وأنا أعتقد أن نجيب شخصية محبوبة من الجماهير ، وينظر الناس إليه على أنه رجل طيب ، والمفروض أن نسمع أيضا من نجيب . وانفجر جمال سالم غاضبا : **البلد بتتحرق وانتم عايزين تعملوا تحقيق .**

وتدخل أحمد المصرى (فرسان) قائلا : نحن نعلم أن لنجيب مؤيدين فى صفوف الجيش ، وربما كان البلد كله يؤيده ، ولا شك أننا جميعا نعرف ما تعانيه سوريا من انقلابات وانقلابات مضادة ،وهذا ما نؤمل أن نجنب مصر من الوقوع فيه ، ولا مخرج لنا إلا الديمقراطية ، فالديمقراطية هى التى ستحمينا من مثل هذه المواقف الصعبة ، وتحمينا من الانقلابات العسكرية ، ونحن فى سلاح الفرسان نجد أن قبول الحل الثانى أو الثالث أمر غير مفيد ومرير على النفس ، ونعتقد أنه من الممكن التوصل إلى توافق بين محمد نجيب ومجلس الثورة لفترة نستطيع أن نبنى فيها أسس حكم ديمقراطى ونيابى قائم على إطلاق الحريات ، وتعدد الأحزاب ، وحرية الصحافة ، ومن جانبنا فإننا نحن ضباط الفرسان على أتم استعداد أن نبذل جهدنا لإقناع نجيب بالعودة على أساس التخلى عن أية مطالب أو شروط غير مناسبة .

ويصرخ جمال سالم : أنت واهم يا حضرة الضابط .

ويرد أحمد المصرى : فلنحاول ، ولن نخسر شيئا من المحاولة ، ولتعلموا أن استمرار الوضع سيؤدى إلى تفجر خلافات جديدة داخل المجلس ، والمخرج هو إعادة الحياة الدستورية والحياة النيابية حتى تخرج البلاد من هذا المأزق بأسرع ما يمكن .

وتهب عاصفة من الاستنكار من جانب الضباط الآخرين ، ويقول جمال سالم بسخرية : ايه النغمة الجديدة دى ؟

ويرد أحمد المصرى : إذا كان رأينا لا يعجبكم فليعد ضباط مجلس الثورة إلى الجيش ، وتتشكل منهم قيادة للقوات المسلحة ، ويتركوا الحكم لنجيب ليرأس وزارة مدنية تحدد لها فترة زمنية لإعادة الدستور والحياة النيابية ، وتكون لكم كقيادة للجيش سلطة رقابية خلال فترة الانتقال .

وترتفع أصوات النقد اللاذع ، والشتائم التى تتهكم على الدستور وعلى الديمقراطية ، بل ارتفعت أصوات تقول : هذا الشعب الجاهل لا تصلح له الديمقراطية ، وأصوات تقول : هذا الشعب الذى كان يبيع أصواته فى الانتخابات تريدون أن تعطوه الفرصة ليبيع أصواته من جديد ؟

وتعالى الصراخ من كل مكان ، وصرخ صلاح سالم فى الجميع : باختصار ياحضرات هل تثقون فى مجلس الثورة أم لا ؟ وتعالت أصوات البعض تؤيده وتعلن مساندتها للمجلس ، بينما صاح أحمد المصرى ومحمود حجازى قائلين : **إحنا لنا اثنين ممثلين فى المجلس ، إذا لم يكونوا قادرين على الدفاع عن وجهة نظرنا يتفضلوا يمشوا ونختار اثنين بدلا منهم .**

وسأل أحمد المصرى : فين خالد محيى الدين نريد أن نناقشه ؟

فرد صلاح سالم فى سخرية : خالد رأيه مثل رأيكم وسوف نناقش هذا الأمر فيما بعد .

وانسحب ضباط الفرسان حوالى الساعة الثانية والنصف من صباح ٢٥ فبراير بعد أن وعُدوا بألا يصدر أى قرار إلا بعد التشاور مع ضباط الفرسان . وفى الساعة السابعة صباحا أذاع صلاح سالم بيان قبول استقالة نجيب ، والذى تضمن تهجما على نجيب ، وحججا لم يكن بالإمكان قبولها .

وثار ضباط الفرسان لأن مجلس الثورة نقض الاتفاق بعدم اتخاذ قرار إلا بعد التشاور معهم ، وتجمعت أعداد كبيرة من ضباط الفرسان .. ووجهوا اللوم لمندوبيهم الثمانية ، وتوتر الموقف إلى أقصى درجة .

وفى هذه الأثناء حاول الزملاء فى مجلس الثورة الاعتماد على حسين الشافعى فى إقناع ضباط الفرسان بوجهة نظر مجلس الثورة ، وطلب حسين الشافعى وضع جدول زمنى للمرور على ضباط وحدات سلاح الفرسان لمناقشتهم ، وفشل فى ذلك فشلا ذريعا ، فقد انقلبت المناقشات إلى محاسبة قاسية وصارمة لمجلس الثورة وتصرفاته والمسلك الشخصى لبعض أعضائه ، وأصبح واضحا لقادة حركة الفرسان أن ضباط السلاح معهم فى مواقفهم فازدادوا حماسا ، وهكذا جاءت زيارات حسين الشافعى لوحدات الفرسان بنتيجة سلبية بالنسبة لمجلس الثورة ، ومنحت الحركة داخل الفرسان قوة دفع جديدة ، وساد وسط الفرسان إحساس بأن هناك اتجاها دكتاتوريا يحاول إجهاض أية محاولة لعودة الديمقراطية ، وأن هذا الاتجاه يريد أن يحرّف المسألة إلى مسألة شخصية : بقاء نجيب أو إبعاده ، وأن المسألة يجب أن تحدد .. ديمقراطية أم دكتاتورية .

وعقد ثلاثة من قادة حركة الفرسان (أحمد المصرى - محمود حجازى - فاروق الأنصارى) اجتماعا سريا فى منزل أحد الأصدقاء بشارع عماد الدين هربا من العيون التى كانت تلاحقهم ، وترصد تحركاتهم ، **واتفق الثلاثة على الدعوة لاجتماع واسع لضباط سلاح الفرسان لمحاسبة أعضاء مجلس قيادة الثورة ..**

وتحدد موعد الاجتماع الساعة الخامسة مساء الجمعة ٢٦ فبراير بميس الآلاى الثانى مدرع المعروف باسم « الميس الأخضر » .

ومنذ الصباح بدأت الاتصالات لحشد الضباط ، ووجهت الدعوة لحسين الشافعى للحضور ، وبحثوا عنى لدعوتى دون جدوى ، ورفض حسين الشافعى الدعوة واقترح بدلا من هذا الاجتماع الواسع عقد اجتماع لمندوبى الوحدات فى مكتبه أو منزله ، واقترح تعديل الموعد إلى الثامنة والنصف مساء . وأصر ضباط الفرسان على موقفهم ، وعقدوا الاجتماع فى المكان والزمان المحددين .

وبدأ أحمد المصرى بالحديث ، وتكلم بالتفصيل عن أحداث الأيام الأخيرة ، وطالب بالحريات العامة ، وتحقيق الديمقراطية ، والحياة النيابية ، وحرية الصحافة ، وحرية تعدد الأحزاب .

وانتقد بشدة تصرفات أعضاء مجلس الثورة ، وألمح إلى تصرفات شخصية غير

مقبولة من جانب البعض منهم ، كما طالب بإلغاء الترقيات الاستثنائية فى الجيش ، والعودة إلى الأقدمية المطلقة (بما يعنى عودة عبد الحكيم عامر إلى رتبة الصاغ ، وعدم توليه لمنصب القائد العام) .

وقد حظيت مطالب أحمد المصرى بموافقة إجماعية وحماسية من جانب الحاضرين ، كما قرر الحاضرون ضرورة عودة محمد نجيب رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الثورة ، وتفرق الضباط إلى وحداتهم .

وفى هذه الأثناء أبلغ الحرس على بوابة القشلاق أحمد المصرى **بأن جمال عبد الناصر يقف بعربته خارج القشلاق وأنه ممنوع من الدخول** ، وأسرع إليه أحمد المصرى وعبدالفتاح على أحمد (وكان عبدالفتاح هو الذى أبلغ عبد الناصر بالاجتماع) ، وطلب المصرى من محمود حجازى أن يجمع الضباط من وحداتهم فى « الميس الأخضر » بسرعة ، وأدخل عبد الناصر إلى الاجتماع محاطا بحشد من حرسه الخاص وضباط المخابرات . وما أن جلس عبد الناصر حتى بدأ الحوار عاصفا ..

□ أحد ضباط الفرسان وقف متسائلا : **حضرتك جئت للمناقشة والتعرف على وجهات نظرنا ، أم لتحديد أشخاص معارضيك واعتقالهم ؟ فإذا كنت تريد مناقشة حرة وصريحة فمن الضرورى خروج حضرات ضباط المخابرات وضباط الحرس ، وقال بحدة : اخرجوا بره ، بره سلاح الفرسان من غير مطرود ، لأن المسألة إذا كانت تجسسا وتهديدا فنحن قادرون على حماية أنفسنا ، ولا يكون هناك مبرر للنقاش أصلا .**

وحسم عبد الناصر الأمر بأن طلب إلى جميع مرافقيه الخروج من سلاح الفرسان ، وتهدأ القاعة ليبدأ عبد الناصر الحديث قائلا : **أولا وقبل كل شىء هل تثقون فىّ ؟ وجاء الرد ليكهرب الجو : هذا يتوقف على ما ستقول . وكان وقع الرد شديدا على عبد الناصر .**

وتحدث أحمد المصرى قائلا : لقد كنا نتوقع حضورك مع حسين الشافعى فى الثامنة والنصف لكن نحن مستعدون للنقاش الآن ، ونريد أن نناقش كل شىء ابتداء من قرار إبعاد نجيب إلى مختلف القرارات التى أصدرتموها طوال قرابة العامين ، خاصة وأنكم تصدرون العديد من القرارات كل واحد منها يبعدنا أكثر فأكثر عن أهداف ثورة ٢٣ يوليو التى تعاهدنا عليها ، والتى وعدنا الشعب بتحقيقها .

وشارك فى الحوار العاصف : أحمد المصرى - بهاء الحينى - أحمد حمودة - سامى

ترك ـ عبد الله فهمى ـ حسنى الصاوى ـ محمود حجازى ـ ابراهيم العرابى ـ كمال صالح .

وتحولت المناقشة إلى جلسة استجواب عاصف لتصرفات المجلس وتصرفات أعضائه ، **بل ووصل الأمر إلى الخوض فى المسلك الشخصى لصلاح سالم وجمال سالم ، وتحدث البعض عما تواتر عن المصروفات السرية التى تنفق بلا رقيب ، وتصرفات العديد من ضباط الصف الثانى التى تحسب على مجلس الثورة ، بل على القوات المسلحة كلها .**

وحوصر جمال عبد الناصر بهذه الاتهامات المتتالية ، وحاول الخروج من المأزق بأن قال : **أنا شخصيا أتحدى أن ينسب إلىّ أى إنسان أى تصرف غير نزيه .**

ورد أحمد المصرى : لكنك مسئول عن كل تصرف خاطىء يرتكبه أى واحد منهم .

ثم اتخذ النقاش منحى انتقاديا شديدا لتصرفات مجلس قيادة الثورة : سلطات السيادة التى منحها المجلس لنفسه ، والاعتمادات الكبيرة التى وضعت تحت تصرف المجلس وأعضائه (وللحقيقة فقد سرت شائعات مبالغ فيها كثيرا حول هذه الاعتمادات فى هذه الفترة المبكرة) ، وأسلوب إنشاء « هيئة التحرير » ، وطريقة فرض تبرعات لها على المواطنين ، وتصرفات الضباط واستغلالهم للنفوذ ، وعمليات الإثراء غير المشروع ، وما قيل عن اختلاس بعض أموال ومقتنيات أسرة محمد على ونقل بعضها إلى منازل بعض الضباط ، وحملات الاعتقال الواسعة ضد الشيوعيين والإخوان .

وبرغم قسوة هذا النقاش إلا أن بعض الحاضرين شعر أنه يبتعد عن القضية الأساسية ، وهى قضية الحريات والدستور والحياة النيابية .

وهنا وقف محمود حجازى ليسأل : ما هو تصور البكباشى جمال عبد الناصر كمسئول عن كل هذه التصرفات ، عن كيفية تلافى هذه السلبيات فى ظل غياب الديمقراطية والحريات والبرلمان ، وعن إحساس البعض بأنه لا يمكن محاسبتهم فى ظل هذه الأوضاع البعيدة عن الحرية ؟ وقال : نحن كممثلين للشعب الذى ساند الثورة نريد إجابة عن هذا السؤال .

فرد عبد الناصر بعصبية : ومن أعطاكم حق تمثيل الشعب ؟

فأجاب حجازى بحدة : نحن برلمان هذا الشعب حتى يتشكل له برلمان ، ثم مضى منفعلا : الدستور موقوف ، والبرلمان معطل ، والحريات العامة

مهدرة ، والصحافة تحت الرقابة ، ومجلس الثورة ينفرد وحده بالسلطة دون التشاور مع أحد ، وحتى « الضباط الأحرار » الذين صنعوا الثورة لا أحد يتشاور معهم ، وهذا يعنى أننا فى الطريق إلى دكتاتورية عسكرية .

ويدخل حسين الشافعى ليجلس إلى جوار عبد الناصر ثم يسأل غاضبا : من دعا إلى هذا الاجتماع ؟ ويرد عبد الناصر : مش مهم يا حسين مين دعا للاجتماع ، المهم نواصل النقاش .

ثم يتكلم عبد الناصر ليحدد موقفه : فترة الانتقال ضرورية ، ولابد منها ، فشعبنا لا يستطيع تقدير مصلحته الحقيقية بسرعة ، وربما لا تكفى ثلاث سنوات ، وشعبنا لا يمكنه تحمل مسئولية الحرية ، وقد سبق للإقطاعيين أن اشتروا أصوات الناخبين ، وقال : الشعب الذى لا يستطيع أن يتحمل مسئولية الحرية ، لا يمكنه أن يستمتع بالحرية .

واندفع أحد الضباط قائلا : نحن لا نستطيع أن نفرض وصاية على أهلنا ، والحرية هى السبيل الوحيد لتعليم شعبنا كيفية ممارستها ، ولا يمكن الحجر على الناس بحجة أنهم ليسوا أكفاء للاستمتاع بالحرية .

وهنا وقعت حادثة صغيرة لكنها تركت أثرا شديدا فى نفس عبد الناصر ..

تعالت أصوات الإنذار من دبابات متحركة ، وبدأ هدير الدبابات يهز المكان .. فزع عبد الناصر ، وسقطت السيجارة من يده ، ونظر عبد الناصر إلى أحمد المصرى نظرة تساؤل .. فقال له المصرى : إنها دبابات عائدة من خدمة الطوارىء ، وأرجوك أن تطمئن تماما فأنت هنا فى بيتك .

وأشعل عبد الناصر سيجارة جديدة ، لكنه وبرغم حديث أحمد المصرى المفعم بالصدق ظل يتصور أنها كانت محاولة من الفرسان للضغط عليه وتهديده ، وظل يحفظها فى نفسه ولفترة طويلة عندما انتهت عاصفة مارس .. وبدأت مرحلة الانتقام ممن عارضوه أو حاولوا الضغط عليه .

وحاول عبد الناصر ترضية الضباط الثائرين فقال : أنا أنوى أن أقابل على ماهر غدا لأطلب إليه سرعة إنجاز الدستور .

ويرد عليه أحمد المصرى : نحن الآن نناقش أمورا أوسع بكثير من مجرد الإسراع بإنهاء أعمال لجنة الدستور ، فنحن نعتقد أن خمسة عشر يوما كافية لإعداد مسودة دستور ، فمصر مليئة بعلماء القانون وفقهاء الدستور ولها تجربة دستورية غنية ، ولكن نحن نريد إعلانا سريعا للدستور ، وأيضا إعلانا بإجراء انتخابات عامة قبل نهاية العام ، وثمانية أشهر كافية تماما لإنهاء فترة الانتقال ، وبعدها نعود جميعا إلى ثكناتنا ، واقترح أن يعلن ذلك كله ومعه قرار برفع الرقابة عن الصحف .. فى صباح الغد .

ووقف عبد الناصر منهيا الاجتماع وقال : هذا قراركم الأخير ؟ وردت عليه عاصفة مدوية : « أيوه ـ أيوه » .

وهناك وقف ضابط سودانى كان يعمل معنا فى سلاح الفرسان هو ابن محمد نور الدين الزعيم السودانى المشهور بدفاعه عن الوحدة مع مصر ، وقال : أنتم لم تتعرضوا فى النقاش لعلاقة نجيب بشعب السودان ، ونحن شعب عاطفى ، ونجيب أمه سودانية ، والسودانيون يحبونه جدا ، وبصراحة نحن فى السودان لا نعرف جمال عبد الناصر ، ولكن نعرف نجيب ، وعزل نجيب وتشويه صورته سوف يهز مشاعر السودانيين ، وقد يشجع التيارات الانفصالية فى السودان .. إن إبعاد نجيب عمل ضد وحدة مصر والسودان ، أرجوكم أن تقرروا عودة نجيب .

وبعد أن انتهى الاجتماع انتحى جمال عبد الناصر بأحمد المصرى وسأله : الآن ما هى طلباتكم تحديدا ؟ فقال المصرى : الانتهاء من وضع الدستور ـ إعادة الحياة النيابية بعد ثمانية أشهر ـ عودة جميع الضباط إلى وحداتهم ـ إلغاء الترقيات الاستثنائية لاستقرار أوضاع الأقدمية فى الجيش ـ وعودة نجيب رئيسا لجمهورية برلمانية .

ويسأل جمال : وماذا لو رفض نجيب العودة والتعاون معنا ؟ فقال المصرى : نحن كفيلون بإقناعه .

وسأل المصرى : **ما رأيك فى أن يحضر مجلس قيادة الثورة اجتماعا فى سلاح الفرسان ؟**

وتشكك عبد الناصر فى هذا المطلب ، وقال : لأ ، نجتمع فى مقر القيادة ، أو مقر مجلس الثورة أفضل .

وكانت الساعة قد وصلت إلى الواحدة صباح يوم ٢٧ فبراير .

وانتهى اجتماع « الميس الأخضر » الشهير ، ولكن قلقا ما دفع الضباط إلى البقاء فى السلاح ، وبقى الجميع . ويدق جرس التليفون ويتحدث حسين الشافعى ليسأل : ما هى آخر مرة زار فيها الضابط محمد نور الدين السودان ؟ ويكون الرد : منذ عشرين يوما .

ويبدو أن موضوع السودان قد بدأ يقلق أعضاء مجلس الثورة .

وظل الضباط فى القشلاق حتى عاد جمال وخالد محيى الدين ليبلغانهم « بقرارات ٢٦ ـ ٢٧ فبراير » .. وهو ما تحدثنا عنه فى الفصل السابق .

٢٠ التراجع .. عن التراجع

* واقترح صلاح سالم اعتقالى ..
* اختطاف محمد نجيب ..!
* وظهر « مشمش » إلى جوار نجيب .
* رفضت أن يقوم « الفرسان » بانقلاب .
* وطلب منى عبد الناصر أن آخذ أجازة .

لم يستغرق الأمر أكثر من ساعة .. ساعة واحدة ، ستون دقيقة ليس أكثر تغير فيها الوضع إلى النقيض ، بما يؤكد أن مخاوفى كانت فى محلها تماما . إنها الستون دقيقة التى استغرقها ذهابى إلى منزل محمد نجيب والعودة بقرار قبوله قرارات مجلس قيادة الثورة ، والتى كان يرافقنى خلالها أو بالدقة يراقبنى خلالها ثلاثة ضباط من رجال عبد الناصر . وعدت لأجد رئاسة الجيش مزدحمة بأعداد كبيرة من الضباط ، البعض يحمل مدافع رشاشة ، والبعض الآخر يشهر مسدساته ، والجميع يبكون ويصرخون معلنين رفضهم للقرارات ، ومطالبين باستمرار مجلس الثورة .

وعلى طول الممر المؤدى إلى غرفة القائد العام فى الدور العلوى كان الضباط المحتشدون يوجهون شتائمهم ضدى ، متهمين إياى بخيانة الثورة ، وقررت ألا أرد ، أو أجادل ، بل لم أحاول أن أنظر إلى الوجوه لأتعرف عليها ، فقد ركزت كل اهتمامى فى أن أصل إلى غرفة القائد العام .

فتحت باب غرفة عبد الحكيم عامر لافاجأ بما هو أكثر دهشة ، الغرفة يحتشد فيها أكثر من مائة وخمسين ضابطا ، الجميع فى حالة غضب هستيرى وصراخ وبكاء ، عدد كبير منهم كان من « الضباط الأحرار » .. **رفاق الطريق الطويل للعمل المشترك ، والمخاطر المشتركة ، والنضال المشترك ضد النظام الملكى ، ومن أجل البرنامج الذى حددنا لأنفسناه ولحركتنا .. والذى كان يتمسك بالديمقراطية وبالحياة النيابية . لكن الزمن تغير ، وتغيرت معه المواقف ، وتغير الرجال . لم أزل أذكر بعض الوجوه الغاضبة فى ثورة جامحة ، تلك الوجوه التى كانت تتبادل معى المودة والحب إلى أسابيع أو أيام سابقة ، انقلبت نظراتها إلى غضب غير قادر على التحكم فى نفسه ، كان كمال رفعت يهدر رافضا استقالة مجلس الثورة ، وحسن التهامى يصرخ بذات الموقف ، أما مجدى حسنين فقد وصل به الأمر إلى الصراخ : « بلاش سلاح مدرعات ، نلغى سلاح المدرعات » ، وكان أكثر الموجودين صراخا أبو الفضل الجيزاوى . تماسكت بقدر استطاعتى ، وفجأة انقض علىّ ضابط من البوليس الحربى اسمه ربيع عبد الغنى ، وأمسك بخناقى محاولا الاعتداء علىّ ، وتجمع غيره حولى ، وأيضا قررت ألا أرد**

أو أنفعل ، فقد كنت أعرف مدى سخونة المشاعر ، وكيف أن أى رد فعل من جانبى قد يفجر الموقف تماما ، ويحيل هذا الغضب الهستيرى المحدود فى غرفة مغلقة إلى معركة دامية بين أسلحة الجيش المختلفة ، ولهذا فقد قررت أن أمسك بزمام أعصابى مهما كان الثمن . وهنا انقض جمال سالم على الممسكين بخناقى ضاربا إياهم بالشلاليت ، صارخا بشتائمه الشهيرة ، منددا بالباكين موحيا إليهم من طرف خفى إلى فعل شىء غير البكاء ، فكان يصرخ فيهم : « بدل ما أنتم قاعدين هنا تعيطوا زى .. روحوا وحداتكم » .

ولكن الصارخين الباكين المحتجين مازالوا ممسكين بخناقى ، وهنا تدخل عبد الحكيم عامر وحمانى خلف ظهره قائلا : « **اللى حا يقرب من خالد حا أضربه بالرصاص** » ، **فازداد صراخ المحتجين منددين بخالد محيى الدين وبالفرسان وبموقفهم ، فصرخ عبد الحكيم عامر : إذا لم تستمعوا لأوامرى سأضرب نفسى بالرصاص .**

وبينما الهرج يسود المكان .. إذا بصوت طائرات سلاح الطيران يصم آذان الجميع .

كانت الساعة حوالى السادسة والنصف صباحا ، لمحت على صبرى يطل من النافذة ويجفف دموعه ، وسمعت جمال سالم يقول : « أيوه كده » .. بل ويصرخ : « قولوا لسلاح الطيران يجهز الصواريخ ويضرب سلاح الفرسان » .. أما عامر فقد أبدى أنه لم يكن يعرف بخروج الطائرات ، لكنه صرخ فى الجميع مطالبا بالهدوء ومعلنا : **أنا أعلن أمامكم إلغاء القرارات ، وأعلن أننى المسئول عن القوات المسلحة ، وطالب الجميع بالهدوء .**

طوال هذه الفترة كان جمال عبد الناصر جالسا صامتا دون حراك ، وذهبت إليه قائلا : **ايه يا جمال حتسيب البلد يحصل فيها مذبحة ، فرد بهدوء : والله أنا مش فاهم حاجة ، وإلى جواره كان حسين الشافعى يبكى فى صمت ، فقلت : أنا أفضّل أن أذهب إلى سلاح الفرسان لأهدىء الجو ، حتى لا ينفجر الغضب هناك أيضا وتحدث مذبحة .. وكنت قد سمعت أن بعض قوات المدفعية أخذت فى محاصرة قشلاق سلاح الفرسان ، وأنهم طلبوا عددا من ضباط الفرسان للتفاهم معهم ، فلما أتى وفد الفرسان اعتقلوه ، فوجه سلاح الفرسان إنذارا بأنه إذا لم يُفرج عن زملائهم فإن على من قبضوا عليهم أن يتحملوا مسئولية ما سيحدث . كما أعتقل أيضا عبد الفتاح على أحمد سكرتيرى فى سلاح الفرسان ، وربما تصوروا أنه كان مسئولا عن بعض ما حدث ، لكنه ما لبث أن أطلق سراحه ، ويبدو أن البعض قد اكتشف ان له علاقة ما بعبد الناصر .**

.. إزاء هذا كله قلت لجمال : أنا أفضّل أن أذهب للفرسان لتهدئة الجو . وصاح

جمال : خالد عايز يروح الفرسان علشان يهدئهم ، ووافق عامر ، ونزلت من الدور العلوى محاولا الخروج ، وعلى طول الممر والسلم كانت شتائم الضباط المحتشدين تنهال ضدى ، وضد سلاح الفرسان ، وعلى الباب كان هناك الضابط أحمد أنور يقف ليمنعنى من الخروج ، ولم أشأ الاحتكاك به ، لكن عامر أطل من البلكونة صائحا : « **يا أحمد سيب خالد يروح الفرسان** » ، **فرد أحمد : « لأ ، مش حا أسيبه » . وصاح عامر مرة أخرى : نفذ الأمر يا أحمد ، أنا أعطيك أمر عسكرى ، فرد أحمد باستهتار : « لأ ، مش حا أنفذ ، أنتم قلتم إنكم استقلتم ، وأنا لا أنفذ أوامر مستقيلين »** . ومرة أخرى ارتسمت فى خيالى صورة صدام مروع بين رفاقى فى الفرسان وبين الأسلحة الأخرى ، لو أن احتكاكا بسيطا وقع بينى وبين أحمد أنور ، وكظمت كل ما بداخلى من غيظ وعدت من حيث أتيت .

وأثناء عودتى إلى غرفة عامر وجدت فى مواجهتى الضابط وحيد جوده رمضان ، وحييته لكنه لم يرد التحية .

وعدت إلى غرفة القائد العام .. وأُخليت الغرفة من الضباط ، وعقدنا اجتماعا لمجلس قيادة الثورة ..

كانت الساعة حوالى السابعة صباحا من يوم السبت ٢٧ فبراير ، ولم تكن القرارات قد أعلنت فى الصحف ، وكل ما كان لدى الناس هو خبر قبول استقالة محمد نجيب الذى نشر فى صحف الجمعة .

بدأنا الاجتماع .. وقال جمال عبد الناصر : واضح الآن أن القرارات صعب تنفيذها لأن هناك انقساماً حولها فى الجيش ، ومن الصعب الآن تنفيذ أى قرارات قد تؤدى إلى تصادم بين قوات الجيش . وهنا **أقحم صلاح سالم نفسه على النقاش وقال : المهم الآن أن نناقش موضوع خالد ، فخالد هو المشكلة الحقيقية ، فإحنا جميعا نرى أن تستمر فترة الانتقال لثلاث سنوات وربما أكثر ، بينما هو يصمم على عودة الحياة النيابية فورا ، ولأن هذا رأيه فقد أخذ سلاح المدرعات نفس الموقف ، وهكذا وجدنا أنفسنا فى حالة انقسام ، ووجدنا الجيش فى حالة انقسام ، وكل هذا بسبب خالد ، ولهذا أنا أطالب بأن يُبعد عن مجلس قيادة الثورة ، وأن يعتقل .. وعلى الفور أيده أنور السادات محبذا فكرة طردى من المجلس واعتقالى .**

لم أتمالك نفسى وضحكت ، فمنذ ساعات فقط كان صلاح سالم نفسه يناشدنى بالأخوة والصداقة أن أقبل القرارات ، وأن أصبح رئيسا للوزراء إنقاذا للموقف ، والآن - وبعد ساعات فقط - يريد اعتقالى .

وقال عامر : الحقيقة يا جماعة خالد من زمان كان يريد الاستقالة من المجلس ، فلنقبل استقالته ونعطيه أى منصب فى الخارج .

ورد أحدهم : يعنى عايز تكافئه ؟ فتراجع عامر على الفور قائلا : بلاش يسافر للخارج ، يقيم فى مرسى مطروح بعيدا عن أى تأثير فى الجيش ، لكن حكاية الاعتقال دى بلاش .

وتدخل بغدادى قائلا : يا جماعة أنا عايز أقول إن خالد كان صريحا معنا منذ البداية ، ولم يخف عنا لا قبل الثورة ولا بعدها مواقفه واتجاهاته ، وكثيرا ما أبدى رغبته فى أن يستقيل من المجلس عندما وجد نفسه فى اتجاه ووجدنا جميعا فى اتجاه آخر ، ولكننا نحن الذين رفضنا استقالته ، وأصررنا على أن يبقى معنا رغم اختلافه معنا ، ولم يكن من الطبيعى أن يقول للناس كلاما هو غير مقتنع به ، ولهذا فأنا أرى ألا وجه لمحاسبته أو اعتقاله ، وإنما إذا أراد تقبل استقالته بهدوء دون أية إجراءات ضده .

.. وكان حسن ابراهيم قد حضر وشارك فى الاجتماع ، وقال : أنا ضد أى اجراء يتخذ ضد خالد ، لكن مع ذلك أنا احمّله مسئولية ما حدث ، وإلا فلماذا لم ينقسم عنا سوى سلاح الفرسان ، وإحنا جميعا كنا نقول فى الاجتماعات كلام ، ونخرج لنقول للناس كلام آخر ، وكنا نبذل جهدنا فى إقناع ضباط أسلحتنا برأى المجلس .

كان عبد الناصر صامتا طوال هذا النقاش ، وفجأة قال : **ياجماعة ، لازم نفكر بطريقة أخرى ، المشكلة الآن ليست مشكلة خالد ، لكن المشكلة هى ماذا سنفعل فى محمد نجيب ؟ هل سيعود أم لا ؟ هل سنستمر فى حصار سلاح المدرعات أم لا ؟ والسؤال الآن هو : هل ستسمحون بإعادة نجيب ؟ فإن عاد نجيب يعود خالد ، فليس من المنطقى أن نعيد نجيب ونطرد خالد ، فهذا غير منطقى ، فخالد كان صريحا معنا ولم يناور علينا .**

وقال زكريا محيى الدين : ليس لأن خالد ابن عمى ، وإنما للحقيقة خالد راجل متمسك بالحياة النيابية وبالديمقراطية ، والديمقراطية تجرى فى دمه ولا يمكنه التخلى عنها ، لكنه ليس ضد الثورة ، هو يريد للثورة أن تستمر لكنه يريدها أن تستمر وفق رؤيته هو ، واتخاذ إجراء عنيف ضد خالد مسألة غير مفيدة ، وإبعاد خالد ونجيب معا سوف يسبب مشكلة ، أما إعادة نجيب وإبعاد خالد فإنها مسألة غير مقبولة وسوف تضعنا فى وضع حرج .

وهكذا توقف النقاش حول مصير خالد محيى الدين ، ليبدأ فى البحث فى مصير محمد نجيب ..

وهنا تكلم حسن ابراهيم ، وقال إنه كان فى الاسكندرية وأن حاميتها ضد إبعاد نجيب ، وقال : إذا كانت هناك رغبة جامحة فى البلد بضرورة إعادة الديمقراطية فلا يجوز أن نتصدى نحن لهذه الرغبة .

.. وبينما نحن مجتمعون دخل أحدهم ليبلغ عامر أن كمال رفعت وحسن التهامى توجها إلى منزل محمد نجيب ، واختطفاه وتحفظا عليه فى قشلاق المدفعية ، وثار عامر لدى سماعه هذا الخبر .

واستمر النقاش .. واتضحت أمام الجميع الحقيقة : الشعب مع نجيب ومع عودة الحياة النيابية ، والجيش منقسم ، وكان لابد لمجلس الثورة أن يتراجع عن قرار قبول استقالة نجيب . لكن البعض قال : إذا عاد فإنه سيعود وهو يتصور أننا قد هزمنا أمامه ، ومن ثم سيفرض شروطه .

جرى النقاش بلا مخرج .. وأنا صامت ، فلقد تعرفت على حقيقة نوايا زملائى إزائى ، وعلمت أن مصيرى معلق بالقرار الذى سيتخذونه إزاء نجيب . **ساعتها أحسست ولأول مرة بغربة شديدة وسطهم ، وقلت : يستحسن أن أقوم حتى تتخذوا قراركم .. فقالوا : اقعد معنا .**

وأخيرا تعب الجميع .. ثلاثة أيام من الاجتماعات المتصلة ليلا ونهارا أرهقت الجميع ، الساعة أوشكت على الثانية بعد الظهر ، وتقرر أن يرفع الاجتماع لعدة ساعات ، ليرتاح الأعضاء ، ثم يعودوا لمواصلة النقاش ، وقال عبد الناصر : أنا سأبقى هنا ، وفوضونى فى التصرف عند الضرورة فى حالة غيابكم .

لعلك عزيزى القارىء ، ترغب فى معرفة مشاعرى **فى هذه الساعات العصيبة ، الحقيقة أننى كنت أشعر براحة بال غريبة ، وإحساس بأننى قد تصرفت بضمير نقى ، وبلا ضغينة ضد أحد ، ولم أشعر بأى حقد على أحد ، بل لم أشعر بأى حزن إزاء احتمالات إبعادى عن مجلس الثورة ، أنا لم أرتكب خطأ أخشى منه ، أو أخشى أن يحسب علىّ ، تصرفت وفق ما اعتقدت أنه فى صالح الوطن وفى صالح الثورة ، وكنت أعتقد أن الديمقراطية مسألة حيوية بالنسبة لمصر ، وأنها تستحق أن يضحى الإنسان من أجلها .. بالمنصب مهما كان رفيعا ، وبالنفوذ مهما كان كبيرا ..**

والحقيقة أنه بعد سنوات قليلة عاد الكثيرون ممن هاجمونى واتهمونى وشتمونى فى هذا اليوم العصيب ، عادوا ليعتذروا لى مؤكدين أننى كنت على صواب فى تمسكى بالديمقراطية ، خاصة وأن الكثيرين منهم ما لبثوا أن أضيروا بسبب حسابات فردية لا يمكنها أن تنمو وأن تزهر إلا فى ظل مناخ يفتقد الديمقراطية .

المهم عدت إلى منزلى هادئا .. ونمت نوما عميقا .

وفى السادسة مساء أيقظتنى زوجتى لتبلغنى أن الراديو يذيع نبأ عودة نجيب ، وقلت : مش معقول ، نحن لم نصل بعد إلى قرار حول هذا الموضوع . لكننى سمعت بأذنى .. ذات النبأ .

□ □ □

ارتديت ملابسى وذهبت إلى مقر قيادة الجيش .

وهناك سمعت القصة من صلاح سالم ..

قال صلاح إنه بعد فض الاجتماع عند الظهر ركب سيارته ، لكنه خشى أن يتوجه إلى بيته فى العباسية ، فالناس هناك وأصحاب المحلات يعرفونه وخشى أن يحتك به أحد أو يهاجمه ، فتوجه إلى بيت جلال فيظى أمام محطة باب اللوق ليرتاح هناك . وفى الطريق وجد الشوارع مملوءة بالمتظاهرين المتجهين إلى ميدان عابدين وهم يهتفون بحياة نجيب وبأنه « لا رئيس إلا نجيب » ، وكانت المظاهرات عارمة ، وتوحى برفض جماهيرى واسع لقرار قبول الاستقالة . اهتز صلاح سالم كعادته ، وكعادته أيضا تغيرت مشاعره وتغير موقفه بسرعة ، فدخل إلى أجزاخانة مظلوم بالقرب من ميدان عابدين وتحدث تليفونيا مع عبد الناصر قائلا : يا جمال لازم تأخذ قرارا بسرعة بعودة نجيب ، فالناس تهتف بحياته ، وقال له جمال : تعال فورا .

وعندما عاد صلاح سالم إلى مكتب عامر فى رئاسة القوات المسلحة بكوبرى القبة ، ألح على عبد الناصر بضرورة أخذ قرار بعودة نجيب .. كان عبد الناصر صامتا . قال صلاح : يا جمال موعد نشرة الأخبار قرب ، ولابد أن أبلغهم فورا بإذاعة خبر عودة نجيب ، وإلا فإن البلد ستثور ضدنا . ولم يرد جمال . عاد صلاح سالم ليلح ، وصمم جمال على الصمت ، أمسك صلاح بالتليفون وطلب الإذاعة وقال : يا جمال أنا سأبلغ الخبر للإذاعة .. ولم يرد جمال ، فكررها عليه أكثر من مرة ، فلما واصل جمال الصمت .. قالها

صلاح سالم بصوت مرتفع ليسمعه كل من فى الغرفة ومنهم عبد الناصر طبعا : « **اعلنوا فى النشرة أن نجيب رُفضت استقالته ، وأنه قد عاد رئيسا للجمهورية** » .

أذيع الخبر .. وأيقظتنى زوجتى لتبلغنى بإذاعته .

□ □ □

كان الصمت يخيم على المكان الذى شهد مناخا صاخبا منذ ساعات قلائل ، دخلت إلى غرفة القائد العام ، كان جمال عبد الناصر لم يزل صامتا ، وصلاح سالم يؤكد أنه سيستقيل ، وبغدادى لا يخفى إحساسه البالغ بالضيق ، وكان الضباط الآخرون فى حالة إحباط شديد ..

وتتالت التداعيات ..

رُفع الحصار عن سلاح الفرسان ، وأُفرج عن ضباطه الذين كان قد تم التحفظ عليهم ، وقد علمت فيما بعد أن النية قد اتجهت لمحاكمتهم عسكريا أمام محكمة عسكرية جرى تشكيلها على وجه السرعة ، وأبدى البعض ارتياحا لانفراج الأزمة ، لكننى لم أشعر بالارتياح . لقد تكشفت النوايا ، وأحسست أن هناك حالة من التربص بى ، وإذا كان البعض يؤيدنى فإن البعض ضدى .. وبشدة ، وبدأت مخاوف عميقة تساورنى ليس على مصيرى الشخصى ، وإنما على مصير زملائى فى الفرسان ، ومصير الثورة ككل .

..ولكى أكون صريحا ، فقد أحسست باحتمالات الغدر بى ، ولهذا بدأت أبيت لعدة ليال خارج منزلى ، وأعود لبيتى ليلة أو ليلتين ، ثم أبيت لعدة ليال خارجه ، وبعدها بفترة صارحنى عبد الناصر بأنه يفعل نفس الشىء .

لكننى وبرغم ذلك لم أفكر فى اتخاذ أى موقف ضد الزملاء فى مجلس الثورة ، لقد كنت أدرك أن التصادم سوف يجر إلى مذبحة ، يضرب فيها الأخوة بعضهم البعض ، بل ويقتلون بعضهم البعض ، وكان مجرد التفكير فى هذا الأمر يثير فزعى ، ولهذا رفضت أى عمل من شأنه أن يثير المزيد من الشقاق بين المدرعات وقطاعات الجيش الأخرى ، ورفضت ـ تحت أى ظرف ـ أن أتسبب فى إرساء تقاليد دامية لثورتنا التى صنعناها معا ، وتعاهدنا على أن نحافظ عليها بلا دماء ولا ضغائن .

وبعد هذه الأحداث بيوم أو يومين جاءنى ضابط الفرسان أحمد حموده وكان من « الضباط الأحرار » ، وقال : أنا أحمل إليك رسالة ، أنا مش مقتنع بها ، لكن أنا مكلف

أن أحملها إليك ، وأرجوك أن تستمع إليها .. **وكانت الرسالة من ضابطين من المدفعية هما مصطفى الخشاب وعبد الحميد لطفى ، يعلنان استعدادهما لتحريك المدفعية .. لعمل حركة .**

وقلت لحموده مستنكرا : يعنى عايزين يعملوا انقلابا ؟

فقال ببساطة : انقلاب مقابل انقلاب .

ورفضت بشدة ، وأرسلت تحذيرا مع أحمد حموده بأننى ضد أى محاولة للانقلاب من جانب المدفعية أو من جانب أية جهة أخرى .

كانت رؤيتى صافية فى هذه الأيام بصورة غريبة ، كنت أعرف أن السبل بينى وبين الزملاء قد تفرقت ، فبعد ما قالوه فى مواجهتى عن ضرورة عزلى واعتقالى ، أدركت أن أيامى معهم معدودة ، لكننى كما قلت كنت مستريح البال ، مرتاح الضمير ، فقد قلت ما يجب أن يقال ، وفعلت ما يجب أن يفعل ، وتصرفت برجولة مع زملاء كنت ولم أزل أعتز بهم برغم كل ما قالوا وكل ما فعلوا .

لقد كنت أدرك أن مسئوليتى جسيمة إزاء ضباط الفرسان الذين دافعوا عنى ، وعن موقفى ، وطالبوا معى بالديمقراطية وبعودة الحياة النيابية ، وأننى مسئول عن منعهم من القيام بأية مغامرة .

وكنت أدرك أكثر مسئوليتى إزاء الثورة التى أفنيت أجمل سنوات العمر إعدادا وتحضيرا لها ، وأنه يجب وبرغم كل شيء الحفاظ على الثورة ، وعلى قوة دفعها ، وحمايتها من شطط أى من الأطراف المختلفة مع بعضها البعض .

وفوق هذا .. وقبل هذا ، كنت أحس بمسئوليتى إزاء الوطن والشعب ، لقد قضيت كل سنواتى السابقة وأنا أحلم له بالحرية والديمقراطية والعدل .. فكيف أتسبب فى فتح باب جهنم بيدى وأبدأ بانقلاب من المدرعات قد يتلوه إن نجح ، انقلاب آخر ولو بعد حين .

وتوالت الأحداث ..

بعدها بيومين أيقظونى من النوم ليبلغونى أن الصاغ محمد ابراهيم كامل غنام من سلاح المدرعات قد حرك عددا من المدرعات ، وأحاط بها بيت محمد نجيب لحمايته من أية محاولة للنيل منه ، وأن قوات من المشاة تحاصر هذه المدرعات .

..لكى نعرف ـ عزيزى القارىء ـ حقيقة الوضع فى هذه الأيام العصيبة عليك أن

تنخيل المنظر التالى : رئيس الجمهورية فى بينه له حراسته الخاصة ، لكن ضابطا من المدرعات يخشى عليه من غدر البعض فيحاصر بيته بمدرعاته ليحميه منهم ، وحول هذا الطوق المدرع ، هناك طوق آخر من المشاة .

وعود ثقاب واحد ، كلمة واحدة ، احتكاك ولو طفيفا يمكنه أن يشعل النار بين الطوقين ، لبشعلها بين أسلحة الحيش كلها .

أسرعت إلى الصاغ محمد ابراهيم كامل وسألته : ليه كده يا محمد ؟ فقال ببساطة : خفت أن يعملوا شيئا ضد محمد نجيب فأتيت لأحميه .

وأقنعته أن يسحب مدرعاته ويعود .

□ □ □

وفى اليوم التالى لعودة نجيب نفجرت مظاهرات بالآلاف ، بل بعشرات الآلاف لتعلن ابتهاجها بعودته ، وبرز الإخوان المسلمون بقوة معلنين مساندنهم له ، وألقى عبد القادر عوده خطابا حماسيا فى المتظاهرين معلنا نأييد الإخوان لنجيب .

وفيم خرج نجيب من شرفة قصر عابدين ليحيى الحشود الهائلة التى ملأت ميدان عابدين والشوارع المحيطة به ، ظهر إلى جواره ضابط أبيض البشرة أصفر الشعر ويرتدى بيريه قوات المدرعات الأخضر ، إنه ضابط من الفرسان ويشبهنى تماما ، وظن الجميع أننى أقف إلى جوار نجيب لأؤيده ضد بقية الزملاء .

واتصل بى أحدهم تليفونيا وأنا فى مكتبى فى مجلس الانتاج - وكان بمقر مجلس النواب - ليبلغنى أن الجميع يظنون أننى هناك مع نجيب ، وأدركت أنه « مشمش » زميلنا فى المدرعات ، واسمه الحقيقى طلعت محمد حسين ، وكان يشبهنى إلى حد ما ، وكنا نداعبه ونسميه « مشمش » . ومن مكتبى اتصلت بعبد الناصر وقلت له : الناس يظنون أننى أقف إلى جوار نجيب فى شرفة قصر عابدين ، فقال : وأنا أيضا سمعت ذلك . قلت : لكننى هنا فى مكتبى فى مجلس الانتاج ، وأعتقد أن الذى يقف إلى جوار نجيب هو « مشمش » . واطمأن جمال ، وقال : أنا قلت ابه اللى يخلى خالد يعمل كده .. وسألت جمال : ماذا ستفعلون ؟ فقال : سنحاول أن نهدىء الوضع .

وبعد فترة ذهب نجيب إلى مجلس الوزراء ليصدر بيانا يؤكد فيه أنه تناسى الخلافات من أجل مصر ، وقال : إن أعضاء مجلس الثورة زملائى وإخوانى برغم أى خلاف .

وكان ذلك بناء على ضغط من عبد الناصر الذى أبلغه بضرورة إيقاف هذه المظاهرات ، حتى يمكن استمرار التعاون .

.. وبرغم كل ما حاولت من تهدئة للأوضاع ومحاولة إقناع ضباط المدرعات بالهدوء ، فإن عبد الناصر قد فاجأنى بنصيحة غريبة : « **انصحك بأن تأخذ أجازة ثلاثة أو أربعة أيام** » ، **وفهمت أن الزملاء من أعضاء مجلس قيادة الثورة يرغبون فى أن ينفردوا بالتصرف وألا يشركونى فيما ينتوون اتخاذه من قرارات .**

وأخذت أجازة .. وفوجئت بإعلان قرارات ٥ مارس الشهيرة .

لكننى ومادمت أرصد كل ما حدث من وقائع هامة ، أود أن أشير إلى واقعة محيرة ، بل لعلها ظلت تحيرنى لأمد طويل .. ففى هذه الأيام المليئة بأحداث مضطربة وغامضة قابلنى صحفى فرنسى مرموق ينتمى إلى الحزب الاشتراكى الفرنسى هو « روجيه استفان » ، وكان بالقاهرة ممثلا لجريدة « فرانس أوبزرفاتور » قابلنى ليجرى حديثا معى ، وأثناء الحديث همس فى أذنى قائلا : **سأبلغك بنبأ هام ، الدوائر الحاكمة فى الغرب قررت مساندة جمال ضد نجيب ، إنهم الآن يفضلون جمال لأنه سيكون حاكما قويا ومتفهما للأوضاع فى آن واحد ، أما نجيب فهو حاكم ضعيف وأمثاله سرعان ما يخضعون لضغط الجماهير .**

ومكنتنى هذه الهمسات من أن أعرف الاتجاه الحقيقى للريح .

٢١ مارس المتأرجح

* وأخيرا اتفق الجميع .. الديمقراطية هى المخرج .
* نجيب يتقدم بمطالب جديدة كل يوم .
* الوفديون والشيوعيون أساءوا التعامل مع قرارات ٥ مارس .
* بأربعة آلاف جنيه كسب عبد الناصر السلطة .

لعل شهراً ما لم يشهد أحداثا متقلبة ومأرجحة مثل مارس ١٩٥٤ .

فى أيامه الأولى كنت فى أجازتى الإجبارية حيث نُصحت بالابتعاد عن القاهرة ـ خوفا من أية أعمال قد يقوم بها بعض الضباط المعارضين لموقفى ، والحقيقة أن بعض الضباط من المعادين لفكرة الديمقراطية ، كانوا يرون ضرورة التخلص منى ، وسافرت إلى وادى النطرون ، حيث كانت دراسات مشروع وادى النطرون داخلة فى احتصاصى كمشرف على المجلس القومى للإنتاج .

وفى ٥ مارس أعلنت قرارات مارس الشهيرة :

- ☐ اتخاذ الاجراءات فورا لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر ، على أن تجتمع خلال شهر يوليو ١٩٥٤ . (أى بعد أربعة أشهر ، رغم أنهم منذ أيام فقط رفضوا اقتراحى بإجراء انتخابات بعد ثمانية أشهر) .
- ☐ تقوم الجمعية التأسيسية بمناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره ، والقيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقا لأحكام الدستور الذى ستقره الجمعية ، فيما عدا سلطة إسقاط الوزارة .
- ☐ إلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء انتخابات الجمعيه التأسيسية .
- ☐ يكون لمجلس قيادة الثورة سلطة السيادة لحين انعقاد الجمعية التأسيسية .
- ☐ ينظم الدستور الجديد كيفية تنظيم الأحزاب .

.. عدت إلى القاهرة لأتصل على الفور بجمال عبد الناصر ، كنت متلهفا لأعرف ماذا حدث ؟ وما الذى دفع الزملاء إلى تقبل هذه المطالب بالديمقراطية ؟ وكان عبد الناصر متعجلا ليعرف موقفى ، **وسألنى بشكل مباشر كعادته : هيه يا خالد .. هل ستكون معنا ؟ فقلت : طبعا ، وقال : يعنى عندما نشكل حزب الثورة هل ستنضم إلينا ؟ فقلت : طبعا .. وشرحت وجهة نظرى التى سبق أن شرحتها عشرات المرات وربما أكثر .. وقلت :**

يا جمال .. أنا مع الثورة الديمقراطية ، وكل أمنيتى هى أن تستمر الثورة ولكن فى إطار ديمقراطى ، وقال جمال : لكن الحزب ستكون له قواعد صارمة ولابد من الالتزام بقراراته ، فقلت : طبعا ، وكنت أدرك أن حزبا ينوى الدخول فى انتخابات سيضطر إلى ممارسة الديمقراطية فى قراراته .

وتأكيدا لهذا كتبت عددا من المقالات ، منها مقال فى روز اليوسف أكدت فيه أننى مع الثورة .. ومع الديمقراطية فى آن واحد ، وأن كلا الموقفين يؤكد الآخر ويكمله .

لكن أين الإجابة على سؤالى : كيف حدث ذلك ؟ وما الذى دفع الزملاء إلى اتخاذ قرارات ٥ مارس ؟

سألت بغدادى وحكى لى تفاصيل ما حدث .

□ □ □

كانت أحداث الأيام الأخيرة قد أصابت الزملاء فى مجلس الثورة بالفزع ، فنجيب عاد منتصرا ، ومظاهرات الجماهير الصاخبة المؤيدة له زادته تشبثا بالسلطة والرغبة فى الاستحواذ على كل السلطات ، وجزء هام من الجيش ضدهم ، وشعر الزملاء أن الأمور بحاجة إلى نظرة متأنية ، وعقدت سلسلة من الاجتماعات .

وفى يوم الخميس ٤ مارس انتحى بغدادى بجمال سالم وحسن ابراهيم قبل ذهابهم إلى اجتماع مجلس الثورة ، وتحدث بغدادى معهما محاذرا خوفا من أن تفلت منه كلمات تنقل سريعا إلى عبد الناصر فتثير مشاكل ضده . قال بغدادى : إن اجتماعات مجلس الثورة بدأت تفتقد التوازن الذى كان يسودها قبل الثورة وفى أيام الثورة الأولى ، حيث كان يجرى نقاش صريح يحدد فيه كل شخص رأيه ، ملمحا بذلك إلى أن جمال سالم كان فى الأيام الأخيرة يصوت دوما إلى جانب أى اقتراح يقدمه عبد الناصر ، الأمر الذى أدى إلى اختلال التوازن فى المجلس حيث بدأ بعض الزملاء يفعلون مثلما يفعل جمال سالم .

وذهب الثلاثة إلى مجلس الثورة ، وربما ترك هذا النقاش أثره على جمال سالم الذى أسرع بتقديم اقتراح من عنده ، وهو : انسحاب مجلس الثورة ، على أن يقوم بقيادة مجموعة من الفدائيين قدّرها بحوالى ٥٠٠ فدائى للبدء فى كفاح مسلح واسع ضد قوات الاحتلال فى القناة ، وقال إن كفاحا مسلحا ضد الانجليز كفيل بعودة الوحدة إلى الصفوف ، وبإدانة كل من يخرج على هذه الوحدة .

.. إنه يريد أن يكسب الجماهير عبر نضال مسلح ضد الانجليز ، وأن يترك السلطة لنجيب على أن تساعده وزارة مدنية ، وأن يستمر عبد الحكيم عامر قائدا عاما للجيش .

.. ووافق صلاح سالم وزكريا محيى الدين على الاقتراح .

ثم تقدم بغدادى باقتراح آخر : يبقى نجيب رئيسا للجمهورية ، وينسحب أعضاء مجلس الثورة من الوزارات أى من السلطة التنفيذية ، ويبقى للمجلس سلطة السيادة وحق المراقبة لضمان تحقيق أهداف الثورة دون أن يتدخل فى أعمال السلطة التنفيذية إلا إذا وجد انحرافا عن هذه الأهداف ، وتُشكل وزارة مدنية يترك لنجيب حرية اختيار أعضائها ، مع العمل على ضمان كسب تأييد واسع فى صفوف الجيش من خلال القيام ببعض العمليات العسكرية ضد القوات البريطانية فى القناة دون الدخول معها فى تصادمات واسعة ومكشوفة قبل الاستعداد الكافى ، واقترح بغدادى أيضا : تطهير الجيش ، ومنع الضباط من الخوض فى المسائل السياسية .

وتكلم عبد الناصر وطالب بانسحاب مجلس الثورة ، وأن يعمل كل عضو من أعضائه على تكوين فريق من عشرة أشخاص تكون مهمته التخلص من العناصر الرجعية ، والإخوان والشيوعيين ، وأن يعلن عن قيام الهيئة الاستشارية ، وأن يستمر عامر قائدا للجيش .

..ولم يتجاوب أحد من أعضاء المجلس مع هذا الاقتراح الغريب .

واستطالت المناقشة ، صحيح أن هناك اتفاقاً شاملا على ضرورة انسحاب مجلس قيادة الثورة ، وترك السلطة التنفيذية لنجيب .. ولكن الأمور لم تكن واضحة حول الخطوة التالية : ماذا بعد الانسحاب ؟

وأرهق الزملاء بعد اجتماع طويل واتفقوا على رفع الاجتماع للراحة ، وفى أثناء فترة الراحة توجه عامر إلى منزل محمد نجيب ليعرض عليه اقتراح توليه الوزارة إلى جانب رئاسته للجمهورية ، وعاد عامر ليبلغ الزملاء بموافقة نجيب .. بعد تردد وشكوك .

..وهنا بدأ عبد الناصر فى إعلان تشككه بدوره فيما اتفق عليه منذ ساعة ، وقال إن هذا معناه أننا نسلم الثورة إلى نجيب ليفعل فيها وبها ما يشاء ، لكنه رغم شكوكه لم يجد حلا بديلا .

..وفى هذه الأثناء هبطت الفكرة على صلاح سالم ، فسأل بطريقته المباغتة :

لم لا نعلن عودة الحياة النيابية فى أسرع وقت ؟ ووجد الجميع فى هذا الاقتراح مخرجا ، والغريب أنهم أنفسهم رفضوا ذات الاقتراح عشرات المرات عندما كنت ألح عليه فى كل مرة .. وعندما كنت أؤكد أنه المخرج من هذه الصراعات ، وأنه الضمان لاستمرار الثورة وارتباطها بحركة الجماهير .

وأخيرا توصل المجلس إلى قرار بعودة الحياة النيابية ، ومن ثم بضرورة إنجاز الدستور سريعا ، وأيضا بأن يكوّن أعضاء مجلس الثورة حزبا لهم يخوضون به الانتخابات المقبلة .

واتفقوا على أن يقوم عبد الناصر بزيارة السنهورى وعلى ماهر لبحث النواحى الدستورية فى الأمر ، وموعد الانتهاء من مشروع الدستور ، ومن ثم يمكن إعلان القرار متضمنا مواعيد محددة .

وتقرر تأجيل الاجتماع إلى مساء اليوم التالى .. الجمعة ٥ مارس حيث عقد الاجتماع بمنزل جمال عبد الناصر .

وكان جمال عبد الناصر وصلاح سالم والسنهورى قد زاروا نجيب قبل بدء هذا الاجتماع وعرضوا عليه الموضوع ، وتحدث جمال قائلا : إن بعض العناصر قد حاولت الاستفادة من الخلافات بيننا ، وإثارة الفتنة فى البلاد ، وأن الحل الأسلم هو عودة الحياة النيابية ، لكن ذلك يتطلب أن نوحد صفوفنا فعلا ، وقال إن الثورة يجب أن يكون لها حزبها وأن يرأسه محمد نجيب ، وهنا أبدى نجيب مخاوفه من أن هذا الحزب قد لا يحصل على أغلبية برلمانية فى الانتخابات المقبلة ، وقد تضيع عليه فرصة أن يستمر رئيسا للجمهورية ، وهكذا أثبت نجيب فى كل مرة حرصه الشديد على منصبه ، لكن السنهورى طمأنه بأنه من الممكن أن يستقيل من رئاسة الحزب قبل أن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية .

عاد صلاح سالم إلى الاجتماع الذى بدأ يتكامل أعضاؤه فى بيت عبد الناصر ، بينما توجه جمال مع نجيب والسنهورى للاجتماع مع على ماهر رئيس لجنة الدستور للتوصل معه إلى موعد محدد لانتهاء اللجنة من عملها .

وعاد جمال إلى المجتمعين فى بيته مصطحبا معه نجيب والسنهورى ، وتحدث نجيب مؤكدا أنه نسى الإساءة إليه ، وأنه على استعداد للتضحية بأى شىء فى سبيل مصلحة الوطن .

ووفقا للموعد الذى حدده على ماهر لإنهاء عمل لجنة الدستور اتفق المجتمعون على

إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية فى يونيو ١٩٥٤ ، وعقد اجتماعها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٤ .

□ □ □

وأعلنت القرارات ..

وبدأت الاتصالات ببعض العناصر المدنية للانضمام إلى حزب الثورة مثل د .محمد صلاح الدين وزير الخارجية الوفدى ، وفكرى أباظة .. وكثيرين آخرين .

لكن الأمور لم نجر وفق ما كان مقدرا لها ..

فنجيب تصور أن بإمكانه استثمار المظاهرات التى خرجت لتأييده إلى مالا نهاية ، وظل يحاول أن ينتزع مكاسب شخصية تضيف إلى سلطاته سلطات جديدة .

وحضرت جلسة مجلس الثورة فى ٨ مارس .. كان الاجتماع مقدرا له أن يعقد فى المساء ، لكنهم استدعونا على وجه السرعة لنجتمع فى الثانية عشرة ظهرا . وفى الاجتماع تحدث جمال سالم ليبلغنا بالحديث الذى جرى خلال المقابلة التى تمت بينه هو وعبد الناصر وبين السنهورى وسليمان حافظ وعبد الجليل العمرى ، وفى هذه المقابلة أبلغهم السنهورى أن نجيب قد طلب منه أن ينقل إلى مجلس الثورة طلبات محددة هى :

□ أن يكون له حق الاعتراض على قرارات مجلس الوزراء .

□ أن يكون له حق تعيين .. أو الاعتراض على تعيين قادة الكتائب والألوية فى الجيش .

وطلب عبد الناصر العودة إلى مجلس الثورة لعرض الأمر عليه ..

وبينما كان جمال سالم يعرض طلبات نجيب ، دق جرس التليفون وكان المتحدث سليمان حافظ الذى أبلغ عبد الناصر طلبات جديدة لنجيب ..وهى :

□ أن يكون لرئيس الجمهورية بالإضافة إلى ما طالب به من سلطات ، كل سلطات رئيس الجمهورية البرلمانية طوال فترة غياب البرلمان .

□ وأن يجرى استفتاء شعبى على النظام الجمهورى ، وعلى شخص رئيس الجمهورية ، وأن يكون مرشحا وحيدا لرئاسة الجمهورية .. بمعنى أن تكون صيغة الاستفتاء كما يلى :

- هل تقبل النظام الجمهورى : نعم أم لا ؟

- هل تقبل محمد نجيب رئيسا للجمهورية : نعم أم لا ؟

□ وأن يتم الاستفتاء قبل إقرار الدستور .

□ وأن يسحب الضباط من الوزارات التى يشغلونها .

وإذ تلقى جمال عبد الناصر هذه المطالب الجديدة بدأ يشعر بأن نجيب يحاول أن يزيد فى كل لحظة من سلطاته ، وأنه يريد أن يستثمر المظاهرات التى خرجت مؤيدة له إلى أقصى مدى ، بل وإلى المدى الذى يدمر كل شىء ، وتحدث جمال قائلا : فى هذه الحالة يكون من الصعب علينا تنفيذ قرارات ٥ مارس ، ذلك أنه فى حالة موافقتنا على هذه المطالب فإن نجيب سوف يتقدم بمطالب جديدة .

وهنا اقترح السنهورى عودة دستور ٢٣ ، وأن يحل مجلس الثورة حتى يأمن نجيب على نفسه ، ولا يطالب بسلطات جديدة .

ورفضنا هذا الاقتراح .

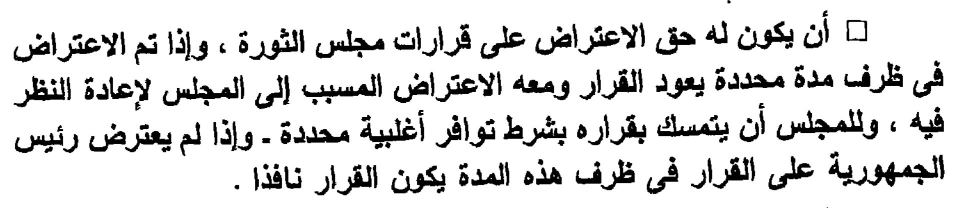
ومرة ثانية يدق جرس التليفون .. ويكون سليمان حافظ أيضا هو المتحدث ، ليبلغ عبد الناصر **أن الوزراء المدنيين اجتمعوا فى منزل د . وليم سليم حنا وزير الشئون البلدية ، وتباحثوا فى الموقف واستقر رأيهم على ضرورة تأليف وزارة مدنية يُبعد عنها العسكريون ، وبرروا ذلك بأن الخلافات والتنافس والحقد بين العسكريين وراء كل ما حدث .**

.. وبدأت أنا فى الحديث طويلا مندداً بموقف نجيب ، مؤكدا أننى ضد أن يستحوذ على كل هذه السلطات .

وعندما رفعت الجلسة للاستراحة ، ولكى يتمكن عبد الناصر وجمال سالم والسنهورى من عقد اجتماع سبق تحديد موعده مع سليمان حافظ والعمرى .. صاح صلاح سالم موجها حديثه لى : **يا أبو الخلد أنت كنت « ملك » هذه الجلسة ، وكان موقفك رائعا .**

ومرة أخرى اضطر لأحدد موقفى .. أنا مع الثورة ، ولكن أريدها فى مسار ديمقراطى .

وعاد جمال عبد الناصر وجمال سالم ليبلغانا بمطالب جديدة لنجيب :



□ **أن يكون له حق الاعتراض على قرارات مجلس الثورة ، وإذا تم الاعتراض فى ظرف مدة محددة يعود القرار ومعه الاعتراض المسبب إلى المجلس لإعادة النظر فيه ، وللمجلس أن يتمسك بقراره بشرط توافر أغلبية محددة ـ وإذا لم يعترض رئيس الجمهورية على القرار فى ظرف هذه المدة يكون القرار نافذا .**

□ **أن يكون من حق رئيس الجمهورية أن يحضر جلسات مجلس الثورة ، وعند حضوره يرأس جلساته .**

□ **أن يكون له حق تعيين قادة الوحدات فى الجيش بالاتفاق مع القائد العام ، وأن يكون له الحق فى زيارة الوحدات المختلفة بحضور القائد العام أو وزير الحربية ومن يقوم مقامه .**

□ **عودة الضباط إلى صفوف الجيش ، وخاصة هؤلاء الذين يعملون فى « هيئة التحرير » ، وتشدد نجيب بوجه خاص ضد وجيه أباظه .**

..وبطبيعة الحال زادت هذه المطالب المتلاحقة من توتر الوضع فى مجلس الثورة ، وبدأت تنمو بذرة التراجع عن قرارات ٥ مارس .

وبعدها انتقلنا إلى اجتماع « المؤتمر المشترك » بين مجلس الثورة ومجلس الوزراء ، وحضر نجيب ، وتحدثت أنا بحدة قائلا : **يا سيادة الرئيس أنا وقفت معك فى الماضى ، أما اليوم فأنا أقف ضدك فطلباتك كلها تحاول أن تحشد المزيد من السلطات لشخصك ، وقد يؤدى ذلك إلى إفساد كل شىء .**

وغضب نجيب وقال : **أنا فقط عايز أعرف رأسى من رجلى ، وإذا كنتم عايزين اننا نتوحد فلترجع الأمور إلى ما كانت عليه قبل الخلاف ، فأرجع رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء** . وقال جمال عبد الناصر : **أنا الآن أحس أن نجيب يحاول أن يتميز علينا ، وأنه لا يهمه إلا أن يضمن بقاءه رئيسا وأن يستحوذ على أكبر قدر من السلطة .**

وبعد مداولات مرهقة وشاقة وافق « المؤتمر المشترك » على عودة نجيب رئيسا لمجلس الثورة ، ورئيسا للوزراء ، كما كان الوضع قبل أزمة مارس ، وهدأت الأوضاع ، ولكن إلى حين .

وبدأت أشعر بقلق بالغ .. فقرارات ٥ مارس الرائعة مهددة ، ومطالب نجيب المتلاحقة تحرجنا ، بل وتجرحنا وتظهره بمظهر الذى يحاول التسيد علينا ، وثمة شىء آخر

هو أن إلغاء الرقابة على الصحف قد ترتبت عليه آثار لم يكن يتوقعها أحد ، **فأحمد أبو الفتح شن فى جريدة « المصرى » حملة ضارية على ضباط الثورة ، وضباط الجيش عموما ؛ ووجه لهم اتهامات قاسية تتعلق بالتصرفات الشخصية والذمة المالية ، وانهالت قرارات من نقابة المحامين ومؤتمرات الطلبة تدين تصرفات ضباط الجيش وتندد بها ، بما أثار مخاوف أعضاء مجلس الثورة من المستقبل ، وربما أثار حفيظة ضباط الجيش ضد قرارات ٥ مارس ، وضد انديمقراطية أصلا التى جلبت لهم أولى بداياتها شتائم وإهانات لم يكونوا يتوقعونها .**

.. وبصراحة شديدة أقرر الآن وبضمير مستريح أن قرارات ٥ مارس وهى قرارات جيدة بكل المعايير ، لم تجد من القوى المدنية سواء القوى الليبرالية أو القوى اليسارية أى تفهم منطقى ، أو تعامل إيجابى ، بل على العكس استخدم الجميع فرصة مساحة الحريات التى أتيحت **فى الفترة من ٥ مارس إلى ٢٥ مارس** لشن هجوم ضار على مجلس الثورة ، وعلى حركة الجبش وضباطه ، بما أثار مخاوف المجلس والضباط معا ، وبما حفز الجميع وفى مقدمتهم عبد الناصر إلى التفكير فى خطة للتراجع عن قرارات ٥ مارس . وابتداء من ٢٠ مارس حيث عقد مجلس الثورة اجتماعا غلفته الحيرة للبحث عن مخرج من هذا الطوفان من الهجوم على الثورة الذى تولد من قرارات ٥ مارس .. بدأت أشعر أن عبد الناصر يرتب أمرا ما .

□ □ □

ولابد لى أن أضع أمامك - عزيزى القارىء - بعض ما أثار حيرتى فى هذه الأيام العصيبة .

توفى أحد أعمامى ، وتوجهت إلى كفر شكر لحضور الجنازة ، وهناك التف حولى الكثير من أقاربى ليندوا بموقفى من المطالبة بالديمقراطية والانتخابات ، وكانوا يرددون مخاوف عميقة من أن الانتخابات لن تأتى إلا بعناصر مثل تلك التى كانت تأتى فى البرلمان قبل الثورة ، وأن هذا سيهدد ما قامت به الثورة من إصلاحات .

وكان أقارب زوجتى ، وهم أيضا مثل أقاربى من الطبقة الوسطى ، يرددون نفس الانتقادات العنيفة إلى الدرجة التى دفعت زوجتى للتساؤل : **ماهى مصلحتك فى أن تقف ضد كل هؤلاء الناس ؟**

كذلك لابد لى أن أشير إلى أن مخاوف كثيرة كانت تنتابنى ، وربما تنتاب عبد الناصر

بشكل أكبر ، من احتمالات أن تؤدى هذه الحملة الشرسة وغير المتأنية ضد الضباط ، إلى حركة فى الجيش ضد قرارات ٥ مارس .

وباختصار ، أعتقد أن قرارات ٥ مارس قد تعرضت للعصف بها من جانب نجيب الذى حاول استثمارها لتعزيز سلطاته ، ومن جانب القوى المدنية (الوفد والشيوعيين) الذين لم يدركوا واجبهم فى التمسك بالقرارات والوصول بها إلى مرحلة التنفيذ ، وبدأوا على الفور فى شن حملات شديدة على أصحاب القرارات وعلى ضباط الجيش عموما ، بما دفع الكثيرين من الضباط وعلى رأسهم عبد الناصر إلى البحث عن سبيل للتراجع عن هذه القرارات .

أما الإخوان المسلمون فقد انحاز القسم الأكبر منهم إلى جانب نجيب ، صحيح أن قرارا بالإفراج عن المرشد العام الأستاذ الهضيبى قد صدر فى ٢٦ مارس ، وأن عبد الناصر زاره فى منزله ، وصحيح أيضا أن عبد الناصر كان قد نجح فى شق صفوفهم واستقطاب البعض منهم ، لكن الأغلبية كانت مع نجيب . ولعله من المهم أن أقرر أن الإخوان المسلمين لم يؤيدوا عودة الحياة النيابية . بل تحفظوا على عودتها بعد الإفراج عنهم فى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٣ . كذلك قام عبد الناصر بالإفراج عن ضباط المدفعية الذين اتهموا فى انقلاب يناير سنة ١٩٥٣ : محسن عبدالخالق وفتح الله رفعت وآخرين ، بهدف كسب تأييد المدفعية وتأييد هؤلاء الضباط .

وقد دفعت هذه التصرفات عبد الناصر وكثيرين من أعضاء مجلس الثورة إلى الاعتقاد بأنه إما الثورة أو الديمقراطية ، وأنه لا سبيل للالتقاء بينهما .

ولكن لابد لى أن أقرر أن عبد الناصر والزملاء فى مجلس الثورة كانت لهم هم أيضا حساباتهم التى تنطلق أولا وأساسا من ضرورة احتفاظهم بالسلطة بشكل أو بآخر ، ولم تكن قرارات ٥ مارس نابعة إلا من إحساسهم بالمأزق ، ومحاولة وجود مخرج يكفل لهم الاستمرار ، فلما تراكمت المشاكل وتبينت لهم احتمالات نهوض قوى سياسية أخرى لمعارضتهم خشوا من إفلات الزمام من أيديهم ، وتراجعوا عن القرارات وانقلبوا إلى النقيض .

إذن ..أدرك عبد الناصر أن خطة ٥ مارس لا يمكن تنفيذها مع استمرار احتفاظه بالسلطة ، وبدأ فى الالتفاف على هذه الخطة ، وترتيب الأمر للاتجاه فى مسار مضاد تماما .



إبراهيم الطحاوى ودوره فى اضرابات النقل .

وطوال هذه الأيام انهمك عبد الناصر فى تنفيذ خطته ، فحشد أكبر قدر من ضباط الجيش حوله ، وبالتحديد حشدهم حوله على أساس رفض الديمقراطية ، وأنها ستؤدى للقضاء على الثورة ، وبدأ عن طريق طعيمه والطحاوى فى ترتيب اتصالات بقيادات عمال النقل العام لترتيب الإضراب الشهير ..

ولك ـ عزيزى القارىء ـ أن تتصور إضرابا لعمال النقل تسانده الدولة ، وتحرّض عليه ، وتنظمه ، وتموله ..

وأتوقف تحديدا أمام كلمة « تموله » هذه ، فلقد سرت أقاويل كثيرة حول هذا الموضوع ، لكننى سأورد هنا ما سمعته من عبد الناصر بنفسى ، فعند عودتى من المنفى التقيت مع عبد الناصر وبدأ يحكى لى ما خفى عنى من أحداث أيام مارس الأخيرة .. **وقال بصراحة نادرة : لما لقيت المسألة مش نافعة قررت أتحرك ، وقد كلفنى الأمر أربعة آلاف جنيه .**

٢٢ مارس .. الوجه الآخر

* وتمسك عبد الناصر بمقولة : « إما .. وإما » .
* هل دبر عبد الناصر سلسلة الانفجارات ..؟
* سحب عامر موافقته ، فسقط اقتراح عبد الناصر .
* وأحسست أن ثمة تدبيرا يجرى الإعداد له .

ولكن .. لم نسرع هكذا ، فثمة أيام فاصلة مشحونة بالنقاش والجدل ، لعل العودة إليها تفسح المجال أمام فهم واضح لما حدث .

فبرغم قرارات ٥ مارس الباعثة على البهجة ، كان الارتباك يغلف كل المواقف وكل التصرفات ، ومع صدور هذه القرارات اشتعلت حملة فى جريدة « المصرى » وغيرها من الصحف ضد الثورة والضباط ، وارتفعت المطالبة بعودة الجيش لثكناته ، ومحاكمة المسئولين عن كل ما ارتكب من أخطاء ، ولعل هذه المقالات قد أفزعت العديد من الضباط ، ومارست ضغطا نفسيا عليهم ، أخافهم من مواصلة السير على درب الديمقراطية ، ومهد لهم سبيل التراجع عنها ، ولعله مهد السبيل للبعض الذى تقبل قرارات ٥ مارس أو صاغها كمحاولة لكسب الوقت ، أو كخطوة للتمويه ، كى يستجمع نفوذا بين الزملاء فى المجلس وبين ضباط الجيش يمكنه من التراجع عن القرارات .

وفى اجتماع مجلس قيادة الثورة (الأحد ١٤ مارس) كان واضحا أن الكثيرين يستشعرون وطأة هذه القرارات ، كان أكثر الجميع فزعا جمال سالم وصلاح سالم ، قال صلاح بصراحة : أنا لا أستطيع أن أمارس سلطاتى الآن ، الناس لن تستمع إلى كلامى أو قراراتى ، أما جمال سالم فقال : كيف سأواصل اصطدامى مع كبار الملاك خلال عملية تطبيق قانون الإصلاح الزراعى ، الأفضل أن انسحب ، وأكد صلاح سالم أيضا فكرة الانسحاب .

كان كل منهما يشعر أن نفوذه وهيبته مستمدة من هيبة السلطة ، فإذا فقد السلطة فلا هيبة ولا نفوذ .

وبدأ بغدادى هو أيضا يتراجع ، فأخذ يردد أن الديمقراطية سابقة لأوانها ، وكانت الحالة النفسية لكمال الدين حسين سيئة للغاية .

وتقدم عبد الناصر بعدة اقتراحات : طرد أفراد أسرة محمد على وإسقاط الجنسية المصرية عنهم ، إغلاق نادى الجزيرة الذى تحول إلى نقطة ارتكاز وتجمع للعناصر الارستقراطية المعادية للثورة وأصبح مصدرا للعديد من

الشائعات ، محاكمة الطلاب الذين نظموا مظاهرات ضد الثورة وكانوا من الإخوان المسلمين والشيوعيين .

.. وطلب محمد نجيب تأجيل المناقشة فى هذه الاقتراحات .

وهنا بدأ جمال عبد الناصر فى ترديد مقولة ظل متمسكا بها طوال الأيام التالية : إما ديمقراطية مطلقة ، وإما سياسة الحزم واستمرار الثورة ـ إما حريات كاملة وتخلينا عن دورنا ، وإما أن يعود مجلس الثورة ليمارس كل سلطاته بحزم .

وكان واضحا من هذه العبارة أنها تحاول عمل استقطاب داخل المجلس ، وبطبيعة الحال كان الاستقطاب لصالح استمرار سلطة مجلس قيادة الثورة .

وكنت أحاول القول بأنه لا ضرورة لوضع الاختيارين وجها لوجه ، وأنه بالإمكان استمرار الثورة فى ظل الديمقراطية ، لكن عبد الناصر تمسك بمقولة « **إما .. وإما** » .

وبدأ صلاح سالم يقول : إذا كنتم عايزين انتخابات وديمقراطية ، وأن نظل نلعب دورنا ونرشح نفسنا فى الانتخابات ، فلابد أن نقدم تنازلات كى نكسب أصوات الناخبين ، فما هى التنازلات التى يجب أن نقدمها ؟

وتحدث عبد الحكيم عامر فقال : إن الثورة تخوض معركة ضد الإخوان والشيوعيين والأحزاب القديمة ، كل منهم يريد أن يفرض إرادته ورؤيته ، ونحن لنا موقف ورؤية اشتراكية .

(وكانت أول مرة تنطق فيها كلمة « اشتراكية » فى اجتماعاتنا ، والاشتراكية لا تأتى بالديمقراطية ، وإنما تفرض فرضا) .

وهنا عاد عبد الناصر ليقول : لهذا أنا أؤكد إما سياسة الحزم وفرض إرادة الثورة ، أو الديمقراطية الكاملة .

ومرة أخرى تهطل الاقتراحات غير الناضجة ، فقال جمال سالم : أنا الآن موافق على الانتخابات وتشكيل وزارة مدنية للإشراف على الانتخابات ، وعدم تكوين الأحزاب إلا بعد انتخابات الجمعية التأسيسية ، وقال : نحن ثوار ولسنا سياسيين ولهذا لا نشترك فى الانتخابات ، وإنما نعد أنفسنا ، ونبقى على استعداد كى نتدخل لإنقاذ الموقف عند الضرورة .

وتقدم عبد الحكيم عامر باقتراح آخر :

- □ إغلاق نادى الجزيرة .
- □ تطهير الحياة السياسية من السياسيين القدامى .
- □ بقاء مجلس الثورة حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٤ ثم يحل .
- □ تعطى سلطة السيادة للجمعية التأسيسية .
- □ إلغاء الأحكام العرفية .
- □ عدم إعلان هذه القرارات وبقاؤها سرية لحين اتخاذ خطوات جادة لتشكيل حزب للثورة ، تم تعلن القرارات مع إعلان تشكيل الحزب .

وعارض نجيب وصمم على إبقاء الحال على ما هو عليه ، لكنه فى نفس الوقت أثار قضية غريبة ، فقد ركز هجومه ضد على ماهر ، وتحدث طويلا عن أُخطائه ، وعن تصرفات وفساد فى جمعية الهلال الأحمر التى يرأسها ، وطالب بمحاكمته .

وفهمت ـ دونما حاجة إلى إعمال فكر ـ أن نجيب يحاول أن يتخلص من على ماهر خوفا من أن يرشح نفسه ضده لرئاسة الجمهورية . وقد ظل نجيب طوال هذه الفترة يركز هجومه على شخصين يتصور إمكانية منافستهما له : على ماه ورشاد مهنا .

وطُرح اقتراح عامر بالبدء فى تأسيس حزب للثورة فحصل على أغلبية ، وعارضه : زكريا محيى الدين ـ بغدادى ـ حسن ابراهيم ـ جمال سالم .

وانتهى الاجتماع .

والآن لنعد مرة أخرى إلى الالتقاء فى إطار « المؤتمر المشترك » (يوم الثلاثاء ١٦ مارس) ، وقد طرح فى « المؤتمر المشترك » موضوع حرمان عدد من الأشخاص من حقوقهم السياسية ، وإذ وجدت أن الاتجاه العام سيوافق على هذا الاقتراح ، فقد حاولت أن أضع قدر الإمكان ضوابط محكمة لذلك ، فقلت : يمكن تحديد قائمة تضم أفراد أسرة محمد على ، ومن صدر ضدهم أحكام من محكمة الثورة سواء بعقوبة مقيدة للحرية أو بمصادرة أموالهم ، وأفراد محددين أسهموا فى إفساد الحياة السياسية ببراهين واضحة ، مع تحديد أسباب الحرمان فى كل حالة على حدة .

ثم ناقش « المؤتمر المشترك » بعد ذلك فكرة إجراء استفتاء عام بشأن مسائل محددة :

- □ النظام الجمهورى .
- □ انتخاب رئيس الجمهورية .
- □ تحديد الملكية الزراعية .

ونوقشت باستفاضة مسألة هل يجرى استفتاء واحد أم عدة استفتاءات ، كما نوقشت امكانية إجراء الانتخابات بالقائمة .

وتقرر إعداد مشروع قانون للانتخابات ، ومشروع خاص بالجمعية التأسيسية ، ومشروع قانون لتنظيم قيام الأحزاب السياسية ، وشكلت لجان لإعداد هذه المشروعات من أعضاء « المؤتمر المشترك » .

وتقرر دعوة المؤتمر إلى اجتماع نال يوم السبت ٢٠ مارس ، أى بعد انتهاء زيارة الملك سعود .

□ □ □

كان ذلك يوم الثلاثاء ، ولكن فى يوم السبت خرجت « أخبار اليوم » وبها تصريح مثير للاهتمام أدلى به جمال عبد الناصر .. قال جمال : « **نحن ثوار ولسنا سياسيين** » .

وأثار هذا التصريح هواجسى ، وسألت جمال عن مغزاه ، ولماذا أدلى به فى هذا الوقت بالذات وبعد كل ما توصلنا إليه من قرارات فى « المؤتمر المشترك » ، فروى لى واقعتين :

□ **الأولى** : أن عددا كبيرا من ضباط الجيش ، وضباط الصف الثانى من « الأحرار » ، زاروه وأبدوا قلقهم من الاندفاع نحو الديمقراطية ، وإنهاء دور مجلس الثورة أو ما كانوا يسمونه « إنهاء الثورة » ، وقال إنه خلال هذه المناقشات شعر بالورطة ، ولم يجد حججا مقنعة لهؤلاء الضباط الغاضبين ، وأحس أن الثورة سوف تنتهى ، وأن الزمام سوف يفلت .

□ **أما الثانية** : فهى أنه أثناء عودته هو وعامر من مقابلة للملك سعود احتشدت الجماهير حول عربته وهتفت للثورة ، وحيتهما تحية حارة . وأحس جمال أنه يمتلك الآن سندا من الضباط ، وأن الجماهير إذا كانت قد أيدت نجيب منذ أيام فإنها أيضا تؤيد الثورة واستمرارها ، وارتفعت روحه المعنوية وبدأ يعيد حساباته من جديد .

.. وثمة واقعة أخرى لابد من وضعها فى الاعتبار ، فقبل زيارة الملك سعود مباشرة وقعت ستة انفجارات دفعة واحدة فى مدينة القاهرة ، منها انفجاران فى الجامعة ، وانفجار فى جروبى ، وآخر فى مخزن الصحافة بمحطة سكة حديد القاهرة ، صحيح أنها لم تتسبب

فى خسائر مادية لكنها أثارت هواجس شديدة وسط الجميع حول مخاطر انفلات الوضع ، ومخاطر إطلاق العنان دون قبضة حازمة للدولة .

وبدأ البعض يستشعر أن الزمام يفلت ، وأن الأمن غير مستقر ، وأنه من الضرورى إحكام قبضة النظام وإلا سادت الفوضى .

وقد روى لى بغدادى (وعاد فأكد ذلك فى مذكراته) أنه فى أعقاب هذه الانفجارات زار جمال عبد الناصر فى منزله هو وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم ليناقشوا معه تطورات الأوضاع ، **وأبلغهم عبد الناصر أنه هو الذى دبر هذه الانفجارات لإثارة مخاوف الناس من الاندفاع فى طريق الديمقراطية ، والإيحاء بأن الأمن قد يهتز وأن الفوضى ستسود ، وبطبيعة الحال فإن الكثيرين من المصريين لا يقبلون أن تسود الفوضى بصورة تؤدى إلى وقوع مثل هذه الانفجارات .**

□ □ □

وانعقد « المؤتمر المشترك » يوم السبت ٢٠ مارس ليشهد المزيد من الاقتراحات غير الناضجة ..

قدم جمال سالم اقتراحا مناقضا لكل ما نمسك به فى المرات السابقة ، فطالب بانتخابات حرة لجمعية تأسيسية تصدر الدستور وتكون لها اختصاصات البرلمان ، وأن يسمح بقيام الأحزاب السياسية ، وأن تشكل حكومة مدنية للإشراف على تنفيذ هذه الإجراءات ، وأن تحفظ الحكومة النظام باتباع القوانين العادية ، وبأن يعود العسكريون إلى القوات المسلحة .

وقدم عامر اقتراحا آخر يقول : إعداد قائمة بأشخاص يتم حرمانهم من ممارسة الحقوق السياسية - يمنع قيام الأحزاب قبل انتخاب الجمعية التأسيسية - بعد انتخاب الجمعية التأسيسية تستمر فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات - العمل على مقاومة الفوضى بكل السبل .

وحاز اقتراح جمال سالم ١٥ صوتا .. واقتراح عامر ٨ أصوات .

وفى يوم ٢٥ مارس أبلغت أن الرئيس نجيب طلب عقد اجتماع عاجل لمجلس قيادة الثورة ، وتحدث نجيب فى بداية الاجتماع فقال : **إن البلبلة تسود البلاد ، وأنه لا بد من وضع حد لهذه البلبلة ، واقترح تشكيل حكومة مدنية تشرف على الانتخابات برئاسة عبد الرازق السنهورى ، وأن يتحول مجلس قيادة الثورة إلى مجلس استشارى لرئيس الجمهورية .**

ورفضنا هذه الاقتراحات .

وتكلم عبد الناصر بعصبية وأكد مرة أخرى : **إما حزم وإما ديمقراطية ، وعلينا أن نختار أحد طريقين : فإما أن تستمر الثورة وأن تبنى نفسها ، وتبنى البلد وتتحمل المسئولية ، وإما إطلاق الحريات بلا قيود ، وبلا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يفهم ذلك على أنه تأثير فى حرية الانتخابات ، واقترح انتخاب جمعية تأسيسية انتخابا حرا مباشرا ، وأن تُمنح سلطة السيادة وسلطة البرلمان ، وأن يعلن حل مجلس الثورة يوم ٢٤ يوليو على أساس أن الثورة قد أنهت مهمتها بتسليم شئون البلاد لممثلى الشعب المنتخبين .**

واستكمالا للديمقراطية اقترح جمال عبد الناصر الإفراج عن رشاد مهنا ، وكان هذا الاقتراح الأخير كافيا لتفجير مخاوف نجيب الذى كان ـ كما قلت ـ يخشى من أى منافس قد يرشح نفسه فى مواجهته .

وتقدم بغدادى باقتراح مضاد يقول :

- **عدم إجراء انتخابات قبل تحقيق أهداف الثورة ، وبخاصة تحقيق جلاء الانجليز عن مصر .**
- **استخدام الشدة مع كل من يفكر فى الوقوف فى وجه الثورة .**
- **إعادة تطهير الجيش .**
- **أن يخضع نجيب لرأى الأغلبية ، وأن يلتزم الجميع بكل ما يصدر عن المجلس من قرارات .**

واعترض نجيب بشدة على هذه الاقتراحات .

أما أنا فقد اعترضت أيضا ، فقلت : كيف التزم بما لا أوافق عليه ، وأنا لا أريد أن أتسبب فى أى مشكلات ، وفى نفس الوقت لا أريد أن أخالف ضميرى وموقفى ، ولهذا إذا اتخذت قرارات وجدت أنها فاصلة فإننى سأنسحب من المجلس .

ورد بغدادى رافضا وقال : لابد أن نتكاتف معا ، وأن يلتزم كل منا برأى الأغلبية ، ولا يجوز لأحد أن ينسحب ، فالأهم هو المصلحة العامة .

والحقيقة أننى كنت طوال هذا الاجتماع صامتا وأكتفى بتعليقات قصيرة ، ولم أتقدم مثل الجميع باقتراحات متكاملة ، ولعل هذا هو الذى دفع كلا من عبد الحكيم عامر وصلاح سالم للإلحاح على ضرورة أن أحدد موقفى بوضوح .

وتكلمت ..

□ □ □

والحقيقة أننى حاولت قدر الإمكان إيجاد مخرج يقبله الزملاء ويرتضونه ويهدىء من مخاوفهم ، دون التراجع عن الديمقراطية والانتخابات وقرارات ٥ مارس ، ولهذا تقدمت بالاقتراح التالى :

- □ تنفيذ القرارات الخاصة بانتخاب الجمعية التأسيسية .
- □ يحرم من الحقوق السياسية كل من حكمت عليه محكمة الثورة سواء بعقوبة السجن أو مصادرة الأموال ، وكل من اتخذ موقفا محددا ضد الدستور بشرط إيراد الأسباب .
- □ تجرى انتخابات الجمعية التأسيسية فى الموعد الذى حددناه من قبل .
- □ تتكون الأحزاب السياسية بعد انتخابات الجمعية التأسيسية ونتيجة لها .
- □ وحتى تقوم الجمعية التأسيسية ، إما أن يبقى الوضع على ما هو عليه ، وإما أن تؤلف وزارة مدنية ، مع تشكيل هيئة استشارية تكون وظيفتها الإشراف على الانتخابات وضمان حيدتها .
- □ الجمعية التأسيسية تحدد موعد إجراء الانتخابات لاختيار برلمان جديد .
- □ تبقى لمجلس قيادة الثورة سلطة السيادة .

وباختصار حاولت أن أرفض سياسة « إما .. وإما » ، تلك السياسة التى كانت فى اعتقادى تغلق الطريق أمام الديمقراطية ، وتوحى للضباط سواء فى مجلس الثورة أو خارجه بأنه لا مستقبل لهم فى ظل الديمقراطية ، وحاولت أن أقدم فكرتى الثابتة : **أننى مع استمرار الثورة فى إطار ديمقراطى وبأسلوب ديمقراطى .**

وحاول جمال سالم أن يفند اقتراحى بعد أن شعر بخطره ، فقال : ومن أين نستمد سلطة السيادة ؟ قلت : من كوننا نحن الذين قمنا بالثورة ، ومن سيطرتنا على القوات المسلحة . وقال : وكيف نطرد الانجليز من مصر ؟ فقلت : ينظم الشعب نفسه ويخوض المعركة ، وأفلت جمال سالم واحدة من شتائمه المعهودة ضد الشعب .

ومرة أخرى حاولت أن أشرح وجهة نظرى بالحفاظ على الثورة مع المضى فى

طريق الديمقراطية ، لكننى أحسست بالرفض فى أعماق الكثيرين ، ورفض عبد الناصر وعامر الاقتراح متمسكين بسياسة « **إما ..وإما** » .

واستمر النقاش طويلا ..

وتقدم نجيب باقتراح يقول :

- ☐ يستمر مجلس الثورة حتى ٢٣ يوليو ويغير اسمه إلى مجلس رئاسة الجمهورية .
- ☐ تجرى الانتخابات على أساس فردى وليس على أساس حزبى .
- ☐ تكون مهمة الجمعية التأسيسية وضع الدستور ومزاولة سلطات البرلمان حتى يقوم ، ويكون لها كل سلطاته ماعدا حق سحب الثقة من الوزارة .
- ☐ ليس من حق الحكومة حل الجمعية التأسيسية .
- ☐ تشكيل الوزارة يكون من اختصاص رئيس مجلس الثورة ومجلس الثورة معا .
- ☐ عمل استفتاء شعبى حول قانون الإصلاح الزراعى .
- ☐ يستمر المجلس ، ويكون له الحق فى الموافقة على القوانين .
- ☐ حرمان بعض الأشخاص من الحقوق السياسية .

..واحتدم الخلاف .

وتقرر طرح الاقتراحات المختلفة للتصويت ..

وطُرح فى البداية اقتراح جمال عبد الناصر باعتباره الاقتراح الذى تم عرضه أولا وحصل على ثمانية أصوات .. وقد أعطيت صوتى له ، واعترض عليه : جمال سالم ، بغدادى ، كمال الدين حسين ، حسن ابراهيم ، وعند فوز اقتراح عبد الناصر طلبت سحب اقتراحى وعدم التصويت عليه .

ثم عرض اقتراح بغدادى وحصل على ٧ أصوات .

.. وهنا عُرض اقتراح أو تحفظ ، فقد اشترط عبد الحكيم عامر لكى نستمر فى التصويت أن نصوت أولا على التزامنا جميعا بنتيجة أى تصويت ، وأن تخضع الأقلية للأغلبية ، وألا تعلن معارضتها للقرارات ، وألا تنسحب .

وأنا تحفظت على ذلك وتحفظ معى صلاح سالم ، وهنا أعلن عامر سحب موافقته على اقتراح عبد الناصر .. وبهذا سقط الاقتراح ، لكن عبد الناصر نجح فى الضغط على عامر كى يتراجع عن موقفه هذا ، وفعلا عاد عامر فمنح صوته لاقتراح عبد الناصر ، وبهذا فاز الاقتراح من جديد ليصبح الأساس لما أسمى « بقرارات ٢٥ مارس » .

هنا .. وهنا فقط أدركت مسألة هامة ..

فجأة انبثقت فى عقلى فكرة لست أدرى كيف غابت عن ذهنى طوال الأيام السابقة ، لقد أحسست أن ثمة مناورة تحاك ، وأن الاقتراحات والاقتراحات المضادة هدفها الحقيقى إرباك كل الأطراف ، وتمييع الموقف ، وأدركت أن ثمة شيئا ما يجرى إعداده فى الخفاء .

وأدركت أن الزملاء يرتبون أمورهم فيما بينهم وعلى غير علم منى ، وأن الاقتراحات غير الناضجة كان المقصود بها إحباط عملية الاستمرار فى تنفيذ القرارات ، وتمييع المواقف حتى تنضج للتنفيذ العملى فكرة عبد الناصر التى ظل يرددها فى حماس مثير للدهشة .. « إما الثورة وإما الديمقراطية » .

٢٣ التراجع

* فى القطار .. رأيت جموعا تهتف « لا حزبية » .
* اختفيت كى لا أوقع على قرار التراجع .
* قال لى عبد الناصر : أنت مثل العسل .
* قبلوا استقالتى وقرروا عدم إعلانها .
* وسافرت .. مع قرار بعدم عودتى .

.. كان الملك سعود لم يزل فى مصر ، وكنا ممزقين بين متابعة زيارته ، والاحتفاء به ، وبين محاولة حل خلافاتنا وإيجاد مخرج لهذه الأزمة الخانقة .

وفى ٢٧ مارس وكان يوم سبت حدثنى نجيب تليفونيا ليدعونى للسفر معه ومع الملك سعود بالقطار إلى الاسكندرية ، وذهبت ، وكان هناك أيضا كمال الدين حسين .

وما أن تحرك القطار نحو أول محطة فى الطريق حتى أحسست بأن هواجسى التى سيطرت علىّ فى الجلسة السابقة لمجلس الثورة كانت صائبة ، وأن شعورى بأن هناك ترتيبا خفيا يجرى إعداده كان صحيحا ، فعلى كل محطة كان هناك حشد من الناس يهتف بحياة نجيب وحياة الملك سعود ثم يهتف : « تحيا الثورة » ، « لا حزبية » .

وأحسست أن ثمة ترتيبا لهذا الأمر كله .

كانت الحشود متوسطة الحجم . حوالى مائتين فى كل محطة ، لكن الذى يؤكد الترتيب أن الشعارات كانت موحدة ، فكيف يمكن التصديق أنه دون ترتيب خاص سرت هذه الشعارات وسط جميع المحتشدين فى كل المحطات على طول الطريق من القاهرة إلى الاسكندرية ؟ **وأعتقد أن « هيئة التحرير » وأجهزة الدولة والأمن كانت وراء هذه الحشود .**

وتغير الموقف عندما وصلنا إلى الاسكندرية ، فقد كان هناك حشدان .. حشد يهتف للنحاس وفؤاد سراج الدين ، وحشد يهتف « تحيا الثورة » و « لا حزبية » .

وقبلها بيوم كانت زوجتى فى زيارة لأسرتها وعادت لتقول لى بدهشة : **كل العائلة ضد موقفك** . وبدأت أستشعر دهشة بالغة ، فما اتخذت من مواقف كان من وحى محبتى لمصر وللشعب ، فكيف يمكن لأسرتى أن تتخذ هذا الموقف ؟ وكيف يمكن تحريك الجماهير أو قطاع منها لتهتف ضد الديمقراطية ؟

وإلى هنا .. فإننى أود أن أوضح نقطة بالغة الأهمية ، صحيح أن عبد الناصر رتب الأمر ، وحشد المظاهرات ، ثم حشد بعد ذلك بعض قطاعات العمال ودفعهم

للإضراب ، وخاصة عمال النقل العام ، وقد اعترف لى عبد الناصر صراحة - كما قلت فى السابق - بأنه أنفق أربعة آلاف جنيه على هذه الترتيبات ، وبعد عودتى من المنفى عاد فاعترف لى أنه رتب « حركة ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ مارس » كرد على حركة الفرسان واجتماع « الميس الأخضر » وقال باسما : واحدة بواحدة ، ونبقى خالصين .. لكن هذه الترتيبات ما كان لها أن تنجح لو لم تجد صدى لها وسط الجماهير ..

فالطبقة الوسطى مثلا كانت تخشى من عودة الحياة النيابية والأحزاب ، خاصة وأن أحزاب ما قبل الثورة كانت قد كسبت احتقار الجماهير سواء بتصرفاتها السابقة على الثورة ، أو بسبب الحملة الإعلامية الضارية التى شنتها الصحف وأجهزة الإعلام ضدها .

والفلاحون كانوا يوشكون أن يستمتعوا بثمار الإصلاح الزراعى ، وبدأوا يشعرون أن تراجع الثورة يعنى إلغاء الإصلاح الزراعى وانتزاع الأرض منهم ، وعودة القهر والنفوذ الإقطاعى الظالم .

والعمال بدأوا يستمتعون ، وخاصة النقابيين منهم بنص قانونى - كنت أنا الذى صممت على إصداره ، واستقلت فعلا من مجلس الثورة ولم أعد إلا بعد صدوره - يحميهم من الفصل التعسفى .

وهناك فوق هذا .. وقبل هذا كله ، **ضباط الجيش** الذين فزعوا من الحملة الضارية التى شنتها جريدة « المصرى » و « الجمهور المصرى » و « روز اليوسف » للمطالبة بعودة الجيش إلى ثكناته ، ومحاكمة المسئولين عما أرتُكب من أخطاء ، وبدأوا يشعرون أن مصيرهم كجماعة امتلكت نفوذا وسطوة هائلة بعد ليلة ٢٣ يوليو وكأفراد حصلوا على موقع ممتاز ، ومهابة اجتماعية ذات وزن .. ان هذا كله مهدد ، وأن الثورة التى حققوها مهددة أيضا .

وهكذا فإن عبد الناصر إذ رتب لهذا الرجوع عن القرارات الديمقراطية ، كان يستند إلى ميزان قوى لصالحه ، فمعه أغلبية ضباط الجيش ، ومعه قطاع كبير من الجماهير الشعبية ، ومعه قطاع هام من الطبقة الوسطى ، ومعه أيضا الصحف والاذاعة والأمن والمخابرات و« هيئة التحرير » .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن مصطفى وعلى أمين وغيرهما من كبار الكتاب فى « الأهرام » و « الأخبار » و « الجمهورية » كانوا يؤيدون مواقف عبد الناصر ، وكانوا يروجون لفكرة « إما .. وإما » ، ومن ثمة فقد كانوا رافدا هاما من روافد التفكير المعادى للديمقراطية .

وفى الجانب الآخر كان ضباط الفرسان مازالوا يتشبثون وبشرف بموقفهم المتمسك بالثورة وبالديمقراطية معا ، كذلك فعلت نقابة المحامين وبعض الصحفيين وجماهير الطلاب ، وأساتذة الجامعات . وحاول جمال أن يزيد من رصيده وأن يقوى صفوفه ، فأفرج عن رشاد مهنا وعن كل الضباط الذين سبق اعتقالهم ، كما أفرج عن الإخوان المسلمين .. وأفرج أيضا عن عدد من السياسيين . وحاول نجيب أن يلعب ذات اللعبة ، فنشرت « أخبار اليوم » فى ذات يوم سفرنا إلى الاسكندرية خبرا يقول : إن نجيب اتصل تليفونيا بالنحاس باشا ليتأكد من أنه قد أفرج عنه ، لكن هذه المكالمة تركت أثرا سلبيا وسط ضباط الجيش الذين تصوروا أن نجيب يتزلف للنحاس ويهين كرامة الجيش .

وبدأت العجلة تدور ..

وفى يوم ٢٨ مارس بدأت خيوط التدبير تتضح ، فقد أضرب عمال السكة الحديد ، وأضرب عمال النقل العام ، واعتصموا مطالبين بإلغاء قرارات ٥ مارس ومطالبين باستمرار الثورة ، وسارت مظاهرات تهتف « تسقط الديمقراطية » و « تسقط الأحزاب » .

وأدركت أن ذلك كله مجرد مقدمة لعقد اجتماع لمجلس قيادة الثورة لإصدار قرار بإلغاء قرارات ٥ مارس .

وقررت ألا أحضر مثل هذا الاجتماع .

كان نجيب عائدا فى مساء ٢٨ مارس إلى القاهرة ولم أعد معه ..

جلست لفترة مع أحمد حمروش وطلعت شعث (وهو ضابط مدفعية سواحل ، أصبح فيما بعد مديرا لمكتب جريدة « المساء » بالاسكندرية) وسمعت منهما كثيرا مما يجرى .. وقررت ألا أعود إلى القاهرة .

توجهت إلى صديق لى اسمه محمود عيد وقلت : أنا لا أريد الرجوع إلى القاهرة ، وأريد أن تجد لى مكانا لا يعرفه أحد أبقى فيه لعدة أيام ، واشترطت فقط أن يكون به راديو وتليفون كى أبقى على اتصال بما يجرى خارج هذا المكان ، فأخذنى لصديق له شقة خاصة بها تليفون وراديو ، وأقمت هناك .

□ □ □

وبدأت أجهزة الأمن فى البحث عنى .

زكريا محيى الدين بنفسه زار زوجتى وسأل عنى ، وقالت إنها لا تعرف أين أنا . والحقيقة أنها كانت تعرف ، فقد اتصل بها محمود عيد من الاسكندرية وقال لها : الأمانة بتاعتك حالتها كويسة ، وفهمت . ومر الأمر ببساطة فلم تكن تسجيلات التليفونات تستخدم بعد .

ومن هذه الشقة بدأت أتصل تليفونيا بالكثيرين ، وكل من أتصل به يبلغنى أن الزملاء يبحثون عنى ، وأنهم ذهبوا لبيوت ابن عمى وكل أقاربى وأصدقائى ، وسافر حسن إبراهيم إلى الاسكندرية ليبحث عنى بنفسه ، وكانوا فقط يريدون توقيعى على سحب القرارات الديمقراطية ، ولم أكن مستعدا للتوقيع مهما كان الثمن .

وكنت فى هذه الشقة ومعى أداتان للاتصال بالخارج : الراديو الذى بدأ يذيع أخبار الاعتصامات والمظاهرات وبرقيات التأييد للثورة من النقابات والهيئات ، والتليفون الذى اتصل عن طريقه بالأصدقاء .

قال لى حمروش عندما اتصلت به : عبد الناصر اتصل بى وطلب منى أن أقوم شخصيا بالبحث عنك . وتلقيت بالتليفون أنباء مظاهرات الجامعة التى نظمها الطلبة اليساريون والوفديون دفاعا عن قرارات ٥ مارس ومطالبين بعودة الديمقراطية والأحزاب ، وفى حشد صاخب من طلبة كلية الحقوق - جامعة القاهرة - **وقف شقيقى عمرو محيى الدين ليلقى خطابا ناريا اتهم فيه مجلس الثورة بأنه قتلنى ، وصاح عاليا : أين شقيقى ، أين خالد محيى الدين ؟ .. وهاجت الجامعة ، ولم يكن عمرو يعرف أننى مختف بإرادتى .**

وصدر أمر بالقبض على عمرو محيى الدين لكنه اختفى .. وتعقد الأمر أكثر . فأنا مختف وشقيقى يحرك الجامعة فى مظاهرات صاخبة ويتهم مجلس الثورة بقتلى ، ثم يختفى هو الآخر ، واشتدت حملة البحث عنى وعن عمرو .

ومرة أخرى يزور زكريا محيى الدين زوجتى ليسألها عن مكانى ، وليبلغها بضرورة أن يسلم عمرو محيى الدين نفسه ، وقد قُبض على عمرو فيما بعد بالمصادفة حيث داهم البوليس بيت أحد الطلاب للقبض عليه فوجد عمرو محيى الدين عنده .

وأخيرا ، لم يكن هناك مفر أمام الزملاء فى مجلس قيادة الثورة من إصدار القرار دون توقيعى ، ووجهت الدعوة لعقد اجتماع مجلس الثورة واعتذر نجيب بأنه مريض ، فذهبوا جميعا إلى بيته وعقدوا اجتماعهم هناك ، فقد كانوا بحاجة أيضا إلى توقيعه .. ووقع نجيب ، **ووقع الجميع على إلغاء القرارات الديمقراطية والرجوع عنها ، إلا أنا .**

وسمعت القرارات فى الراديو ، فارتديت ملابسى ، وغادرت الشقة ، وركبت الأتوبيس المتجه إلى القاهرة .

وصلت إلى بيتى ، وبعدها بأقل من ساعة جاء زكريا محيى الدين ، وسألنى بطبيعة الحال : أين كنت ؟ وقلت له إننى لم أشأ أن أحضر لبفرض علىّ التوقيع على ما يخالف ضميرى ، وأننى قررت الاستقالة من مجلس الثورة ، فقال : على أية حال جمال عبد الناصر عايز يشوفك ، فقلت : أقابله بكره .

وجلست لأكتب استقالتى من مجلس قيادة الثورة .

كانت لحظات غريبة ، استعدت فيها دون إرادتى شريط ذكريات طويل .. طويل ، أنا وزملائى ، كيف عملنا معا ، كيف تعاهدنا ، ذكرياتنا المشركة ، أحلامنا المشتركة ، رحلتنا من البداية ، الإخوان المسلمون ، الجهاز السرى ، الشيوعيون ، المجموعة الأولى « للأحرار » ، الاجتماع الأول ، المنشور الأول ، ليلة الثورة .. سيل الذكريات الدافق لا يتوقف ، ولم يكن بإمكانه أن يتوقف فى لحظة حاسمة كهذه . لكننى كنت مرتاح الضمير ، فلم أفعل ما يخالف ضميرى ، بل تمسكت بما اعتقدت أنه صواب ، وأنه فى صالح الوطن وفى صالح الشعب وأيضا فى صالح الثورة .

كنت وحتى هذه اللحظة متمسكا بموقفى الثابت : الحفاظ على الثورة عبر مسار ديمقراطى ، وكنت أعتقد أن هذا هو الطريق الصائب .

وتدافعت أمام عينى صور الجماهير التى خلطت بين الدفاع عن الثورة وبين العداء للديمقراطية ، ولم أستشعر أى قدر من اللوم إزاءها ، فربما كنت أنا المخطىء لأننى لم أكن قادرا على توضيح موقفى بما يكفى ، ولكن كيف أوضح موقفى وكل ما هو متاح لى هو أن أعارض فى غرفة مجلس قيادة الثورة المغلقة ، بينما الزملاء يسيطرون على كل أجهزة الإعلام .

وتزاحمت أمام عينى صور زملائى ضباط الفرسان ، كنت أكبّر فيهم رجولتهم الشامخة ، وصلابتهم فى الدفاع عن الديمقراطية ، رغم كونهم أصحاب سلطة وأن بإمكانهم أن ينالوا المزيد ، فقط لو قالوا لا للديمقراطية ، ورغم أنهم سيفقدون الحظوة التى منحت للكثيرين فيما بعد ومعها المنصب والجاه والسلطان ، **وكنت أعرف أنه عندما تستقر الأمور سوف يُنكل بهم ، وقد حدث ما توقعت ، فما أن استقرت الأحوال حتى تمت تصفية الحسابات مع كل من حاول الوقوف فى وجه محاولة الارتداد عن القرارات الديمقراطية : الصحفيون جرى فصل العديد منهم ، الطلاب اعتقل منهم الكثيرون ،**

أساتذة الجامعات شرد العديد منهم ، أما ضباط الفرسان فقد كان لهم النصيب الأكبر من الاضطهاد .

.. وبينما شريط الذكريات يتداعى فى هدوء وكبرياء أتى لزيارتى زوج شفيقتى د . سيد طه عبد البر وجلسنا معا لنكتب استقالتى ، ولعلى كنت أستعين به كى أتباعد عن تلك الصور المتدافعة والمليئة بالحنين والشجن . وأعددت الاستقالة .

□ □ □

.. زرت عبد الناصر يوم ٢ أبريل ، قطعت الطريق إلى بيته سيرا على الأقدام فقد كنا جيرانا ، استقبلنى عبد الناصر مرحبا كعادته ، وسألنى : ناوى تعمل إيه ؟ فقلت : أنا سأقدم استقالتى من مجلس الثورة . فقال : وبعدين ، قلت : مش لما تقبلوها ، فقال ببساطة : اعتبرها قبلت ، قلت : سأبقي ، ولن أعود للجيش . فقال : لا .. ثم أضاف : اسمع يا خالد ، احنا أصدقاء ، لكن المصلحة العامة حاجة تانية ، وانت عارف انك زى العسل ، وسوف يتجمع حولك كل الذباب وتبقى مشكلة ونتصادم ، وأنا لا أحب أبدا أن أتصادم معك ، وأنا أفضل أنك تسافر للخارج . فقلت : أسافر إلى باريس ، فقال : باريس لا ، باريس فيها حركة سياسية يسارية نشيطة ، وسوف تدفعك للانغماس فيها ، وأنا أفضل أن تكون فى مكان هادىء .

.. وقال : على أية حال هناك بعثة مسافرة من مجلس تنمية الإنتاج القومى إلى فرنسا وإيطاليا ، فأنت تسافر معها وبعد انتهاء الزيارة الرسمية نتصل مع بعض ونتفق على مكان استقرارك .. ووافقت .

وطلب عبد الناصر منى طلبين :

□ **أولهما** : ألا أخبر أحدا غير زوجتى بأننى لن أعود .. حتى أبى وأمى وإخوتى ، فقد كان حريصا على ألا يثير سفرى أية قلاقل فى سلاح الفرسان ، أو فى أى مكان آخر حتى تستقر الأمور .

□ **وثانيهما** : ألا أهاجم النظام وأنا فى الخارج .

فقلت : أوافق بشرط ألا تهاجمونى ، ووافق عبد الناصر .

وقد التزمت بالاتفاق الأول ، ولم يعرف بقرار إبعادى عن مصر إلا زوجتى ، وعندما جاءت لتودعنى بالمطار ودعتنى بحرارة فقال أحد الواقفين : يبدو أنه لن يعود .

أما الاتفاق الثانى فرغم أنى التزمت به أيضا ، فقد بدأ أنور السادات فى شن حملة صحفية ضدى فى جريدة « الجمهورية » واصفا إياى « **بالصاغ الأحمر** » ، واتصلت بالقاهرة منبها إلى أن هذا خروج على الاتفاق ، وبالفعل أبلغونى أن قرارا قد صدر بإيقاف هذه المقالات .

المهم سلمت عبد الناصر الاستقالة ..

ويذكر عبد اللطيف بغدادى فى مذكراته أن جمال عرضها على الزملاء فى اجتماع لمجلس الثورة يوم ٤ أبريل ، ويقول فى المذكرات : انتظر جمال حتى نهاية الجلسة ، ثم عرض الموافقة على قبول استقالة خالد محيى الدين من عضوية مجلس قيادة الثورة التى كان قد تقدم بها فى اجتماع سابق .

والحقيقة أننى لم أتقدم بأى استقالة فى اجتماع سابق ، ووافق الزملاء سريعا فقد كانوا يتصورون أنه كان يتعين علىّ أن أحضر لأوافق معهم على إلغاء القرارات الديمقراطية وأن أتحمل المسئولية معهم .

المهم .. تقرر قبول الاستقالة على ألا تُعلن ، وأن يسافر خالد محيى الدين يوم الثلاثاء التالى إلى الخارج مع بعثة مجلس تنمية الإنتاج القومى ، وألا يعود مع البعثة وأن يبقى بالخارج حتى تهدأ الأوضاع .

واتصل بى محمد نجيب قائلا : لا تضايق نفسك ، روح استريح ، وإن شاء الله ترجع بالسلامة .

.. أما بقية الزملاء فقد لزموا جانب الصمت ، ولم يتصل أحد منهم بى .

وعدت إلى البيت لأستعد للسفر ..

وما أقسى أن تستعد لسفر لا تعرف متى تعود منه ، وما أقسى أن تضطر إلى مغادرة وطنك .. أرض بلادك ، من أجل خصومة سياسية مع زملاء أحببتهم وعشت معهم أجمل ساعات النضال المشترك .

والحقيقة أننى لم أسع لخصومة مع أى من زملائى ، لقد كنت واضحا معهم ، صريحا ، مؤكدا على الدوام تمسكى بالديمقراطية وإصرارى على أنها المخرج ، وأحمد الله أنه لم يكن خلافا شخصيا ، ولا بحثا عن مغنم أو منصب ، بل ضحيت من أجله بكل شىء .

ولعله من الضرورى أن أوضح أن بعض الزملاء إذ وقفوا ضد الديمقراطية كانوا يعتقدون أنهم يخدمون القضية الوطنية ، وكثيرا ما أكد هذا البعض .. المهم هو أن نطرد المستعمر أولا ثم نبحث موضوع الديمقراطية ، بينما كنت أعتقد أن الديمقراطية يمكنها أن تعبىء الجماهير فى مواجهة الأعداء ، لكنهم كانوا يرون أن الديمقراطية ستفتح الباب أمام العدو الأجنبى كى يتسلل إلى صفوف الأحزاب ويضرب الوحدة الوطنية . وتمسكت أنا بأن الديمقراطية هى أفضل ضمان لحماية أى حكم من الخضوع للضغط الخارجى .

باختصار كان الخلاف بيننا حقيقيا ، لكننى أقرر أننا لم نكن نتصارع على شىء شخصى أو مصلحة شخصية ، ولعلى ممن يقررون دوما أن مصر بلد حسن الحظ لأن الله قد هيأ لها هذه المجموعة من الضباط الذين مارسوا خلافاتهم فيما بينهم بطريقة غير دموية ، فلو أن أحدا مارس التصفية لمخالفيه فى الرأى لسرت العدوى ولتحولت مصر إلى بلد لا يطاق ، ولإنهارت قيم عديدة ظللنا جميعا نحن أبناء تنظيم « الضباط الأحرار » متمسكين بها حتى النهاية .

.. وتداعت أمام ناظرى أسئلة عديدة .

كنت أمتلك وجهة نظر مختلفة ، لكننى لم أحاول أن أحشد قوى كافية لتأييد هذه الفكرة ، وسألت نفسى : هل أخطأت فى ذلك ؟ وبضمير مستريح قررت أننى لست من هؤلاء الذين ينسجون المؤامرات ضد زملائهم ، وأننى كنت أعبر عن وجهة نظرى فى المجلس ، وأعبر عن ذات وجهة النظر فى بعض المقالات ، صحيح أن هذه المقالات لم تكن كافية ، ولم يكن من الممكن أن تعادل فيض الإعلام الموجه الذى سيطر عليه صلاح سالم ووجهه لصالح وجهة النظر الأخرى ، لكننى لم أشعر مطلقا أنه من الممكن بالنسبة لى أن أقوم باتصالات سرية من خلف ظهر الزملاء مع حزب الوفد مثلا أو مع الشيوعيين ، فقد كنت أعتبر أننى ملتزم مع زملائى بالدفاع عن الثورة وعن استمرارها ، وأن نقطة الخلاف هى فقط حول المسار الديمقراطى .

وأدركت أن معركتى كانت منذ البداية غير مؤهلة للنجاح ..

فأنا أعارض وأتشدّد فى التمسك بوجهة نظرى فى غرفة مغلقة ، وهم يمتلكون السلطة والإعلام والمال والاتصالات والأمن والمخابرات والتنظيم السياسى الوحيد المسموح به .. الخ .

وأنا أتمسك بالديمقراطية بينما الرأى العام ضعيف ، وقطاع كبير منه مضلل

بنظرية « إما الثورة وإما الديمقراطية » ، وقطاع مهم أيضا كان يخشى على مكتسباته الاجتماعية التى حصل عليها بفضل الثورة .

كذلك فإن الصحافة الليبرالية قد لعبت دورا خطيرا - كما أكدت من قبل - فى إرباك الأمور ، وفى شحن ضباط الجيش بالمخاوف من الديمقراطية .

والحقيقة أن أحداث مارس قد أثمرت نتائج مصيرية ، فلعلها أقنعت الإخوة فى مجلس الثورة وإلى أمد طويل بضرورة التمسك بنظرية « **إما .. وإما** » ، ولعلها أقنعتهم بإمكان شحن الجماهير وتحريكها فى الاتجاه الذى يريدون ، عبر قنوات الإعلام والعلاقات السياسية والاتصالات غير المرئية ، ولعلها أقنعتهم بأهمية استثمار ثقة الجماهير ومحبتها للثورة وتمسكها بها فى توجيهها نحو المسار الذى يريدون ، خاصة مع تقديم بعض الإصلاحات الاجتماعية التى تؤكد ثقة الجماهير بهم ، وتغنى فى الوقت نفسه عن الديمقراطية وتمكنهم من التخلص من تبعاتها .

□ □ □

وعندما قال لى جمال عبد الناصر : اعتبر أن استقالتك مقبولة ، كان يضع خطا فاصلا بينى وبين الزملاء ، فلو أنه دعانى لاجتماع مع المجلس وتناقشنا كنت سأتمسك بوجهة نظرى ، وسأحتفظ بها ، وأواصل النضال من أجلها فى صفوفهم كما اعتدنا من قبل . لكن الزملاء كانوا قد حسموا أمرهم ، وقرروا إما أن أكون معهم فى كل ما يرون وكل ما يقولون .. وإما أن أبعد . كانوا قد قرروا وبشكل حاسم التباعد عن لعبة الديمقراطية ، وأن ينفردوا بالحكم ، وبالتصرف ، وهو ما كانوا يعلمون أننى سأرفضه قطعا .

وكان عبد الناصر هو أكثر من يعرف أننى لست ذلك الرجل الذى يتنازل عن مبدئه ومواقفه مقابل الاستمرار فى سلطة أو جاه أو منصب .

صحيح أننى خضت معركة غير متكافئة ، فرد واحد فى مواجهة جهاز الدولة بأكمله ، فرد واحد لم يكن يريد أن يستقوى بأحد حتى لا يضر بموقف زملاء يحبهم ، وثورة عاش حياته يحلم بها .. لكنها كانت فى اعتقادى معركة ضرورية ، فهل لإنسان أن يزهو أمام الناس بغير موقف ثابت لصالح الوطن والشعب والثورة ؟

وباختصار .. لم أشعر ولو للحظة واحدة بذرة واحدة من الندم ، وأنا أخلع عنى ثياب سلطة السيادة ، وأصبح إنسانا عاديا يستعد كى يُحرم حتى من البقاء فى أرض وطنه ..

كانت زوجتى حزينة .. ليس بسبب المنصب ، فقد اعتادت أن تحتمل معى ما يفرضه علىّ موقفى من نتائج ، ولكن لأننا سنفترق .

لم تشعر هى أيضا بأى حزن عندما تحولت من زوجة لمسئول إلى زوجة لمواطن مُبعد عن بلده ، كان يعوضها عن ذلك أنها تشعر بمحبة الكثيرين لى ، واحترامهم لموقفى .

وعلى أية حال حزمت حقائبى لأستعد للسفر ، وكلى يقين أننى فعلت ما هو واجب وما هو ضرورى .

٢٤ قبل الرحيل..

شريط من الذكريات

* بدلا من الديمقراطية .. اتجه عبد الناصر للفقراء .
* عبد الناصر « قائد » ، وعامر « عمدة » ، ويوسف صديق « فارس » .
* عرف السادات اتجاه الريح ، فاتجه معه ..

عدت إلى بيتى بعد أن قابلت عبد الناصر . الآن وبعد كل ما كان تفرقت السبل ، ولا مكان لى وسط الزملاء الذين عملنا معا طوال أحلى سنوات النضال وأجمل سنوات العمر .

هل تعرف معنى أن تحزم حقائبك وأنت تدرك أن العودة بعيدة .. وغير منظورة ؟

هل تدرك معنى أن تسهم مع زملاء أحببتهم وخضت معهم كل مناطق الخطر والمخاطرة من أجل الوطن والشعب ، ثم تكتشف أن السبل يجب أن تتفرق ؟

هل يمكنك أن تتخيل مغزى أن تسهم فى نسيج عمل عظيم كثورة يوليو ، ثم تكتشف أنك مختلف مع أقرب الناس إلى قلبك ؟ وأن الحدث العظيم يفرض عليك أن تحميه ، بأن تمتنع وأن تمنع مؤيديك من التصادم حفاظا على الوطن وعلى الثورة ؟

.. كانت اللحظات صعبة ومريرة ، لكننى لم أكن حزينا ولا نادما .

عن طيب خاطر تقبلت أن أتخلى عن موقعى فى أعلى سلطة .. سلطة السيادة ، فالموقف والمبدأ يستحقان أن يتمسك بهما الإنسان ، حتى ولو تخلى عن أى سلطان .

.. أخبرت زوجتى بحديثى مع عبد الناصر ، واتفقت معها أن نلتزم بما تعهدنا به ، وهو ألا نخبر أحدا بأن رحيلى .. هو رحيل إلى المنفى ، وليس – كما سيعلن – على رأس وفد لمجلس الانتاج القومى .

دخلت إلى غرفة النوم ، انفردت بنفسى طويلا ، وضعت رأسى بأكمله بين يدى ، واستطالت الجلسة .. كانت محاولة لاستعادة كل ما كان .

وكان أكثر ما يشغل بالى هو إخوتى فى سلاح الفرسان ، كانوا رجالا بحق ، أسهموا بقدر لا ينكره أحد فى تشكيل « الضباط الأحرار » ، وبقدر أكبر فى ليلة الثورة ، لكنهم تمسكوا بالديمقراطية ، لم يكونوا ضد استمرار الثورة ، ولكن كانوا مع الديمقراطية . اختلفوا بشرف ، وتمسكوا بموقفهم برجولة تستحق الاحترام .. الاحترام ليس منى وحدى ، وإنما من مصر كلها تقدمه لهم ليس فى الماضى فقط وإنما فى الحاضر والمستقبل أيضا ،

فلو أنهم لم يتصرفوا بكامل العقل ، وكامل الإحساس بالمسئولية لانفجر الجيش بصدامات ربما خطت فى تاريخ مصر تقاليد رديئة .

.. وهم لم يسعوا إلى مغنم شخصى ، ولو سعوا إليه لنالوا ما أرادوا ، وبسهولة ويسر ، ولأخذوا أكثر مما أخذ الآخرون .

ولست أستطيع ، لا الآن ولا فى المستقبل ، أن أفى هؤلاء الرجال حقهم : توفيق عبده إسماعيل ، أحمد المصرى ، أحمد حموده ، بهاء الحينى ، محمود حجازى ، فاروق الأنصارى ، حسن الدمنهورى ، سامى ترك ، صبرى القاضى ، محمد إبراهيم عطية ، مصطفى حمزه ، سعد حمزه ، حسن إبراهيم حسانين .. وغيرهم كثيرون ، وليعذرنى إخوتى أبطال الفرسان الشرفاء إذا كانت الذاكرة قد تخلت عنى فنسيت اسما أو أكثر . والحقيقة أن العلاقة بينى وبين رجال الفرسان تظل دوما مكتسية برداء خاص ، ومهما اختلفت مواقفنا الآن ، فإننا نظل أقرب إلى بعضنا البعض من الآخرين ..

فتوفيق عبده إسماعيل ضابط الفرسان الشجاع هو الآن عضو مجلس الشعب عن الحزب الوطنى ، ولكن عندما نجلس معا فى مجلس الشعب يسرى بيننا من حب ومودة ما لا يسرى بين الآخرين .

وبعد سفرى إلى الخارج ، تعرض رجال الفرسان لعنت شديد ، وحدث ما أسمى « بانقلاب الفرسان » حيث قبض على أحمد المصرى وعدد من ضباط الفرسان وحوكموا .

أما حسين الشافعى فقد عُين وزيرا للحربية ، وعُين ضابط محترف لا علاقة له « بالضباط الأحرار » هو عبد العزيز مصطفى قائدا للفرسان ، وبدأت على يديه عملية إخلاء سلاح الفرسان من « الضباط الأحرار » ، وكان عبد العزيز مصطفى واحدا من رجال عبد الحكيم عامر ، وقد قام بعملية إبعاد شاملة لكل أبناء يوليو من صفوف السلاح .

ولعله من حقى أن أعتقد أن معركتنا من أجل الديمقراطية قد دفعت عبد الناصر إلى محاولة التحصن بالجماهير .. وخاصة العمال والفلاحين .

.. ففى مواجهة شعارات الديمقراطية برزت شعارات مخاطر العودة إلى ما قبل يوليو ، وإنهاء الثورة ، وكان لابد من حشد قوى اجتماعية يحتمى بها عبدالناصر فى مواجهته مع القوى المسيسة التى تنادى بالانتخابات والديمقراطية .

لكن الاقتراب من الجماهير يتطلب عملا متجها لتحقيق مصالحها ، أو على الأقل البعض من هذه المصالح . وهكذا كان الإصلاح الزراعى ، ثم كانت النهضة الاجتماعية التى كرست من أجلها الأموال المصادرة من أسرة محمد على ، حيث تم بناء مدرسة ووحدة صحية ووحدة اجتماعية فى كل قرية ، كانت مصر فى ذلك الحين تبنى مدرسة فى كل يوم ، وتبنى وحدات صحية على امتداد ريف مصر كله . ورفع فى ذلك الحين شعار « الاشتراكية ، الديمقراطية ، التعاونية » .

وقد منح ذلك كله عبد الناصر شعبية كبيرة مكنته من أن يستمر فى طريقته الخاصة فى معالجة قضايا الديمقراطية والحريات مستندا إلى هذه الشعبية ، التى ما لبثت أن تضاعفت بصورة لم يكن يتوقعها أحد عندما رفض عبد الناصر حلف بغداد ، وخاض معركة واسعة ضده .

وباختصار .. كان الفلاح يشعر أنه قد تحرر فعلا من ظلم الإقطاعى والعمدة ، ولم يكن مستعدا للاعتقاد بأن حريته قد انتقصت بوجود الثورة ، ولعل هذا هو جوهر الفكرة التى ظل عبد الناصر يتمسك بها طويلا ، والتى احتلت مساحة واسعة من ميثاق العمل الوطنى ، وهى فكرة الديمقراطية الاجتماعية .

كذلك صاحبت هذه الفترة عملية تنوير وطبع ونشر وإصدار كتب ، ثم تلاها نهوض مسرحى وفنى .. الخ . أى أن الثورة أخذت على عاتقها عملية تنوير منضبطة ومحكومة ، أو بالدقة يجرى التحكم فيها من أعلى وبصورة شاملة ومتقنة ، ولعلنا إذا حاولنا أن نقدم وصفا دقيقا لما حدث ، لقلنا إنه **نوع خاص جدا من « الديمقراطية الموجهة »** .. أو إن شئنا الدقة : **عملية تحقيق للأمانى القومية على حساب الليبرالية والديمقراطية الحقة .**

فعندما بدأنا أولى خطواتنا لتشكيل الخلية الأولى « للضباط الأحرار » ، كنا نحلم بمصر وقد تخلصت من الملك ومن الإقطاع ومن الاحتلال ومن الاستغلال ، كنا نحلم بها وهى تتمتع بقدر من العدالة الاجتماعية ، وبمساحة واسعة من الحرية والديمقراطية ، وقد نجح عبد الناصر فى أن يحقق لها كل ما حلمنا به من أجلها ، باستثناء المساحة الواسعة من الديمقراطية ، بل لعله فعل ذلك كله ، محاولا افتعال تناقض بينه وبين الديمقراطية .

ومهما كان تقييمى لموقف عبد الناصر من الديمقراطية إلا أننى لا أنكر ، ولعل أحد لا يستطيع أن ينكر أن الشعب بغالبيته العظمى قد ساند عبد الناصر ومنجزاته ولم يتوقف كثيرا – لفترة معينة على الأقل – عند مسألة الديمقراطية .

ولعل هذا يفسر – لك عزيزى القارىء – صعوبة موقفى وأنا أتمسك بالديمقراطية

فى مواجهة كل الزملاء أعضاء مجلس الثورة ، وصعوبة موقف إخوتى ضباط الفرسان الذين خاضوا معركة الديمقراطية ، وضحوا من أجلها بالكثير ثم اكتشفوا - فيما بعد - أن الجماهير لا تعلق أهمية كبيرة على ما فعلوا ، ولا حتى على ما تمسكوا به .

وما أصعب أن تتمسك بالمبدأ الصحيح ، ثم تكتشف أنه يبتعد بك عن الناس .

ولكن لعل ضباط الفرسان وموقفهم الشجاع دفاعا عن الديمقراطية ، وما قدموه فى سبيلها من تضحيات هو خير رد على هؤلاء الذين يدّعون أن ثورة يوليو كانت بمجملها ضد الديمقراطية . فهاكم رجال عسكريون ، صنعوا ثورة ، وكان بإمكانهم أن يصعدوا فى سلم السلطة ماشاء لهم الصعود ، لكنهم زهدوا فى كل شىء وتمسكوا بالديمقراطية ، وعانوا بسبب ذلك معاناة استمرت طويلا ، وربما استمرت طوال حياتهم .

□ □ □

استطالت جلستى المنفردة ، واستعدت ذكرياتى مع كل هؤلاء الرجال الذين زاملتهم منذ البداية فى طريق صناعة الثورة .

ولعلك - عزيزى القارئ - تمتلك كل الحق فى أن تعرف رؤيتى وتقييمى الشخصى لكل واحد منهم .

.. تقييم أكتبه الآن هادئا مطمئنا إلى أننى فعلت منذ البداية ما أعتقدت أنه صواب ، وما أعتقدت أنه فى صالح الوطن ، وأنهم فعلوا ذات الشىء ، وأن الاختلاف الذى أدى إلى الافتراق إنما نبع من اختلاف الرؤية والموقف والاجتهاد .

لكن أهم ما أريد أن أسجله أولا هو أن مصر كانت حسنة الحظ بهؤلاء الرجال ، فقد كانوا يمتلكون قدرا كافيا من إنكار الذات ، مكنهم من أن يتباعدوا عن أى تفكير فى الانقضاض على بعضهم البعض ، ومن ثم الانقضاض على الثورة ، بل وعلى مصر نفسها .

ولعلنا جميعا ونحن نفكر الآن بهدوء نستعيد حقيقة أن هؤلاء الضباط لم يسيلوا قطرة دم واحدة فى تصادم على السلطة فيما بينهم ، ولنقارن هذا بأنهار الدماء التى أسالها ضباط آخرون وثبوا إلى السلطة فى بلادهم ، ثم بدأوا صراعات دامية عندما أراد كل منهم أن ينفرد بالسلطان والنفوذ .

وحتى عندما وقف رجال الفرسان فى المواجهة مع الآخرين مطالبين بالديمقراطية ، وحتى عندما حاصرتهم قوات المدفعية والمشاة ، وحلقت فوق الجميع مخاطر الصدام بين

الإخوة ، تراجع الجميع ، لا خشية على أنفسهم ، وإنما خشية على مصير الثورة من أن تبلله الدماء ، وعلى مستقبل مصر التى أحببناها جميعا ، ربما بنفس القدر .

□ □ □

والآن هل أتحدث عن إخوة العمل المشترك .. أعضاء مجلس الثورة .

سأحاول قدر طاقتى أن أقدم تقييما للتاريخ ، لا تعبث به الأهواء ، فأنا لم أزل كما كنت لحظة جلوسى المنفرد قبل ذهابى إلى المنفى ، لم أزل لا أحمل لهم إلا كل حب .. واعتزاز .

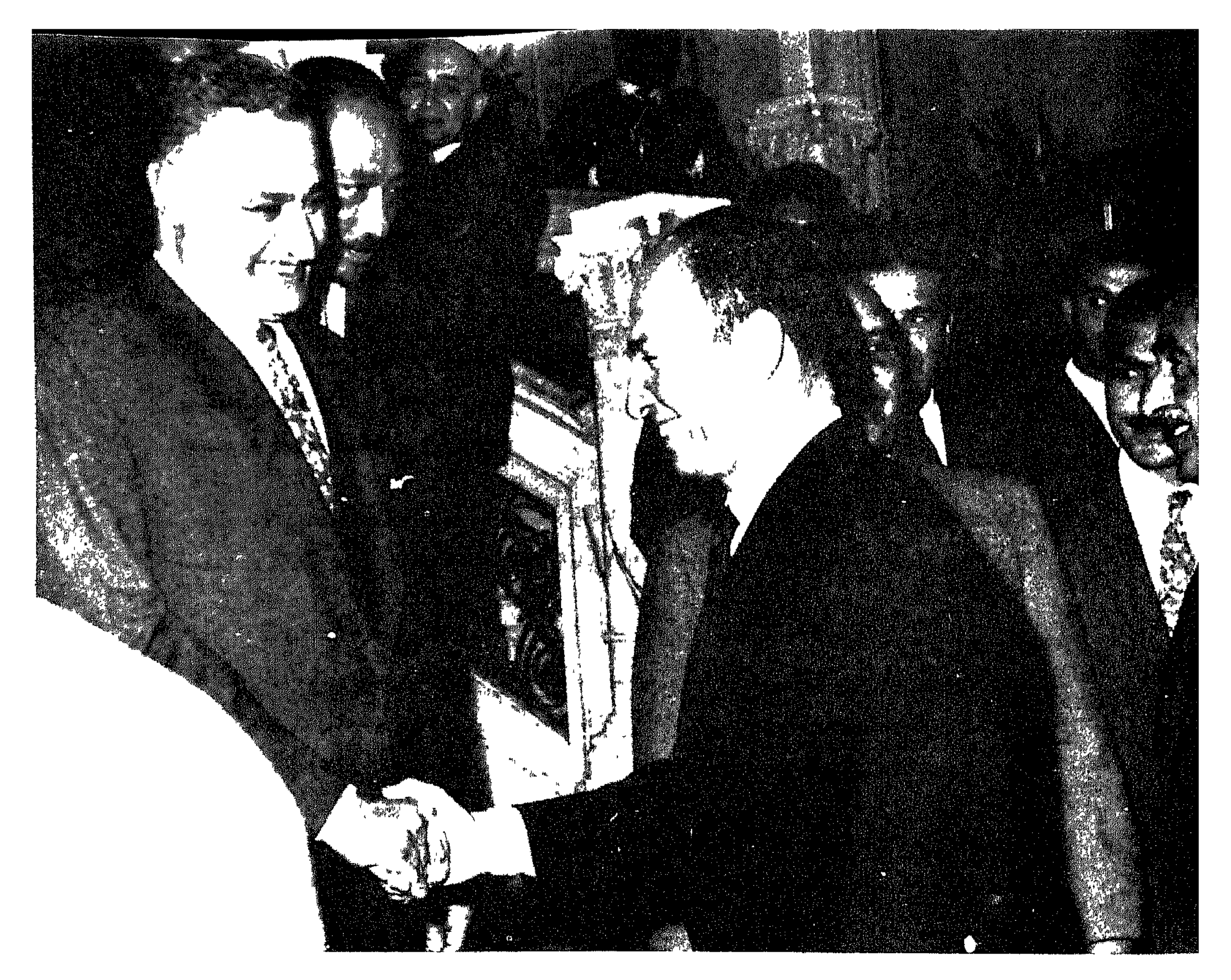
■ ■ ولأبدأ بجمال عبد الناصر ..

منذ اللحظة الأولى أحسست أنه شخصية قيادية ، حتى ونحن شبان صغار كان يفرض على الجميع وضعه القيادى ، وكان رجلا بعيد النظر ، لا يخطو خطوة إلا بعد حساب دقيق ، ليس فقط لتداعياتها ، وإنما أيضا لمستقبل هذه التداعيات .

ولعلى لست بحاجة إلي أن أستعيد أمثلة عديدة تجسد طبيعة وأسلوب هذا الرجل ، لكننى سأورد واقعة واحدة كنموذج .. اغتيل الضابط عبد القادر طه ، وأحسسنا جميعا أن رجال الملك هم الذين فعلوها ، لكنه هو وحده الذى استشعر الخطر المستقبلى ، فإذا كانوا قد فعلوها مع عبدالقادر طه فلماذا لا يفعلونها مع أى منا ؟ وبادر جمال على الفور بالمرور على كل أعضاء « لجنة القيادة » فى بيوتهم ليحذرهم من احتمالات الخطر ، وليرسم مع كل منا وسائل تأمين لتحركاته ، ولحماية منزله . إنه الإحساس بالمسئولية إزاء الآخرين ، وإزاء العمل المشترك ، الذى يجعلك تتقبل فى أعماقك أن يكون صاحبه قائدا .

وفى البداية كان عبد الناصر يرفض فكرة الاشتراكية ، وفى جلسات نقاش طويلة كان يتمسك بفكرة تقول إن الصراع الطبقى هو مجرد قول يستهدف التغطية على صراع آخر حقيقى هو الصراع على السلطة . لكن معركة عبد الناصر ضد إصرارنا على الديمقراطية قادته باتجاه آخر ، نحو استرضاء العمال والفلاحين ، فمضى فى اتجاه الاشتراكية خطوة خطوة .

وكان عبد الناصر قارئا ممتازا سواء قبل الثورة أو بعدها ، وحتى بعد أن أصبح حاكما متعدد المسئوليات كان يولى مسألة المعرفة اهتماما خاصا .



□ مع الرئيس عبد الناصر وأنور السادات .

وكان هناك جهاز خاص مهمته أن يلخص له الكتب الهامة ، وأن يترجم له العديد من الكتب والمجلات والصحف .

وحتى وأنا أستعد للسفر إلى المنفى ، وفيما العلاقة مشحونة بالتوتر برغم محاولات الهدوء التى أبداها كل منا ، طلب منى أن أرسل له كل ما أعتقد أنه مفيد من كتب ومجلات .

ولعل شغفه بالمعرفة هو الذى جعله يهتم بمسألة المعلومات ، وكان عبد الناصر لا يتخذ أى قرار إلا بناء على معلومات ، وربما كان هذا أحد أسباب اهتمامه الشديد بجهاز المخابرات العامة كأحد أجهزة جمع المعلومات ، وكان عبد الناصر يهتم دوما بالمعلومات ، ليس فقط من أجل تحقيق إمكانية اتخاذ قرار صحيح ، **وإنما من أجل التعرف على كل من يتعامل معهم تعرفا وثيقا ودقيقا .**

فعندما كنت أذهب لمقابلته بعد عودتى من المنفى ، كنت أشعر أنه يعرف الكثير عن آرائى ومواقفى واتصالاتى ، وعلمت – بعدها – أنه لدى أية مقابلة كان يطلب كل ما لدى « الجهاز » من معلومات عن الشخص الذى سيقابله ، وتسجيلات آخر مكالماته التليفونية .. الخ ، فكان يجلس وضيفه « مكشوف » تماما أو بالدقة « عار » تماما أمامه ، **ولعله كان يستمتع بذلك كثيرا بحيث تحول الأمر إلى عادة أو رغبة ذاتية بأكثر مما كان مجرد محاولة لفهم الشخص ونوازعه .**

وكان عبد الناصر مستمعا جيدا ، ينصت باهتمام لما تقول دون مقاطعة ، ومن حصيلة استماعه لأكثر من رأى ، واطلاعه على « المعلومات » ، كان يتخذ القرار منفردا .

وكانت علاقته بى حميمة دوما ، فأنا تعاملت معه منذ البداية بوضوح وصراحة وإخلاص ، وكان يقدر ذلك دوما ، وعندما بدأت خلافاتنا فى مجلس قيادة الثورة ، طلبت أكثر من مرة أن أستقيل لكنه قاوم ذلك بشدة ، ودافع عنى أكثر من مرة ، وكان دائم الإلحاح على أعضاء مجلس الثورة أن يفرقوا بين موقفى وموقف محمد نجيب .

ولعل هناك تفسيرات عديدة لإصراره هذا .. ربما لأنه كان يعلم أننى نقطة توازن هامة بما أملكه من نفوذ فى سلاح الفرسان ، وربما لأنه كان يعتقد بأهمية موقفى معه فى مواجهة بعض الزملاء الآخرين خاصة مجموعة الطيران ، وربما لأنه من حيث المبدأ كان ضد إبعاد أى شخص من مجلس الثورة – فى البداية على الأقل – حتى نظهر بمظهر الوحدة أمام الناس ، وقد قاوم بشدة إخراج عبد المنعم أمين ويوسف صديق ، حرصا على مظهر الوحدة .

..كنت دوما أقول له : يا جمال . أنا مختلف معكم ، أنا عايز انتخابات وديمقراطية وأنتم مش عايزين ، وأنا شايف أنكم متجهين نحو علاقة مع أمريكا وأنا أرفض ذلك ، فالأفضل أن أنسحب بدلا من تفاقم المشاكل .

وكان دوما يرد : يا خالد أنت صاحب حق .. ابقى معنا ، ودافع عن وجهة نظرك ، ثم يقول : فيه زملاء من المجلس يرغبون فى أن تخرج فلا تعطيهم هذه الفرصة . ولكن عندما حدثت أزمة مارس وعدت من الاسكندرية وقمت بزيارته فى بيته ، وبدأ التعاتب ، ذكّرته بأنه هو الذى ألح علىّ فى أن أبقى وأن أدافع عن وجهة نظرى ، فقال : بس مش للدرجة دى .

وكان عبد الناصر حريصا على ألا يتسبب فى أية جراح بين أعضاء مجلس قيادة الثورة حتى بعد إبعادهم ، أو مهما اشتد الخلاف معهم .

وأذكر وهو يسلم علىّ عقب مقابلتى الأخيرة له قبل سفرى للمنفى أنه قال : يا خالد ، احنا أصدقاء ، وما حدث يجب ألا ينعكس على الصداقة ، ولهذا أرجوك ألا تهاجمنا وأنت بالخارج . فقلت : بشرط ألا تهاجمونى .. فقال : اتفقنا .

وقد ظلت العلاقة الشخصية حميمة بينى وبينه دوما ، وكان الاحترام متبادلا ، وأذكر أننى بعد عودتى من المنفى أقام عبد الناصر حفل عشاء فى بيته ، وقال : سندعو بعض الزملاء ، ووجدت هناك صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وزكريا وبغدادى .

ومنذ اللحظة الأولى أحسست أن الأمور قد تغيرت كثيرا ..

كنا فى السابق نناديه « ياجمال » فوجدت الجميع ينادونه « ياريس » .. وعندما قام عبد الناصر ليذهب إلى دورة المياه وقف الجميع ، وعندما عاد وقف الجميع حتى جلس ، وفيما بعد أوضح لى صلاح سالم الأمر فقال : عندما أبعد نجيب وتولى عبد الناصر رئاسة مجلس الوزراء وأصبح الرئيس الفعلى للبلاد ، طلب هو بنفسه منا أن نعامله كرئيس أمام الآخرين ، على أن نبقى علاقات الصداقة والتعامل الأخوى فى مقابلاتنا الخاصة ، ومضى صلاح سالم قائلا : لكن ما لبثت الأمور أن استقرت على أن نتعامل معه جميعا على أنه رئيس .

وفى اليوم التالى لحفل العشاء تكلمت معه بالتليفون ، فقلت له : ياريس ، فقال : إيه ريس دى يا خالد ؟ فقلت : والله أنا لقيت كل الأخوة بيقولوا كده .. فقال : بس انت حاجة تانية . ولكن عندما كلمته مرة ثانية وقلت : ياريس ، لم يعترض .

■ ■ والآن انتقل إلى **عبد الحكيم عامر** ، وهو صديق قديم وعزيز أيضا ، **ولعل الخطأ الأول فى حق عامر هو أنه عُين قائدا للجيش ..**

لقد فعلها عبد الناصر لأنهما كانا صديقين حميمين ، فأراد أن يضمن به ولاء القوات المسلحة ، لكن عامر لم يكن رجلا من هذا النوع ، هو « عمدة » طيب القلب يحب أن يقيم علاقات حسنة مع الناس ، وأن يتباسط معهم ، وهو لا يهتم كثيرا بالضبط والربط ، فحياته ذاتها لم تكن منظمة ، فقد كان يسهر كثيرا ويصحو متأخرا .

لقد ظلموه عندما عينوه قائدا للجيش ، فهو شخص جماهيرى ، ولو أنه كان قد عُين نائبا لرئيس الجمهورية وتفرغ مثلا « لهيئة التحرير » لكان قد حقق نجاحات مبهرة ، فهو شخص مرح وطيب وقادر على إقامة علاقات شخصية حميمة .

وآخر ما كان يصلح له هو أن يتولى مسئولية الضبط والربط ، وأن يتابع عمليات قيادة القوات المسلحة البالغة التعقيد والحساسية ، وأن يتابع معها التسليح وتطور الأسلحة والتدريب وما إلى ذلك .

ولعله لم يهتم بهذا كثيرا ، بل غلبت عليه روحه الطيبة و « **شخصية العمدة** » ، فكان سخيا على الضباط ، وكسب حبهم إلى درجة كبيرة ، ولكن النتائج النهائية لم تكن مفيدة لأحد ، لا لمصر ، ولا للجيش ، ولا له هو شخصيا .

لكن عامر بدأ بعد فترة يعتاد على أنه الرجل الثانى فى النظام ، ومن هنا بدأ فى السعى للمزيد من النفوذ فى المؤسسة العسكرية بهدف استخدامها كثقل ضرورى يحدد خطواته المقبلة ، وبدأ يقيم علاقات خاصة مع عدد من الوزراء والكتّاب ، وأصبح البعض منهم معروفا بأنه من رجال المشير ، وقد أثار ذلك حساسيات وتعقيدات كثيرة تفجرت بصورة مفزعة بعد النكسة .

ولعل عامر قد أراد أن ينقل نفوذه من المؤسسة العسكرية إلى المجتمع المدنى من خلال هذه العلاقات ، ولعل هذا يفسر لنا إصراره على أن يتولى مسئولية « لجنة تصفية الإقطاع » رغم أنه لم يكن أبدا يساريا ، ولا من أصحاب هذا الموقف .

■ ■ وبعد ذلك اقترب من صديق آخر .. **صلاح سالم** ، وهو صاحب شخصية ذكية ذكاء فطريا متقدا ، عاطفى إلى درجة كبيرة ، ينتقل بعاطفته من النقيض إلى النقيض بسرعة مثيرة للارتباك ، متفتح ، واقعىّ ، يمتلك موهبة الإقناع بصورة لا يمكن تخيلها .. فهو قادر على أن يقنعك بعشرات الحجج بشىء ما ، وعلى أن يقنعك بنقيضه بحجج أخرى مضادة . ولعلى قد أوردت مثالا لذلك هو واقعة محاكمة حيدر باشا والنحاس باشا .

وكان تقلبه العاطفى يقتاده إلى تقلب سياسى أيضا ، فبعد أن فشلت جهوده فى السودان من أجل الوحدة ، وبعد أن استقل السودان ، قرأ كتابا للينين عن « المسألة الوطنية » ، وعن أهمية حق تقرير المصير للشعوب ، وتأثر جدا بهذا الكتاب إلى درجة أنه فاجأنى بعد عودتى من المنفى وبعد إبعاده هو أيضا واختلافه مع عبد الناصر ، فأجانى قائلا : يا خالد أنا بدأت

اقتنع بكلامك وقربت أبقى شيوعى ، فلما سألته مندهشا : لماذا ؟ حكى لى قصة السودان وكتاب لينين ، وأنه اقتنع أن الضغط على السودانيين من أجل الوحدة كان خطأ ، وأن لينين كان على صواب عندما أكد على أهمية احترام حق تقرير المصير .

والحقيقة أن كل علاقته بالأمر قد وقفت عند حدود قراءته لكتاب واحد .

وقد ظلت عقدة السودان تلاحق صلاح ، وكان دائما وفى كل جلساته يؤكد أنه حقق كل ما هو مطلوب منه لكن الدولة لم تسانده ، بل وإن بعض رجالها كانوا يعملون ضده .

وقد أكد لى أكثر من مرة أنه أول من فتح موضوع شراء الأسلحة مع « شواين لاى » الذى نصحه بأن يناقش الأمر مع السوفييت .

.. وباختصار كان صلاح سالم - رحمه الله - رجل علاقات عامة ناجحا ، ولهذا فقد كان اختياره لمسئولية الإعلام اختيارا موفقا .

■ ■ وآتى إلى **جمال سالم** ، وكان شخصية مسيطرة ، يفرض نفسه ووجوده على الآخرين ، ولعلنا نذكر كيف فرض نفسه عضوا « بلجنة القيادة » بأن حضر مع بغدادى دون اتفاق مع أحد .

وكان رجلا حادا كالسيف ، ونشيطا وفاعلا ، وذكيا . فعندما تولى مسئولية الاقتصاد ، درس وتمكن ولعب دورا فاعلا ، لكنه كان من دعاة المدرسة الرأسمالية ، لهذا ما لبث أن اختلف مع الاتجاه السائد عندما بدأت الريح تتجه نحو تأسيس المؤسسة الاقتصادية والمشاريع العامة .

وكان جمال سالم ضد الديمقراطية بوضوح ، كان عسكريا متشددا ، وكان جافا ، وأكسبه ذلك كله موقفا ضد الديمقراطية ، ونزوعا نحو التحكم ، واعتدادا زائدا عن الحد بالذات . وفى بداية الأمر كان يتصادم كثيرا مع عبد الناصر ، ثم أقنعته الأحداث بأن يتفاهم معه . ويبقى بعد ذلك أنه كثيرا ما كان يفقد أعصابه لدى أى نقاش ، وسرعان ما يثور ويتحول إلى الشتائم ، فإذا لم توقفه ، تمادى إلى حدود غير معقولة .

■ ■ وهناك أيضا **يوسف صديق** ، والحقيقة أن علاقتى به قبل الثورة كانت محدودة للغاية ، وهو رجل شجاع ، اكتسب بشجاعته واستقامته احترام الجميع ، وهو صاحب الدور البارز ليلة الثورة ، وهو فوق كونه عسكريا شديد المراس كان أديبا وخطيبا وشاعرا ، ويمتلك روح فارس من فرسان العصور الوسطى ، ولعل روح الفارس هذه هى

التى دفعته إلى التصادم المبكر مع مجلس الثورة ، فكان يطرح أفكارا حادة ، وحاسمة وقاطعة كحد السيف ولا يقبل أى مساومة حولها .

وكان ينزل إلى وحدات الجيش ليعقد اجتماعات يتحدث فيها وبذات الحدة والحسم معلنا خلافاته مع مجلس الثورة مما أثار كل أعضاء المجلس ضده .

ولعل هذه المسئولية تقع على عاتق منظمة « حدتو » ، فقد كان عضوا بها ، ولعل بعض مسئوليها تصوروا أن هذا هو الطريق الصائب ، وحتى لو لم يكن هذا موقفهم ، فقد كان من الطبيعى أن يحاولوا وبشىء من الهدوء المتعقل والمتطلع إلى المستقبل حماية موقعه فى مجلس الثورة لفترة أطول .

وعندما تحتم أن يخرج عبد المنعم أمين من المجلس بعد أحداث المدفعية ، كانت الفرصة سانحة لإبعاد يوسف صديق بحجة التوازن . وقد رفض يوسف صديق بإباء يليق بفروسيته المعهودة قبول أى منصب عُرض عليه .

■ ■ أما **زكريا محيى الدين** فهو رجل متزن ، هادىء مرتب ، سواء فى حياته الخاصة أو العامة ، منظم فى بيته وفى حياته الخاصة وفى عمله ، إنه النموذج المطلوب لرجل الأمن الناجح ، وزكريا لا يتخذ موقفا ولا يبدى رأيا إلا إذا جمع معلومات وبيانات من مختلف الجهات ، ومرة أخرى تتفق هذه الميزة مع متطلبات عمل رجل الأمن .

وهو رجل كفء ، ونزيه ، ولا يجامل أحدا ، وقد حقق نجاحات كبيرة فى كل عمل تولاه ، ولكنه تصادم مع عبد الناصر بعد أن أصبح رئيسا للوزراء ، لأنه كان من أنصار المشروع الخاص ، ومن أصحاب الرأى القائل بأن الطبقة الوسطى هى الطبقة الأكثر أهمية والأكثر قدرة على البناء ، ولهذا رفض أن يلقى العبء على الطبقة الوسطى ، واختلف مع عبد الناصر .

ويمكن القول بأن زكريا هو ممثل الطبقة الوسطى فى هذه المجموعة .

وفى البداية كان زكريا ضد الديمقراطية ، لكنه عاد وبعد التجربة الطويلة إلى الاقتناع بالديمقراطية . وزكريا رجل لا يعرف المحسوبية ، ولا يقبلها ، وهو رجل إذا وعد يفى بوعده مهما كان الثمن .

■ ■ أما **عبد اللطيف بغدادى** فهو صاحب عقلية سياسية مرتبة ، ورؤية واضحة ، وكان منذ البداية ضد عودة الحياة النيابية قائلا : نحن ثوار ولن نستطيع لا احتمال

ولا مواجهة برلمان منتخب من الشعب . ويمتلك بغدادى مقدرة تنظيمية وإدارية وتنفيذية فائقة ، وقد تولى مسئولية التخطيط فاستطاع بعقله المرتب أن يضع لمصر أول خطة ، وأن يقيم لمصر عديدا من المشروعات الهامة .

وقد أدهشنى بغدادى عندما دافع عنى عام ١٩٥٤ ، ورفض بشدة مسألة إبعادى ، قائلا : إن خالد لم يخف عنا موقفه المخالف ، وقد تعامل معنا بشرف ، ولم يتآمر ضدنا ولم يخف عنا شيئا ، بل لقد طلب الانسحاب ونحن أجبرناه على البقاء ، فلماذا نبعده الآن ؟ وطلب أن أبتعد قليلا حتى تهدأ العاصفة ثم أعود .

وبغدادى رجل معتد بنفسه ، ولهذا فعندما كان رئيسا لمجلس الأمة وأثيرت مسألة تعيين بعض أعضاء مجلس الأمة فى مديرية التحرير وتدخل عبد الناصر ليفرض رأيا مخالفا لرأيه ، استقال بغدادى .

وكانت هذه النزعة دائمة عند بغدادى ، ولعلنا نذكر أنه عارض منذ البداية مسألة تفويض عبد الناصر فى اتخاذ قرارات نيابة عن مجلس قيادة الثورة فى حالة غياب المجلس .

وقد ناقشنى طويلا فى ذلك وكان ردى عليه : أنت يا عبد اللطيف ترفض الديمقراطية ، وترفض الانتخابات ، وترى أن تسعة أشخاص يجب أن ينوبوا عن كل الشعب بملايينه الثلاثة والعشرين ، فلماذا لا ينوب شخص واحد عن تسعة أشخاص ؟ وقلت له : لقد قبلت وتحمست للخطأ الأكبر ، فلماذا لا تقبل تداعياته ؟ لكنه ظل متمسكا برأيه فى الحالين .

■ وانتقل بعد ذلك إلى **كمال الدين حسين** ، وهو كتلة من الإخلاص للوطن وللإسلام ، لكن إسلامه إسلام غير متطرف ولا يقبل بمقولات جماعات الإسلام السياسى ، وهو شخصية وطنية بمعنى الكلمة ، ويمتلك فاعلية كبيرة فى العمل ، وقد أتى زمن كان يدير فيه أعمالا متعددة وقد أدارها بكفاءة ونجاح ، ولقد يختلف معك كمال الدين حسين اختلافا حادا ، لكنه يدير خلافاته باحترام ومودة ، وهو يتناسى هذه الخلافات فورا ، إذا ما أحس أن الأمر قد يمس قضية الوطن .

■ أما **حسين الشافعى** ، فهو رجل فاضل بحق ، وعلى خلق قويم ، وهو رجل مستقيم ، ولقد لعب دورا هاما ليلة الثورة .. بل هو فارس ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . ولعل الأحداث وتداعياتها قد نقلت عنه صورة غير صحيحة فى أعين الكثيرين ممن

لا يعرفونه ، فهو رجل شجاع ، هادىء ، إذا قرر شيئا فعله بنجاح ، ولولاه لما استطعنا فى ليلة الثورة أن نحرك كل هذا القدر من سلاح الفرسان ..

فأنا كنت قائد ثانى كتيبة ، أما هو فقد كان قائد ثانى الآلاى المدرع ، وكان وجوده فى السلاح ليلة الثورة قوة دفع كبيرة جدا لنا جميعا .

وفوق هذا فهو رجل حاسم حازم ، أحس أن حسن حشمت قد يخيف البعض ويمنع تحركهم فاعتقله ، وهذه شجاعة لا شك فيها .

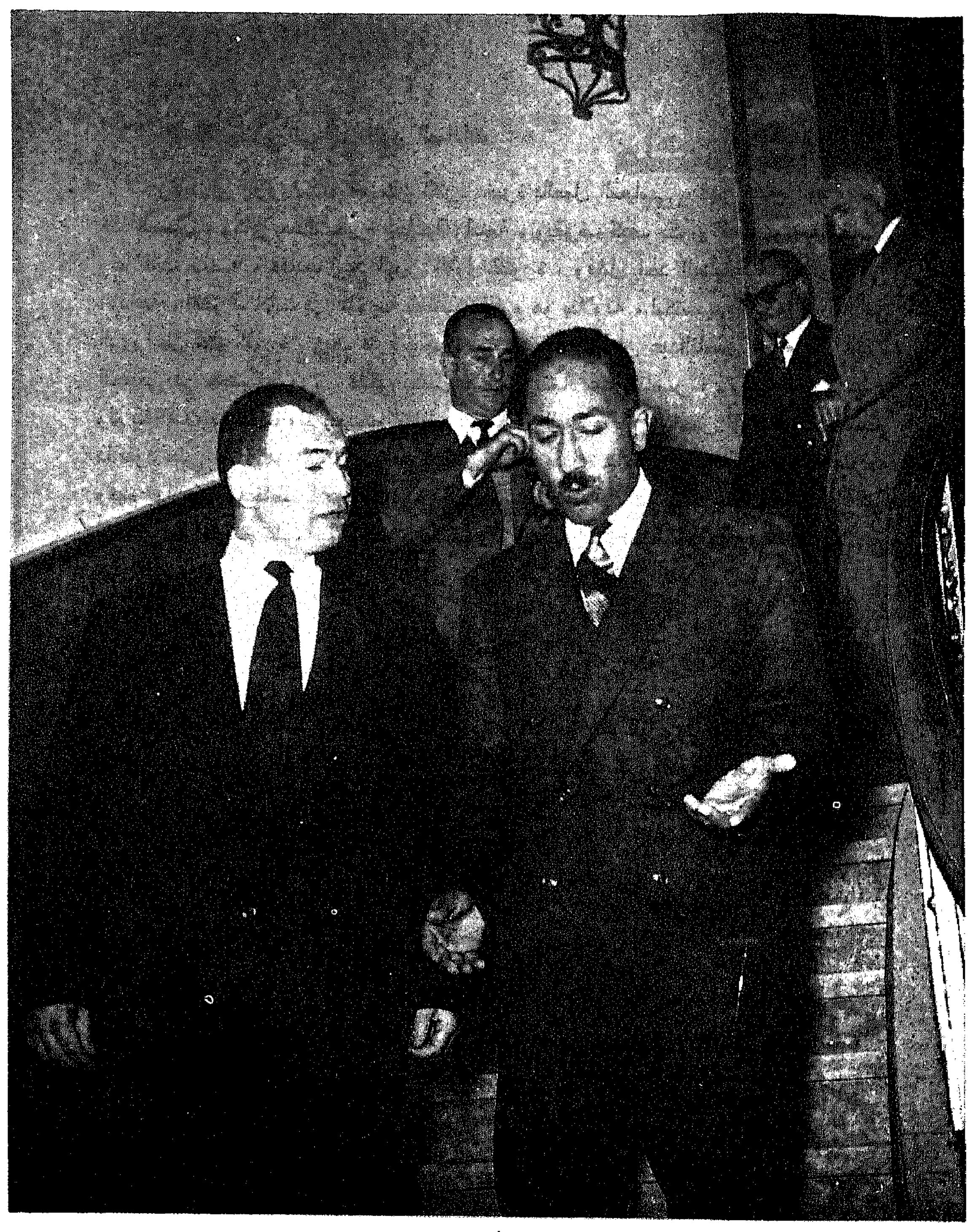
وحسين الشافعى رجل مرتب الفكر ، هادىء التفكير ، قادر على الفعل الحاسم عندما يريد .

■ ■ أما **حسن إبراهيم** فيمتاز بالشجاعة والقدرة على المواجهة ، والصراحة الشديدة ، وكان ينتقد الخطأ فى مواجهة أصحابه ، وكثيرا ما أنصب انتقاده على عبد الناصر شخصيا ، وكان حريصا حرصا شديدا على وحدة مجلس الثورة حتى على حساب الموقف السياسى .

■ ■ وهناك كذلك **عبد المنعم أمين** ، ولقد انضم إلينا فى وقت متأخر ، فقد كان أهم ضابطين لنا فى المدفعية : كمال الدين حسين وصلاح سالم يعملان بعيدا عن القاهرة ، وفيما نحن نستعد للثورة ، كان لابد من ضابط يضمن لنا تحرك بعض قوات المدفعية ، وفوتح عبد المنعم أمين فى الانضمام إلينا قبل الثورة بأيام ووافق وقاد تحرك المدفعية ليلة الثورة ، وكان من الطبيعى أن ينضم إلى مجلس قيادة الثورة .

لكننا لاحظنا على الفور علاقاته الوثيقة بالأمريكان ، كما ثارت أقاويل عديدة عن ثروة زوجته التى كسبت كثيرا من المضاربة فى البورصة ، وكان يعيش عيشة مترفة فى شقة فخمة بالجيزة ، وكان لا يخفى موقفه المعادى للعمال ، مؤكدا ضرورة أن نفرض دكتاتورية صناعية لصالح رأس المال ، وفى سبيل ذلك لابد من تجريد العمال من أى حقوق حتى يمكن تشجيع الاستثمار .

وعندما حدثت محاولة انقلاب المدفعية التى تحدثنا عنها سابقا تناوله العديد من الضباط فى التحقيقات بالتعليق ، وتحدثوا طويلا عن مسلكه ، وموقفه ، بحيث أصبح من الصعب استمراره فى مجلس الثورة ، فُطلب إليه أن يستقيل وتقرر تعيينه سفيرا ، وانتهز بعض الزملاء فرصة إبعاد عبد المنعم أمين ليبعدوا معه يوسف صديق .



□ مع أنور السادات .

■ ■ والآن آتى إلى أنور السادات ..

ولابد أن أقرر ابتداء أنه كان أكثرنا خبرة بالعمل السياسى ، فهو أقدمنا جميعا فى هذا المجال ، وكان يمتلك خبرة سياسية واسعة ، ويعرف كيف يكوّن لنفسه وضعا خاصا وعلاقات خاصة ، فعندما أعد البيان الأول للثورة ، وفشل أحد الضباط فى تلاوته فى الإذاعة ، تقدم السادات فى اللحظة المناسبة ليقوم هو بتلاوته ، ليكتسب بذلك مزية أنه هو الذى أعلن قيام الثورة . وبعد فترة وجيزة اكتشف السادات أن عبدالناصر هو مركز الثقل الحقيقى فى مجلس الثورة ، فألقى بكامل ثقله فى اتجاه عبد الناصر ، ووقف معه دائما ، ولم يختلف معه أبدا ، ولم يتصادم أبدا مع أى مركز للقوة ، فما أن أحس أن عامر قد أصبح ذا نفوذ حتى هادنه هو الآخر . وهو شخص يمتلك مقدرة هامة ، وهى التوجه للجماهير ، وفهم نوازعها ومخاطبتها بما تريد .. وكان فى كل تعاملاته حريصا على مخاطبة الناس أو حتى مواجهتهم على أساس إدراكه لحقيقة نوازعهم الشخصية ، ولهذا صمد طويلا مع عبد الناصر ، وبقى حتى صار خليفته رغم أنه لم يكن أبدا لا الأقرب ، ولا الأهم .

□ □ □

.. استطالت جلستى المنفردة بينما زوجتى تغالب دموعها وهى تعد حقيبتى ، وهل توجد دموع تكفى لزوجة تعد حقيبة لزوج سيسافر ليغيب إلى أمد غير معلوم ؟

.. وأتى موعد الرحيل .

٢٥ المنفى

* قبض على ضباط الفرسان .. ففقدت منصب السفير .
* حاول محمود أبو الفتح .. تجنيدى ضد الثورة .
* وجهت رسالة تأييد لعبد الناصر فأحالنى على المعاش .
* وعدت إلى مصر ليقول لى عبد الناصر : واحدة بواحدة ، ونبقى خالصين .

لم يعرف أحد أننى مسافر لأبقى دون عودة قريبة إلا زوجتى ، ولعل احتفاظها بالسر قد ضاعف من آلامها ، فما أصعب أن تنفرد بأحزانك دونما قدرة على اقتسامها مع أحد .

حتى أبى وأمى ، حتى سكرتيرى الخاص عبد العزيز البدرى (وكيل وزارة الانتاج الحربى فيما بعد) ، لم يعرفوا سوى أننى مسافر على رأس بعثة مجلس الانتاج القومى .

أربعة أيام مضت على مقابلتى مع عبد الناصر ، رُتب الأمر ، تسلمت جواز سفر دبلوماسيا ، أمام المهنة كتبوا : « رئيس بعثة مجلس تنمية الانتاج القومى » ..

كنت قد تحدثت مع عبد الناصر حول مسألة : ماذا سأفعل بالخارج ؟ ..

سألنى هو : أين تريد أن تستقر ؟ قلت : باريس ، فقال : لأ ، باريس فيها حزب شيوعى قوى وحزب اشتراكى ويسار ، وسوف تنغمس فى هذا كله وأنا لا أريد ذلك . فقلت : روما ، فقال : أوحش .. أحسن تستقر فى سويسرا لفترة قصيرة ، أسبوع أو شهر على الأكثر ، وتفاهمنا على أننى سأبقى لفترة وجيزة ثم أعين سفيرا ، وعرفت أنهم ينوون تعييني سفيرا فى الفاتيكان .

فى المطار كانت زوجتى يغلفها حزن قاتم وعميق ، سلمت علىّ بحرارة دفعت أحد الواقفين إلى الهمس فى أذن جاره : خالد مش راجع ، طريقة زوجته فى السلام توحى بهذا ، التقطت أذنى هذه الهمسة ، وعدت لأتابع ملامح الحزن على وجه زوجتى ، وعرفت أن الرجل على حق .

وعندما ارتفعت الطائرة ، كانت النفس مليئة بنوازع مختلفة .. الألم ، الفراق ، فراق الأسرة ، والوطن والزملاء ، ورجال سلاح الفرسان ، ابنى وابنتى ، أبى وأمى ، أخى عمرو وماذا سيفعلون به ، الوطن ومصيره ، الثورة ومسارها ، ووسط هذه المشاعر الأليمة أحسست أن هما ثقيلا ينزاح عن كاهلى ، فما أسوأ أن تكون فى موقع المسئولية أمام الوطن والناس ، ولا تكون قادرا على تقديم ما تعتقد أن الناس والوطن بحاجة إليه ، الآن أخذوا المنصب ، والمسئولية معا ، وانزاح عن كاهلى هم ثقيل .

سافرت على رأس بعثة مجلس الانتاج إلى باريس حيث استقبلنا بحفاوة تقليدية ، وزرنا مصانع الحديد والصلب وعددا من المشاريع الأخرى .

وفى باريس كان هناك ثروت عكاشة ، وكان وقتها ملحقا عسكريا ، كان لم يزل غاضبا على عبد الناصر وعلى الزملاء ، متألما من الطريقة التى عاملوه بها (لكنه بعد فترة نسى ذلك كله ..) .

استقبلنى ثروت بترحاب يليق بصداقتنا الطويلة الأمد واستضافنى فى بيته ، تحدثنا فى حرية ، ولكن بقدر من التحفظ .

وانتهت زيارتى إلى باريس واتجهت إلى روما فى زيارة مماثلة ، وهناك كان أيضا الملحق العسكرى أحمد حسن الفقى ، لم تكن علاقتنا وطيدة ، لكنه أصر على أن يستضيفنى فى بيته ، وأدركت أنه قد تلقى تعليمات بأن أبقى تحت بصره لأطول فترة ممكنة خلال إقامتى فى ايطاليا .

وأثناء رحلة بالقطار فى ايطاليا قرأ لى المترجم المرافق للبعثة خبرا منشورا فى الصحف الايطالية . الخبر يقول : كانت هناك محاولة لعمل انقلاب فى سلاح الفرسان ، قبض على عدد من الضباط .. وذكرت الجريدة اسم : أحمد المصرى .

تراكمت أحزان كثيرة فى داخلى .. رجال الفرسان الآن يطاردون ، يدفعون الثمن الغالى عن الديمقراطية ، تذكرت عبارة قديمة قرأتها لولى الدين يكن تقول : « **مساكين أنصار الحرية ، يدافعون عنها فيفتقدون هم حريتهم** » . **وعندما وصلت إلى روما اتصلت بزكريا محيى الدين .. ومن بعيد أتى صوته المحايد والمتحفظ دوما وأجاب : أولادك حاولوا يعملوا حركة ومسكناهم ، ومضى مكملا : دلوقت أنت تروح سويسرا ، وطبعا مش ممكن موضوع تعيينك سفير بعد اللى حصل ، فأنت صاحب فكرة الديمقراطية ، وأنت المسئول عن هذه الأفكار ، ومش ممكن تعيين حد من الفرسان سفيرا الآن .**

وقلت : يعنى المطلوب أن أسجن فى سويسرا ؟ فقال : لأ ، تقدر تسافر فرنسا يوم أو اثنين كل فترة لكن تستقر فى سويسرا .

وقلت : طيب ، إزاى حاعيش فى سويسرا ؟ فقال : اتصل بعمر الجمال (الملحق الجوى) وسوف يصرف لك بدل سفر ٦ جنيه يوميا ، وسوف نحول لك مرتبك إلى سويسرا .

.. وهكذا .. فالهموم لا تأتى فرادى .

وفى مطار نيس ، كانت أول رحلة لى منفردا ، ودون مرافقين ، وبروتوكول ، تركت الوفد ، هم عادوا إلى القاهرة .. وأنا إلى المنفى .

ولم أكن معتادا على السفر ، ولا على نظام المطارات ، وفقدت طائرتى ، وبقيت فى نيس ليلة حزينة ، واتصلت بعمر الجمال الذى انتظرنى فى الغد .

سلمنى الجمال بدل سفر لمدة عشرين يوما ، وتفاهمت معه على أن أسافر إلى لوزان ، وكانت لوزان بالنسبة لى مدينة ميتة ، فبعد الضجيج والحياة المتخمة بالأحداث ، والحركة والانفعالات ، والاجتماعات والمسئوليات ، آتى إلى مدينة لا أعرف فيها أحدا ، هادئة هدوءا مروعا ، تشعر فيها كأنك فى وحدة خانقة ، وما أن تأتى أول خيوط الليل حتى تخلو الشوارع من المارة .. ينامون مبكرا وتنام معهم مدينتهم .

وتحدثت تليفونيا مع عمر الجمال : يا عمر أنا متضايق جدا ، فقال : تعالى إلى برن .. ومن برن إلى جنيف . وبينما كنت أبحث عن سكن ملائم لى ولزوجتى قابلت صديقا مصريا هو محمود فهمى ، وكان صاحب مصنع سجائر ، وقال : أنا لدىّ شقة فى جنيف ولا أحضر إليها إلا فى الصيف ، استعملها ، وعندما أحضر أقيم معكم . واتصلت بزوجتى : لقد وجدت سكنا ، تعالى ، وكان ذلك فى شهر يونيو . ولقد تسببت لمحمود فهمى فى مشكلة بسيطة ، فقد طردونى من الشقة ، وخسر الرجل شقة جميلة بإيجار معتدل .

زوجتى حضرت ومعها أمين وبوسى ، لكن أولادنا غير أولادهم ، أولادهم لا يرفعون صوتهم ، أما أمين فقد أتى من مصر ليجد نفسه محبوسا فى شقة صغيرة ، ولا أطفال يلعب معهم ، فكان يخرج إلى البلكونة ويصيح مقلدا محمد نجيب : « إخوانى » ، ثم يلقى بلعبه إلى الحديقة ، وباختصار انتهى الأمر بطردنا من الشقة ، وأفهمنى المصريون هناك أنه فى حالة تكرار ذلك فسوف يكون من الصعب علىّ استئجار شقة أخرى ، حيث سيتم إبلاغ اتحاد الملاّك باسمى ويرفض الجميع التعامل معى ، وعاد أمين إلى مصر ..

والحقيقة أن أبى كان فى أمس الحاجة إليه ، أنا فى المنفى ، وأخى عمرو فى المعتقل ، كانت الضربة قاسية ، وكان بحاجة إلى أمين معه ليخفف عنه آلام هذا الفراق الأليم .

ولقد تأثر أبى كثيرا بهذه المحنة ، واعتبرها معيارا لعلاقته بالآخرين ، فكل من لم

يسأل عنه فى هذه الفترة من الأقارب أو الأصدقاء قاطعه طوال حياته ، ولم يتنازل عن هذا الموقف حتى آخر يوم فى حياته .

والحقيقة أن الوضع فى أسرتنا كان محرجا ، فأختاى متزوجتان من شقيقين لزكريا ، وزكريا فى نهاية الأمر ابن عمى ، ووجد الكثيرون من الأسرة أنفسهم فى حرج بين من بقى فى الحكم وازداد سلطة ، وبين من يعيش فى المنفى .

وعندما جاءت زوجتى أبلغتنى أنها قد واجهتها بعض العراقيل فى ترتيبات السفر ، وكانت قد باعت سيارتنا ، وطلبت تحويل ثمنها للخارج ، ورفض زكريا كعادته أن يقدم مجاملة قد يشتم منها أنه يجامل أقاربه ، واتصلت زوجتى بعبد الناصر الذى سهّل لها كل شىء .

وبعد أن سافر أمين للقاهرة ، أدخلنا بوسى إلى المستشفى ، وبقينا وحدنا ، وأصبحت مشكلتنا هى كيف نتغلب على الوقت ، والفراغ والملل .

بدأنا أنا وزوجتى ندرس اللغة الفرنسية ، وبدأت ألتقى ببعض المصريين المقيمين فى جنيف ومنهم محمد محمود جلال ، وعبدالفتاح الطويل ، وأحمد عبدالغفار ، ومحمود الوكيل ، كنا نجلس على أحد المقاهى نتحدث فى السياسة وفى أحوال مصر .

.. وكان يجلس معنا أحيانا محمود أبو الفتح .

وبعد توقيع « اتفاقية جمال – ناتنج » بالأحرف الأولى ، سألنى أبو الفتح : أنت موافق على الاتفاقية ؟ فقلت : لأ .

وبدأت مناقشة ضد الاتفاقية لم أتوقع أنها مجرد بداية لمحاولة نصب شرك لى كى أتعاون معه .

انتهت المناقشة بشكل عادى ، وغاب محمود أبو الفتح ليعود لمقابلتى بعد حوالى شهر ، وفى هذه المقابلة تحدث بحماس عن ضرورة فعل شىء لإنقاذ مصر من براثن حكم عبد الناصر ، وتحدث عن دورى ، وحاول إثارتى ، وكيف أننى مبعد ، وكيف أن علىّ واجب إزاء الوطن ، وأخيرا وصل إلى غايته .. ستكون هناك محطة إذاعة موجهة إلى مصر ، ومطلوب منى أن أتحدث فيها بشكل مستمر ، وأن أكون شريكا فى العملية كلها .

وأخطأ أبو الفتح الخطأ القاتل عندما حاول إغرائى بالمال ، فقال : نحن نعلم

أنك تتقاضى معاشا وبدل سفر ، وطبعا سوف يقطعون ذلك كله ، ولهذا نحن على استعداد أن نسلم لك مقدما ما يساوى ما ستتقاضاه لمدة عشر سنوات .

ولم ينس محمود أبو الفتح أن يقدم شروطه بعد أن قدم الإغراء ، فقال وكأنه يتحدث بشكل عشوائى وبلا تخطيط مسبق : وطبعا ، بلاش حكاية الاشتراكية واليسار والكلام ده .

كانت عملية الرفض تتراكم فى داخلى منذ اللحظة الأولى ، وكلما استمر فى حديثه ازددت رفضا ، فأنا لم أكن أبدا ضد ثورة أسهمت فى صناعتها ، وعشت أجمل سنوات حياتى أحلم بها وأعمل من أجلها ، كما أننى لم أكن من الصنف الذى يمكن إغراؤه ، فلو كان ممكنا إغرائى ، لأغرانى الموقع الهام فى قمة السلطة ولمنعنى من الإصرار على التمسك بما أؤمن به .

رفضت .. وانتهت علاقتى بمحمود أبو الفتح .

□ □ □

وعندما أستعيد ذكريات جنيف ، فلابد أن أتذكر شابا مصريا ممتازا هو حلمى إبراهيم وزوجته الدكتورة أمينة الحفنى ، وقد تعارفا علينا وزارانا فى بيتنا ، وخففا كثيرا من وحدتنا أنا وزوجتى .

وذات يوم جاءنى حلمى ومعه شاب عراقى اسمه الدكتور جواد (كان عضوا فى الجناح اليسارى للحزب الوطنى الديمقراطى العراقى ، وأصبح فيما بعد وزيرا لخارجية عبدالكريم قاسم) ..

كان الاثنان منشغلين بوضعى فى جنيف ، ولاحظا حالة الملل التى أمر بها ، وقدما لى عونا لن أنساه لهما ، وقد تمثل العون أو الإنقاذ فى شكل نصيحة تقبلتها بامتنان ، ولم أزل ممتنا لهما حتى الآن . اقترحا علّى أن أنظم وقتى بشكل أفضل ، وأن أخصص عدة ساعات منتظمة وثابتة لقراءة منهجية مخططة ، ولكتابة مذكراتى .

وكتبت الكراسة التى سجلت فيها المعلومات التى اعتمدت عليها فى كتابة هذه المذكرات ، ثم منحت كثيرا من وقتى للقراءة .

حصل لى حلمى على كارنيه لمكتبة الأمم المتحدة ، وبدأت نظاما ثابتا وصارما ، فى الصباح رياضة ، ثم فى الساعة العاشرة أكون فى المكتبة حتى الساعة الواحدة والنصف ،

وهناك قرأت كثيرا فى الفلسفة والتاريخ والسياسة والاقتصاد ، وبدأت أشعر أن الوقت ثمين ومفيد ، وهكذا كانت فترة جنيف مرحلة هامة من مراحل تكوينى الفكرى .

ومع ذلك يبقى هناك الحنين للوطن والأهل والزملاء ، يبقى الأمل المتجدد فى كل يوم فى أن أعود لمصر .

والحقيقة أن أكبر ما واجهنا من مشكلات أنا وزوجتى ، هو أننا لم نكن نعرف لبقائنا أمدا ، ولا لعودتنا للوطن موعدا ، لو كنا نعرف هذا الموعد فربما دبرنا أمورنا بشكل مختلف .

واقترب الصيف ، وكان الحنين للأسرة قد تراكم بحيث أصبح عبئا نفسيا ووجدانيا ، واستأجرت فيلا كان إيجارها رخيصا ، وأتت أسرتى كاملة على فوجين ، أبى وأمى وإخوتى وازواجهن .. وقضينا معا وقتا ممتعا نسينا فيه - إلى حد ما - ألم الغربة ، وعذاب الافتراق ، واستنشقت عبرهم عبير الوطن ومذاقه الذى لا يدرك قيمته إلا من عانى آلام المنفى عن وطن يحبه .

□ □ □

وفى مصر .. كانت الأمور تمضى فى اتجاه جديد ، عبد الناصر يخوض معركته ضد حلف بغداد ويكتسب مكانة دولية هامة ، وكانت هناك حادثة غزة حيث اعتدى الإسرائيليون على جنودنا فى قطاع غزة ، وشعر عبد الناصر أنه مقبل على معركة ليست سهلة مع إسرائيل ، والصدام بيننا وبين الاستعمار يتصاعد ويستمر ويتواصل ، ثم يكون مؤتمر باندونج الذى يحدث تغييرا حاسما فى توجه السياسة المصرية .

طوال هذه المرحلة كنت أتابع ما يجرى على أرض الوطن خطوة ، خطوة ، وأشعر أن مساحة الخلاف بينى وبين عبد الناصر تضيق ، وأن حدة الاختلاف تخف .

وفى هذه الأثناء زار جنيف عديد من الزملاء : كمال الدين حسين ، حسين الشافعى ، حسن إبراهيم ، لطفى واكد ، ومجدى حسنين .. ومع لقاءاتهم الحارة ودفء الصداقة القديمة المتجددة شعرت بانتعاش ونشوة ، فقط مقابلة كمال الدين حسين كانت جافة بعض الشىء ، لكننى لم أشعر - رغم ذلك - إزاءه بأى عتاب .

ومع حسن إبراهيم دار حوار طويل حول الأوضاع السياسية فى مصر ، وكيف أنه بعد حادثة غزة حاول عبد الناصر الحصول على سلاح كاف من أمريكا دون جدوى ، وكيف أنه قادم إلى أوروبا بحثا عن موردين للسلاح .

وقبل هذه الفترة بزمن قصير وقعت حادثة المنشية ، ونجا جمال من محاولة اغتياله ، ووجدت نفسى مندفعا لمحادثته تليفونيا لأهنئه ولم أجده ، فأرسلت له برقية عن طريق حقيبة الملحق العسكرى لأهنئه بالنجاة ، وتلقيت منه عن ذات الطريق برقية شكر تتسم بالعاطفة .

ثم كانت صفقة الأسلحة التشيكية ، والغريب أن بعض المحللين تصور أننى الذى رتبت هذه الصفقة ، والحقيقة أننى لم تكن لى علاقة بهذا الأمر ، وقد أبلغنى صلاح سالم فيما بعد ، أنه هو الذى اقترح على عبد الناصر مفاتحة « شواين لاى » فى شراء أسلحة منهم ، ولكن عبد الناصر قال له إنه لا يعتقد أنهم يبيعون سلاحا إلا للدول الشيوعية ، لكن صلاح قال له : فلنجرب ولن نخسر شيئا .. ووفق رواية صلاح سالم فإنه فاتح « شواين لاى » فى الأمر ، لكن « شواين لاى » قال له : هذا الأمر لابد من مناقشته مع السوفييت ، ووعد بمفاتحة السوفييت فى الأمر ، وبعدها بفترة اتصل السفير السوفيتي فى القاهرة بالمسئولين وقال لهم : رسالتكم التي أبلغت « لشواين لاى » وصلتنا ونحن جاهزون للتفاهم .

وبدأ التفاهم الذى انتهى بصفقة الأسلحة التشيكية .

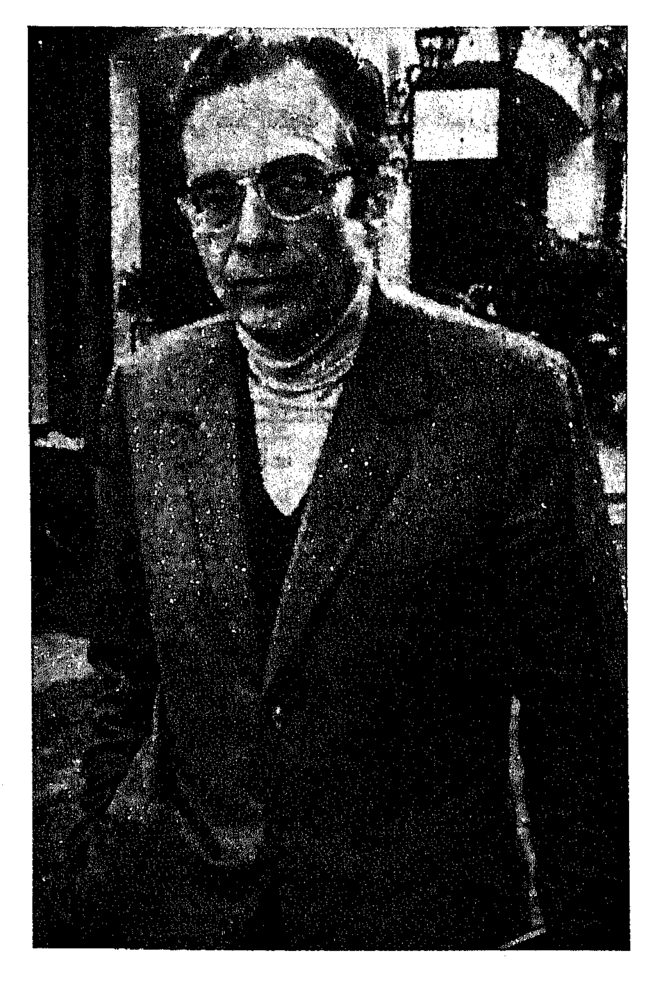
والغريب أنه فى هذه الفترة بالذات .. كتب السادات مقالا يهاجمنى فيه ، ويصفنى بأننى « الصاغ الأحمر » ، ولست أدرى ما الذى دفع السادات إلى كتابة هذا المقال ، هل هى محاولة للتوازن ؟ أم هى محاولة لاستدراجى إلى معركة ضد النظام فى وقت أصبح فيه استمرارى فى المنفى لا مبرر له .

المهم نشر السادات مقاله فى « الجمهورية » معلنا أنه بداية لسلسلة من المقالات ، وفى ذات اليوم اتصل زكريا بى فى جنيف ورجانى ألا أستفز أو أرد على مقال السادات ، وكان يتصور أننى قرأته ، والحقيقة أننى لم أكن قد قرأته أو حتى سمعت به ، وقال : إن الأمر قد صدر بإيقاف المقالات الأخرى .

□ □ □

ثم كانت واقعة هامة ، فقد تلقيت رسالة من هنرى كورييل(*) – ولم أكن قد رأيته

(*) هنرى كورييل أحد زعماء منظمة « حدتو » ، وقد أبعد عن مصر عام ١٩٥٠ ليقيم فى باريس ، لكنه ظل مهتما دوما بالشئون المصرية ، وقد أورد ثروت عكاشة فى مذكراته العديد من المعلومات عن تعاون وثيق بين « كورييل » ومجموعته وبينه عندما كان ملحقا عسكريا ، وأكد أن هذه المجموعة قد أمدته بمعلومات وافية عن قوات وتسليح الجيوش المشاركة فى عدوان ١٩٥٦ . كما اهتم « كورييل » بمسألة السلام بين العرب وإسرائيل ، وساند بفاعلية ثورة الجزائر ، واغتيل فى باريس فى حادث لم يزل غامضا .



□ هنرى كورييل ودوره فى عودة العلاقات مع عبد الناصر .

من قبل ، فقط سمعت عنه مثل الكثيرين – حملت الرسالة إلىّ السيدة ديدار فوزى (الزوجة السابقة لعثمان فوزى) ، والرسالة من جملة واحدة : « كورييل يريد أن يراك » ، ورُتب الأمر بأن أسافر إلى قرية على الحدود الفرنسية لا تبعد عن جنيف بأكثر من نصف ساعة ، وهناك فى بيت ريفى كان « كورييل » ، وكان معه الصحفى الفرنسى روجيه فايان ، فقد التقينا فى بيت تمتلكه زوجته .

بدأ « كورييل » الحديث ، عن واجبى إزاء الوطن ، وإزاء الثورة التى أسهمت فى صنعها ، وقال إن مسافة الخلاف تضيق الآن كثيرا بينك وبين عبد الناصر ، لقد اختلفت بسبب العلاقة مع الأمريكان وبسبب الديمقراطية ، والآن عبد الناصر يخوض معركة شديدة ضد الاستعمار وضد الأمريكان ، ويصبح جزءا من المعسكر المعادى للاستعمار وهكذا فإن مساحة الاختلاف تضيق .

ونصحنى « كورييل » أن أبعث برسالة إلى عبد الناصر أوجه له فيها تحيتى وتأييدى على مواقفه هذه .. وقال بصراحة : هذه الرسالة يجب أن تكون مقدمة لرسالة أخرى تطلب منه فيها أن تعود .

أبديت ترددى ، وتحدثت عن الكرامة والمبادىء والديمقراطية المفتقدة ، واستمر « كورييل » يجادلنى بهدوء وصبر لا ينفد ، أكد لى أن المبادىء تتحقق بتحقق مصلحة الوطن والشعب ، ومصلحة الوطن والشعب أن تكون فى مصر وليس فى جنيف ، وأن تكون إلى جانب عبد الناصر ، تشد من أزره ، وتحمسه وتسانده فى اتجاهه الجديد ، وأن تعزز هذا الاتجاه فى وجه المعادين له ، وأخيرا أبديت اقتناعا .

وعدت إلى جنيف وأنا أرتب فى ذهنى كلمات أول رسالة أبعث بها إلى عبد الناصر منذ سفرى إلى المنفى ، وفى الطريق سألت نفسى : كيف عرف « كورييل » عنوانى ؟ وبعدها عرفت أنه حصل على العنوان من ثروت عكاشة ، فقد كان على علاقة وثيقة به .

وأرسلت رسالتى الأولى إلى عبد الناصر ، أيضا عن طريق حقيبة الملحق العسكرى .

وغادرت جنيف أنا وزوجتى فى رحلة إلى نيس استغرقت حوالى عشرة أيام ، وعدت لأجد خبرا غريبا ..

اتصل بى أحد الأصدقاء وقال : إن النشرة العسكرية وصلته ، وأن قرارا قد صدر بإحالتى على المعاش ، وقال إن الضباط يحالون عادة على معاش الرتبة التالية ، أما أنا فقد أحلت على المعاش بذات رتبتى ، أى الصاغ .. وبحسبة بسيطة سيكون معاشى حوالى ١٥ جنيها شهريا .

.. وبدأت فى داخلى مشاعر غريبة ، أنا أمد يدى وأرسل رسالة تأييد ومساندة ، فيردون علىّ بإحالتى للمعاش ، وبدون أى مجاملة ، وينتهى الأمر بأن يكون كل دخلى خمسة عشر جنيها شهريا .

وبدأت أتساءل كيف سأعيش فى جنيف بهذا المبلغ ؟ وما هو السبب فى هذه الخطوة ؟

.. واتصلت تليفونيا بعبد الحكيم عامر ، وكنت أختزن فى نفسى تساؤلات قاسية وربما جملا عنيفة ، لكن عامر تلقى كلماتى الأولى ضاحكا كعادته وقال : طبعا بتتكلم

علشان المعاش ، ياسيدى كانت غلطة ، واتصلحت ، وتقرر أن تحصل على معاش أميرالاى ، أى فوق رتبتك بأربع رتب .

انتهت المكالمة ولم ينته التساؤل : لماذا أحلت على المعاش ؟

ولم يبقى أمامى من إجابة سوى أن جمال أحس أن المسافات بيننا تقترب ، وأن رسالتى إليه عززت هذا الإحساس ، وشعر أنه لا مبرر لاستمرارى فى المنفى ، وأننى سأعود إن لم يكن اليوم فغدا ، ومن هنا قرر تحديد موقفى بشكل نهائى ، وقطع أية علاقة لى بالقوات المسلحة ، وأحالنى على المعاش .

.. ومرة أخرى أتلقى اتصالا من « كورييل » ، ومرة أخرى نلتقى ، فى هذه المرة قال : أعتقد أن الوقت الآن ملائم لأن توجه رسالة إلى عبد الناصر تبلغه فيها برغبتك فى العودة ، ومن جديد بدأ « كورييل » ينسج من حججه ، وصبره الهادىء ، ما أقنعنى بتوجيه رسالة ثانية . ألح « كورييل » فى نقاشه على أن بقائى فى الخارج لا يفيد أفكارى ولا وطنى فى شىء ، وقال : لقد تحسنت سياسة عبد الناصر الخارجية ، ولكن الديمقراطية لم تتحقق بعد ، وفى السياسة ليس بالإمكان أن تتمسك بكل شىء أو تخسر كل شىء ، وقال : أنا لا أطلب منك أن تتنازل عن موقفك من الديمقراطية ، ولكن اعط لنفسك مجالا للحركة فى وطنك .

ومرة أخرى نجح فى إقناعى ، وأرسلت رسالة ثانية لعبد الناصر طالبا أن أعود إلى مصر ، قلت له فيها : إن أشياء هامة قد تحققت ، وأننا نلتقى على أشياء كثيرة ، وأن معركته ضد الاستعمار ، هى معركة كل الوطن ، وكل الوطنيين ، وأننى لا أجد مبررا لبقائى فى الخارج ، وقلت : انت تعرف كم أحب مصر ، وأننى لا يمكن أن أفعل شيئا ضد مصلحتها .

كان ذلك فى أواخر أكتوبر ١٩٥٥ ، ويمضى حوالى شهر ، وفى أواخر نوفمبر أتلقى مكالمة من عبد العزيز محيى الدين .. زوج أختى وشقيق زكريا ، وقال بكلمات متقنة من الواضح أنها معدة مسبقا : ايه رأيك تيجى تزور العائلة فى أجازة لمدة شهر ، وتقابل الزملاء وتشوف الجو ، وترجع جنيف تانى ، وصمت قليلا ثم قال : بس لازم تبقى عارف أنك حترجع جنيف تانى ، وكررها أكثر من مرة ، قلت : سأرد عليك غدا .

وفى الغد أبلغت عبد العزيز بموافقتى ، وعاد ليؤكد أننى سأرجع جنيف ثانية ، ومن ثم لا مبرر لأن أترك سكنى أو أن أحضر كل متعلقاتى ، وأكد أنها مجرد زيارة .

واتصلت بعمر الجمال ، فوجدت لديه تعليمات ، وسلمنى تذاكر السفر ، وفعلا عدت أنا وزوجتى إلى مصر يوم ٤ ديسمبر ١٩٥٥ .

وما أن وصلت إلى بيتى حتى اتصل بى زكريا يسألنى عن الأخبار والأحوال ، وقال : **الريس حيكلمك .**

وفى الصباح كلمنى جمال عبد الناصر ، وكان ودودا ، وقال : عايز اشوفك ، تعالى فوراً ، ثم اضاف : **ازىّ أمين ؟ قلت : كويس ، فقال : هاته معاك ، فقلت : بس معنديش عربية ، فقال : زكريا سيرسل لك عربية فوراً .**

وذهبت إلى عبد الناصر مصطحبا أمين ابنى ، ولعل عبد الناصر بهذه اللفتة أراد أن يعزز أواصر العلاقة الشخصية ، أو لعله أراد أن يضفى طابعا عائليا وليس رسميا على الزيارة . كان أمين فى السادسة من عمره ، وعندما دخلنا بيت عبد الناصر فوجىء بالأبهة والفخامة ، فقال بعفوية الطفل : **انت ليه معندكش كده ؟ ولم أجد إجابة .**

قابلنى عبد الناصر بترحاب شديد وسلمنا على بعضنا بحرارة ، سألنى عن أخبارى وكيف قضيت وقتى فى جنيف .

وبدأنا نتحدث عما كان ، وقال بصراحة – من لم يعد يخشى من التصارح – إنه رتب أحداث مارس ، وتحديدا إضراب عمال النقل ، وما لحق به من إضرابات ومظاهرات عمالية ، وقال إنه فعلها ردا على اجتماعات « الميس الأخضر » فى سلاح الفرسان ، وقال ببساطة إن ترتيب هذه الأحداث كلفه أربعة آلاف جنيه ، وقال انتم اتحركتم فى الفرسان وأنا رديت عليكم ، واحدة بواحدة ، ونبقى خالصين .

ثم سألنى : انت ناوى تعمل ايه ؟ فقلت : لم أفكر بعد ، أنا عايز أشوف البلد والناس وأزور العائلة وبعدين أفكر .

وفى المساء دعانى على العشاء فى بيته ، وحضر عامر وصلاح سالم وزكريا ، وكانت جلسة ممتعة استعدنا فيها ذكريات الزمن القديم .. الجميل .

وفى اليوم التالى كلمنى عبد الناصر ، وقال أنا أحب أشوفك ونقعد نتناقش ، زور البلد وبعدين نلتقى .

وفى هذه الأثناء ، اتصل بى شخص كان وثيق الصلة بمصطفى أمين ، وقال لى إن مصطفى أمين أبلغه أن عبد الناصر مرتاح جدا لمقابلتى معه ، وأن عبد الناصر قال : أنا

كنت عايز أعرف إذا كان خالد لسه زعلان منى والا لأ .. لكن وجدت قلبه صافى .

وأدركت مغزى الرسالة ..

وقلت لزوجتى : سنعود إلى مصر نهائيا .

بعدها سألنى عبد الناصر : مشاريعك ايه يا خالد ؟ قلت : أروح جنيف أجيب ملابسى وأشيائى وأرجع ، فقال ببساطة : طيب بس عايزك تشترى لى شوية كتب عن الاشتراكية بمختلف مدارسها .

فقلت : وكيف أدخل بها من المطار ؟

قال : سيستقبلك لطفى واكد ويرتب الأمر .

وقبل أن أسافر حضرت حفل إعلان الدستور ، وأجلسونى فى الصف الأول مع كبار المسئولين .

.. ولم أبق فى جنيف سوى خمسة عشر يوما قضيت كثيرا منها فى شراء الكتب لجمال ، اشتريت له كتبا عديدة ، ملأت حقيبتين كبيرتين ، وكان أغلبها كتب عن المدارس الاشتراكية المختلفة .

.. وبعد عودتى قابلنى جمال ليسألنى مباشرة : ناوى تعمل ايه يا خالد ؟ كنت قد فكرت ، وقررت أن أنغمس فى الحياة العامة **فقلت : أنوى أن أرشح نفسى لمجلس الأمة ، وأن أعمل فى الحياة العامة .. فقال : موافق .**

وقال : هناك اقتراح آخر أن تعمل سفيرا فى تشيكوسلوفاكيا فهى بلد مهمة جدا لنا ، خاصة بالنسبة لصفقات الأسلحة ، أو هناك اقتراح بأن تصدر جريدة يسارية مسائية .

ولما أبديت دهشتى قال : كل البلاد العربية فيها جرائد يسارية ، وعيب أن مصر لا يكون فيها جريدة يسارية .. وأنت أفضل من يصدر مثل هذه الجريدة .

وأردف قائلا : بس ما تكونش يسارية زى خالد بكداش ، عايزين حاجة يسارية معتدلة .

فقلت : ولماذا مسائية ؟ فقال بصراحة واضحة : لكى تكون محدودة الانتشار والتأثير .

وتحددت معالم طريقى الجديد ..

وقررت أن أرشح نفسى لعضوية مجلس الأمة .

وأن أخوض لأول مرة تجربة الانتخابات .

وبدأت أستعد لإصدار جريدة المساء .

ويحتاج الحديث عن ذلك كله .. إلى كتاب جديد ، آمل أن نلتقى معا على صفحاته قريبا .

رقم الايداع بدار الكتب

٩٨٩٠ / ٩٢

مطابع الاهرام التجارية - قليوب - مصر

لشهادة خالد محيى الدين عما حدث فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قيمة فريدة، تنبع أساسا من طبيعة شخصية كاتب هذه المذكرات. فخالد محيى الدين من الستة الأول الذين شكلوا تنظيم الضباط الأحرار، وكان فى العمل السياسى أقربهم إلى عبد الناصر، فضلا عن أنه كان صاحب موقف واضح من قضية الديمقراطية انتهى به للاستقالة من مجلس قيادة الثورة، كما كان له موقفه الفكرى المتميز.

ومع أن مذكرات خالد محيى الدين تجىء بعد ٤٠ عاما من قيام الثورة، إلا أنها تتضمن قدرا كبيرا من الأسرار ينشر لأول مرة مثل: لماذا عارض عبد الناصر التقيد ببرنامج التنظيم؟ حقيقة العلاقة مع أمريكا، علاقة عبد الناصر وخالد محيى الدين بالاخوان وبالشيوعيين، صلة السادات بالسفارة البريطانية، تأثر عبد الناصر باستقالة أتاتورك ومظاهرات الأتراك لإثنائه عنها، ...

الناشر

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام
التوزيع فى الداخل والخارج: وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء - القاهرة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر